

بسم الله الرحمن الرحيم

تمت المناقشة على أن تكون هذه النسخة
وتم تصحيح الخطأ
د. محمد البوادي

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا والبحوث

فكر في الدين العثماني في القرن العشرين في القرن العاشر الهجري



رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث

إعداد

أحمد صالح بابلكور

إشراف

الأستاذ الدكتور محمد عبد الوهاب البجراوي



١٤٠٧ هـ
١٩٨٦ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة :

الحمد لله الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم ، وبه
نستعين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمبعوث
رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين .

بعد حصولي علي درجة البكالوريوس ، التحقت بقسم الدراسات
العلية التاريخية ، وكانت رغبتى هي أن أختار موضوعا عن الدولة العثمانية
في شبه الجزيرة العربية ، وبعد أن اجتزت السنة المنهجية ، أخذت
أطلع على المصادر والمراجع الخاصة بها ، لعلنى أجد زاوية أو موضوع
يحقق اتجاهي ، عند ذلك علمت أن لدى قسم التاريخ الاسلامي بجامعة
أم القرى خطة شاملة لدراسة وتغطية تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها
الحديثة ، وكما يقتضى النظام ، فقد سجلت رغبتى لدى مجلس الدراسات
في التاريخ والحضارة الاسلامية ، وتفضل المجلس الموقر فعين لي الأستاذ
الموجه ، والذي أمكنه أن يستكشف اتجاهاتي ومدى قدراتي وكان نتاج هذا
هو اختيار موضوع الرسالة على النحو التالي :-

” حزام الأمن العثماني حول الحرمين الشريفين في القرن

العاشر الهجري ”

فاستشرت بهذا الموضوع الذي ينصب أساسا على الدولة العثمانية ومسئوليتها

التاريخية تجاه الحرمين الشريفين •

كما جاء اختياري له أيضا بسبب أنه كان مترامنا مع التهديد

الصليبي الاستعماري البرتغالي لجنوب العالم الاسلامي •

ومما لا شك فيه أن تاريخ الدولة العثمانية مع الحرمين الشريفين
جدير بالدراسة المتأنية الفاحصة الشاملة ، فقد نجحت الدولة العثمانية
في صد هذا الخطر الصليبي الاوربي الاستعماري ، عن شبه الجزيرة
العربية عامة وعن الحجاز بصفة خاصة وسوف نلاحظ أن الدولة العثمانية
ليست دولة استعمارية كما يقول البعض أثناء فتوحاتها في الجناح الشرقي
والغربي ، وانما كان ذلك لعمل حزام الأمن لحماية الحرمين الشريفين من
الغزو الصليبي الاستعماري البرتغالي الذي كان يهدف الى احتلال الحرم
المكي الشريف ونشر قبر الرسول صلى الله عليه وسلم •

ولكن الله سبحانه وتعالى ارسل لهذه الأمة في هذا العهد ، مطلع
العصر الحديث تلك الدولة الاسلامية المفتية التي ظلت تحارب الميدان
الغربي أي في اوروبا لنشر الاسلام فيها ، وفي نفس الوقت الميدان الجنوبي
لاقامة حزام الأمن هذا •

ومن هنا أصبحت مهمة الدولة العثمانية عالمية وليست محلية ، كما
انها طورت نفسها في القوة البحرية لمواجهة هذا الغزو الصليبي البحري

الذى تغير عما كان عليه الحال في العصور الوسطى حيث كان الغزو الصليبي برى ، أما هذا الغزو الصليبي الاستعماري البرتغالي فقد كان غزوا بحريا حيث أتى من جنوب العالم الاسلامي ، وبعد ضم الدولة العثمانية مصر دخل الحجاز سلميا تحت لواء الدولة العثمانية ثم بعد ذلك جعلت الدولة العثمانية البحر الأحمر بحرا اسلاميا وذلك بعد ضم اليمن اليها . وحرمت على السفن الأجنبية دخول البحر الأحمر من مضيق باب المندب حتى السويس ثم عملت الدولة العثمانية على مطاردة البرتغاليين في الخليج العربي الذي تمكن من التمرکز في هرمز .

وقاومت الدولة العثمانية البرتغاليين في الخليج العربي " الجناح الشرقى " ولم تستطع أن تفعل في هذا الجناح الشرقى مثلما فعلت في الجناح الغربى وذلك لبعده عن مركز الدولة " القسطنطينية " . فعملت على خطة جديدة وهى مقابلة البرتغاليين في البر وجعلت من الأحساء قاعدة متقدمة للدفاع ضد هذا التهديد الصليبي البرتغالي المتمركز في مدخل الخليج العربى ونجحت الدولة العثمانية في اتخاذها كخط دفاع الشرقى لصد هذا الخطر الصليبي الأوربي الاستعماري .

هكذا كانت قصتى مع اختيار الموضوع والعمل فيه ، ولكننى كنت أحس

أثناء الاختيار وبعد الاختيار ، بأننى سوف ألقى من الصعاب الشئ الكثير

ومع هذا ، كان الارتياح للمجال الجديد وتشجيع أستاذي المشرف
المستمر يدفعني الى تخطي العقبات وبذل الجهود لتذليلها وأول
ما واجهته في هذا المجال هو كيفية توفير المصادر اللازمة للبحث ، لأن
المراجع العربية المتعلقة بالموضوع والمتوفرة في الأسواق والمكتبات ،
لا تلبي ما يتطلبه الموضوع ، الا أن الجامعة سهلت لي مشكورة القيام
برحلة علمية الى تركيا ، للبحث عن المصادر والمراجع التي تحتاجها
الرسالة ، وهناك تجولت في استانبول ، ولم أنص قول أستاذي المشرف
لي أن مهمته الأساسية هي أن يجعل هوايتي الأولى البحث عن الوثائق
والمصادر ، وهالتي وأنا أتجول في استانبول أن اللغة التركية بالحروف
العربية فقدت أهميتها ، وحلت محلها في هذه الناحية اللغة التركية
بالحروف اللاتينية . وبالتالي لم أستطيع أن أعثر بسهولة من الأسواق
والمكتبات التجارية على مصادر تركية بالحروف العربية ، الى أن وصلت الى
جامعة استانبول ، وهناك تمكنت بجهد شخصي أن أتعرف الى أستاذ
ساعدني وأرشدني لبعض المصادر الهامة في بعض المكتبات القديمة في
استانبول وكان يتطوع بالذهاب معي الى المكتبات وبعض المتاحف الأثرية ،
ولا شك أن هذه الوثائق والمصادر قد مهدت الطريق أمامي وفتحت باب
الحصول على جديد ، ويضاف الى ذلك أيضا بعض المراجع التي حصلت

عليها من القاهرة وقد جعلنى ذلك أطمئن وأقبل على البحث والاستقصاء
لجمع شتاته وتدوين مادته العلمية من المصادر والمراجع المختلفة ، التى
طالما وقف الباحث أمامها ساعات طويلة يتحقق ويتحرى الحقيقة التاريخية
التى لا يمكن الوصول إليها الا بشق النفس من خلال السطور أو ما يسمين
السطور ، ليطمئن الباحث ، وتلك هى مهمة المؤرخ الشاق .

وأما فيما يتعلق بمنهجى فى البحث ، فلقد تأثرت واقتنعت بمنهج
استاذى المشرف ، ونحوه أن التاريخ هو العلم الشامل ، وأنه لا فاصل
بين الحضارة والتاريخ ، بل ان النظم والحضارة جزء لا يتجزأ من
التاريخ ، ومن ثم جاء متن الرسالة محققا لهذا المنهج ونحن اذا قلنا :
حزام الأمن العثمانى حول الحرمين الشريفين فاننا نقصد تاريخ هذا
العصر بكل ما فيه من حضارة ونظم واقتصاد واجتماع وسياسة وحرب ، بكل
وأدب وقانون أى تاريخ الدولة العثمانية فى هذه الفترة .

ان موضوع هذه الرسالة جد خطير وهام ، لأنه يتناول الحرمين
الشريفين فى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى ، وهذا
القرن كما سبق وان أشرنا ، شهد أحداثا هامة ، وهو التهديد الصليبي
الاستعماري البرتغالي لجنوب العالم الاسلامى وخططهم فى احتلال
الحرمين الشريفين ، ولذلك جاء موضوعنا ، حسب خطة البحث ، مشتملا

على مقدمة وأربعة فصول تغطي هذه الأحداث الكبرى .

وفى المقدمة التى تلى هذا التمهيد ، قدمت نبذة عن أهمية حماية الحرمين الشريفين ، وعن هذا الخطر الصليبي الاستعماري البرتغالي الذي يهدّد الحرمين الشريفين ، وأيضاً عن محاولات البرتغاليين الأولى لاختراق افريقية من غربها الى شرقها فى اتجاه الحرمين الشريفين .

ثم انتقلنا بعد ذلك لمناقشة كيفية وصول البرتغاليين وتهديدهم لجنوب العالم الاسلامي ، وعن مكة المكرمة والمدينة المنورة فى خطط البرتغاليين ، وعن دور شهاب الدين احمد بن ماجد العماني صاحب الفوائد فى أصول علم البحر والقواعد ، الذى قيل عنه أنه ساعد فاسكو دى جاما فى الوصول الى الهند . وأيضاً تناولنا فى هذا الفصل بحسب العرب والحماية الطبيعية للساحل الجنوبي للجزيرة العربية لنعلل لماذا كان اهتمامنا بالجناح الغربى والشرقى لحزام الأمن .

أما الفصل الذى يليه فقد أوردته للجناح الغربى لحزام الأمن وذلك بالكلام عن معركة جالديران عام ٩٢٠ هـ / ١٥١٤ م ، ومعركة مرج دابق ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م التى أوقفت فيها الخطر الصفوى الشيعى لأن الدولة العثمانية لم تكن تواجه فقط الغزو الصليبي البرتغالي فقط وإنما أيضاً واجهت الخطر الايراني الشيعى ، وأيضاً ناقشنا ضم مصر وذلك بعد

معركة الريدانية عام ٩٢٣هـ / ١٥١٧م وأيضاً ضم الحجاز وإعلان لقب السلطان
" حامى الحرمين الشريفين " وكأنه كان إعلاناً عالمياً بمسئولية الدولة

التاريخية •

وكان لابد أثناء عمل الجناح الغربى لحزام الأمن من ضم عد ن لجعل
البحر الأحمر بحراً إسلامياً ومنطقة محرمة على جميع السفن الأجنبية من دخوله
حتى ولو كانت محملة بالبضائع كان لزاماً عليها أن تغرق حمولتها فى سفن
إسلامية ولا يجوز لها السماح بالمرور حتى السويس •

ثم ناقشنا بعد ذلك الخطر الصليبي الاستعماري فى الخليج العربى ،
وذلك عندما وصلوا الى الساحل الغربى للهند ، ومقاومة هذا الاستعمار
البرتغالى بأن أرسلت الدولة المملوكية جيشاً كبيراً لمقاومة هذا الخطر
الصليبي ولكن المماليك لم ينجحوا فى ردّ هذا الخطر الصليبي وذلك فى معركة
٩١٥هـ
ديو عام ١٥٠٩م ، مما أظهر بجلاء ضعف المماليك عن مواجهة هذا الخطر ،
ولهذا كان على الدولة العثمانية المسئولية التاريخية الكبرى تجاه الحرمين
الشرفين بعد عجز الدولة المملوكية عن صدّ الغزو الصليبي ، ثم أوضحنا
أهمية هرمز حيث أنها على رأس الخليج العربى وميناء التجارة الشرقية للطريق
البرى الى سوريا ، وأيضاً تهدد بهم للبصرة وذلك بعد أن وضعت هرمز تحت
الحكم المباشر البرتغالى ، فكان طبيعياً ان يتطلع هؤلاء الغزاة الى السيطرة

على البصرة ، واهتمنا باستكشاف جهود الأمراء العرب مثل كفاح مقرن بسن زامل في الأحساء وردعه لهذا الخطر الصليبي وهي أمور لم تلق من المؤرخين عامة مالمها من أهمية ، وانتقلنا الى تناول موقف الصفويين الشيعة في ايران من هذا الخطر الصليبي البرتغالي حيث كانت هناك مراسلات بينهما ، بل تعدى ذلك الى أن الصفويين ساعدوا البرتغال في هذا الغزو .

فيأتي بعد ذلك الكلام عن الجناح الشرقي لحزام الأمن وذلك بضم السلطان سليمان القانوني بغداد عام ١٥٤٠ هـ / ١٥٣٩ م وعلاقاته برؤساء البصرة والقطيف وعن دخول البصرة تحت الحكم العثماني عام ١٥٥٢ هـ / ١٥٤٦ م والحملات العثمانية البحرية في الخليج العربي .

وأخيرا ناقشنا خطة العثمانيين الجديدة وهي التركيز على الساحل الشرقي للجزيرة العربية والقوة البرية بدلا عن القوة البحرية حيث اتخذوا من الأحساء قاعدة متقدمة للدفاع ضد التهديد الصليبي البرتغالي المتمركز في هرمز كما أشرنا ، ونجحت الدولة العثمانية في اتخاذها كخط دفاع شرقي لصد هذا الخطر الصليبي الأوربي الاستعماري .

واختتمت هذه الفصول بالخاتمة والنتائج التي توصلت اليها من خلال البحث ، ولقد تعلمت من أستاذي المشرف كذلك أن الخاتمة يجب أن تكون صلب الرسالة وأهم جزء فيها ، لأنها هي النتيجة المباشرة لفكر الباحث وقد رتبه

على التحليل والتثقف والاستنتاج وآمل أن تكون خاتمة رسالتي كذلك ،
وإن أكون قد وفقت إلى إضافة جديدة للعلم .

وأرى أن من واجبي هنا أن أنوه بكل الذين ساعدوني في اجتياز
هذه المراحل وأخص بالشكر أستاذي الدكتور محمد عبد اللطيف البحراوي
المشرف على هذه الرسالة الذي كنت ألقى منه باستمرار خير دعم ، وخصني
طيلة مراحل البحث بعلمه الوفير الغزير ، وتوجيهاته المستمرة التي أضأت
لي الطريق ، وهدتني إلى سبل البحث ، غير مقتصر على الزمن والمكان
الرسميين .

فإليه أقدم خالص شكري والعرفان بالجميل جزاء الله عنا خيرا الجزاء ،
كما أتقدم بالشكر الجزيل للمسؤولين في هذه الجامعة الفتية وإلى كلية
الشريعة والدراسات الإسلامية وإلى قسم الدراسات العليا في التاريخ
والحضارة الإسلامية ، وقسم التاريخ الإسلامي بجامعة أم القرى ، وكل
هؤلاء لم يدخروا وسعا في سبيل توفير كل ما كان يلزم لإعداد هذا البحث ،
وإلى الأساتذة أعضاء لجنة الفحص والمناقشة الموقرين ، والله أسأل أن يوفقنا
لخدمة الإسلام وأحياء تراثه المجيد .

مستند

مستند

الدولة العثمانية ومسؤوليتها الخارجية تجاه الحرمين الشريفين

- أ - أهمية حماية الحرمين الشريفين .
- ب - محاولات البرتغاليين الأوائل لاختراق إفريقية من غربها إلى شرقها في اتجاه الحرمين الشريفين .
- ج - الخطر الصليبي الاستعماري الأوربي .
- د - ضعف دولة المماليك .
- هـ - الخطر الفارسي الشيعي .

١ - أهمية حماية الحرمين الشريفين:

قال الله تعالى في سورة البقرة " واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله وباليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير " فيفهم من هذه الآية الكريمة عناية الله عز وجل وعظيم رحمته وفضله بأهل بلده الأمين " (١)

مكة المكرمة " .

ولما بنى ابراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام الكعبة المشرفة لم يكن حولها دور الى أن آل الأمر الى قصي بن كلاب فاذن لقومه أن يببنوا حولها وقسم جهاتها (٢)

ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من مكة وقف على الحزوة وقال : انى لأعلم أنك أحب البلاد الىّ وانك أحب أرض الله الى الله ولولا أن المشركين أخرجوني منك ما خرجت . وقالت عائشة رضى الله عنها ، لولا الهجرة لسكنت مكة ، فانى لم أر السماء بمكان أقرب الى الأرض منها بمكة ، ولم يطمئن قلبى ببلد قط ما أطمأن بمكة ، ولم أر القمر بمكان أحسن منه بمكة .

وقال ابن أم مكتوم وهو آخذ بزمام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو يطوف :-

(١) محمد طاهر بن عبد القادر الكردي : التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم

، ص ١١

(٢) عبد الكريم بن محب الدين القطبي : تاريخ البلد الحرام ، ص



يا حبذا مكة من زوادي أرضيها أهلي وعوادي
أرضيها ترسخ أوتادي أرضيها أمشي بلا هادي (١)

ان مكة المشرفة والمدينة المنورة هما أفضل بقاع الأرض بالاجماع وبليهما
بيت المقدس وأما مكة ففضلها معروف منذ العصور الأولى الغابرة من لدن
آدم عليه السلام وبالأخص بعد أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام حيث بسنى
الكعبة بيت الله فيها ، وأذن في الناس بالحج فأتوا مكة من كل فج عميق ،
والله أعلم بعدد من أتى مكة من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وغيرهم من
عامّة الناس . (٢)

ولما كان البيت الحرام هو مقصد كل المسلمين وما للكعبة الشريفة من
المكانة الروحية السامية في نفوسهم ، وما للرسول محمد صلى الله عليه
وسلم من المنزلة العالية عند هم جميعا فقد كانت مكة والمدينة من أولس
مقاصد الرحالة العرب والمسلمين . (٣)

وكان يصلها في موسم الحج ما لا يقل عن ٨٠.٠٠٠ جمل تأخذ طريقها
الى جدة وتأخذ قوافل أخرى طريقها الى الشام حيث تعود محملة بسلع

(١) سعاد ماهر : البحرية في مصر الاسلامية واثارها الباقية ، ص ٦١ .

(٢) محمد طاهر بن عبد القادر الكردي : المرجع السابق / ص ٣٠٧ .

(٣) حسين امين : نظرة بعض الرحالة المسلمين وبعض الرحالة الغربيين عند
زيارتهم لمنطقة الحجاز ، ص ٣٨٥ .

الشام والغرب الأوربي الى عدن ، لتأخذ طريقها الى الهند مما أعطاها
مركزا مهما في البحر الاحمر الى جانب أهميتها كمدينة مقدسة تحج
اليها جموع الحجاج من العالم الاسلامي ، وتعد مكة المكرمة حاضرة
اقليم الحجاز وتوجد بها الكعبة المشرفة حيث الطواف ويحيط بها
الاماكن التي يتردد عليها الحجاج لأداء مناسكهم مثل الصفا والمروة
حيث السعى وعرفات والمزدلفة ومنى لاتمام مشاعر الركن الخامس المتم
للاسلام ، والشرب من بئر زمزم التي لها القداسة والكرامة في سقاية
الحاج من يوم أن تفجرت تحت اقدام سيدنا اسماعيل الى هذا التاريخ ،
ولم ينضب ماؤها رغم السنين الطوال التي مرت عليها والملايين الذين ارتووا
منها ، ثم العاشر التي تشهد ظهور الاسلام مثل جبل حراء ويقال له جبل
النور لظهور انوار النبوة فيه وكثرة اقامة النبي صلى الله عليه وسلم فيه
وتعبده ونزول الوحي عليه وذلك في مشارق أعلاه مصروف يؤثـره
الخلف عن السلف ، وفي أعلاه بركة يجتمع فيها الماء من المطر ، وأيضا
جبل ثور وهو جبل أكبر من حراء وأبعد منه بالنسبة الى مكة وبه

(١) غسان على رمال : صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الاحمر

في القرن العاشر الهجري / ص ٣٤ .

(٢) فائق بكر الصواف : العلاقات بين الدولة العثمانية واقلـيم

الحجاز ، ص ٣٤ .

غار مشهور وصح أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضى الله عنه دخلاه
(١)
واختبأ فيه عن المشركين .

ومن أسماء مكة المكرمة بكة وأم القرى ، وتعتبر المدينة الأولى فى
العالم الاسلامى ، وتقع على ارتفاع يبلغ ١٤٠٠ قدم ، ولا يدخلها غير
المسلمين ، وهى محاطة بالتلال الصخرية ، ومعرضة لحرارة الصيف
الهائلة ، كما أنها تتعرض أحيانا لفيضان جارف ، وتعتمد مكة
المكرمة على عين زبيدة فى الحصول على ماء الشرب .
(٢)

وهناك أماكن مباركة المشهورة بمكة المشرفة فمنها المواضع التى
نص العلماء رحمهم الله تعالى أن الدعاء مستجاب فيها وهى المطاف جميعه
والملتزم وهو ما بين الحجر الأسود والباب ، وداخل الكعبة ، وعند زمزم ،
وخلف المقام ، وعلى الصفا والمروة ، وفى باب الصفا ، وباب السلام .
(٣)

وأىضا يوجد بمكة كثير من الآثار التاريخية مثل : مولد النبي صلى
الله عليه وسلم وبیت السيدة خديجة رضى الله عنها وبیت أبى بكر الصديق
رضى الله عنه وغيرها ، ويوجد بمكة الحمام بكثرة وخاصة فى المسجد الحرام
(٤)
وذ لك لحرمه صيده ويشرب أهل مكة من ماء عين زبيدة .

- (١) عبد الكريم بن محى الدين القطبى : المصدر السابق / ص ٢٥٧ .
- (٢) احمد شلبى : موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية ، الجزء
السابع ، ص ٢٥٤ .
- (٣) عبد الكريم بن محى الدين القطبى : المصدر السابق / ص ١٤٦ .
- (٤) فائق بكر الصواف : المصدر السابق .

ان عمارة المسجد الحرام زاده الله شرفا وتعظيما ، من أعظمهم
مزايا الملوك والخلفاء ، وأشرف مآثر اكابر السلاطين العظاماء ، وقد
يسر الله تعالى ذلك لسلاطين آل عثمان ، فوقع المشروع فيها في أيام
دولة السلطان الأعظم ، حامى الحرمين الشريفين ، السلطان سليم خان
ابن السلطان سليمان ، وسبب الأمر الشريف بتعمير المسجد الحرام أن
الرواق الشرقي منه مال نحو الكعبة الشريفة بحيث يبرزت رؤوس خشب السقف
الثالث منه عن محتل تركيبها في جدران المسجد وذلك الجدران هو جدران
مدرسة السلطان قايتباي وجدران المدرسة الأنضلية ، ولما فحش ميل الرواق
عرض ذلك على الأبواب الشريفة السلطانية في سنة ٩٧٩ هـ فبرز الأمر الشريف
السلطاني بالمبادرة الى بناء المسجد الحرام جميعه على وجه الاتقان وأن
يجعل عوض السقف الشريف قبابا دائرة بأروقة المسجد الحرام ليؤمن من التآكل^(١)
، لأن خشب السقف كان متأكلا من جانب طرفيه لطول العمود وكان يحتاج
بعض السقف الى تبدل خشبه بخشب آخر في كل وقت قليل اذ لا يقيأ
للخشب زمانا طويلا مع تكسر بعضه وكان له سقفا بين كل سقف نحو
ذراعين وصار ما بين السقفين مأوى الحيات فكان من حسن الرأي تبدلها
(٢)
بالقنب .

(١) قطب الدين النهروالي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ، الجزء الثالث
ص ٣٩٠ .

(٢) عبد الكريم بن محي الدين القطبي : المصدر السابق / ص ١٠٧ —
١٠٨ .

وتلى مكة المكرمة في الأهمية المدينة المنورة على ساكنيها أفضل
الصلاة والسلام ، وتسمى أيضا " طيبة " طيب الله ثراها ، وهي العاصمة
الأولى للمسلمين ومقصد الغالبية الساحقة من الحجاج لزيارة الحرم
المدني وسها قبر النبي صلى الله عليه وسلم وهي معقل الاسلام ، وتبعد
عن مكة المكرمة بـ ٣٠٠ ميل وتقطع المسافة بينها وبين مكة المكرمة في عشرة
أيام بالابل ، ويبلغ طول المدينة ميلا واحدا ويحيط بها سور له خمسة
أبواب والمدينة المنورة محاطة بالمزارع من جهاتها الأربع إلا الجهة
الغربية وتمتد المزارع حولها الى عدة أميال ، وسها عين الزرقاء وماؤها
حلو وتنبع من قباء على ميلين من المدينة المنورة ، وبالمدينة المنورة مساجد
كثيرة أهمها مسجد الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، وسها قبور^(١)
الصحابية وآل البيت وأئمة الحديث والفكر ، وكانت تكثر بها القباب والمباني
فوق هذه القبور ، ولكن الآن قامت الحكومة السعودية بهدم هذه القباب
والمباني وسوتها بالأرض ، وترتفع المدينة المنورة حوالي ٢٠٠٠ قدم عن
سطح البحر ، وفي المدينة مياه غزيرة وافرة تساعد على زراعة الفواكه
(٢)
والخضر بكثرة .

(١) فائق بكر الصواف : المرجع السابق / ص ٣٦ .

(٢) احمد شلبي : المرجع السابق / ج ٧ ص ٢٥٥ .

وكان للسلطان سليم خان بعض المآثر الحسان للحرمين الشريفين ،
فمنها أنه في أول جلوسه على سرير الملك تفقد أهل الحرمين الشريفين ،
وسأل عن الحب الذي يصل لأهل مكة المشرفة من احسان والده ، ف قيل
أنه ثلاثة آلاف اردب ، فأمر هو أيضا أن يرسل لأهل مكة ثلاثة آلاف اردب
من الأنبار الخاص ، فجهزت وفرقت على أهل مكة ، وأيضا أمر بخسمائة
اردب تكون بجدة للفقراء المنقطعين العاجزين عن التوجه الى مكة لأداء
حج الفرض ، ومنها أنه كان يتصدق على فقراء الحرمين قبل سلطنته ، فكان
يرسل ثمانمائة دينار توزع على فقراء مكة خاصة ، وذلك غير ما كان يرسله
للعلماء والصلحاء بمكة من الأصراف الخاصة ، وذلك باقى حتى بعد تولية^(١)
السلطنة ، وكان السلطان سليم كثير المحبة لأهل الحرمين الشريفين حسن
الالتفات اليهم كثير الاحسان والعطف عليهم فوصلت صدقاته الرومية ووصل
معها دفتر الصر على حكم ما قرره والده المرحوم لأهل الحرمين في أول سلطنته
عام ٩١٨ هـ وتضاعف له الدعاء بالحرمين الشريفين وسافر اليه جماعة منهم^{١٥١٢م}
من أهل مكة الخطيب محي الدين العراقي فحصل له منه انعام جميل وخير
جزيل . ولما فتح مصر كان بها جماعة من الحجازيين أحسن السلطان^(٢)

(١) عبد الكريم محي الدين القطبي : المصدر السابق / ص ١٠٦ .

(٢) قطب الدين النهروالي : المصدر السابق / ج ٣ ص ٢٨٣ .

سليم اليهم وأكرمهم وولى أمانة بندر جدة لتاجر اسمه قاسم الشروانى
كان مقيماً بحكة ثم سافر الى مصر فصادف دخول السلطان سليم الى
مصر فخدمه وتقرّب الى خاطره فأرسله الى مكة أميناً فى بندر جده أميراً
عليها فوصل اليها وتمكن من البند^(١)ر وقد وصل من بندر السويس الى بندر
جده بحراً سفارين مسطارية فيها حبوب الصدقات السلطانية لأهل الحرمين
الشريفين جهزها خير بك نائب السلطنة الشريفة بمصر بأمر السلطان سليم
وهى سبعة آلاف اردب حب منها ألف اردب لأهل المدينة المنورة ، وخمسة
آلاف اردب لأهل مكة ، ووصل الأمر الشريف السلطانى أن يوزع ذلك الأمير
مصلح الدين فجلس فى الحرم الشريف وطلب قاضى القضاة القاضى صلاح الدين
بن ظهيرة الشافعى والقضاة الثلاثة الحنفى والمالكى والحنبلى ونائب جده
الأمير قاسم الشروانى وبقية الفقهاء وقرأ عليهم المرسوم السلطانى فى توزيع
ذلك ما وصل اليهم على المستحقين وفى سنة ٩٢٣ هـ . أرسل السلطان^(٢)
سليم مع الأمير مصلح الدين بك بكشوة الكعبة الشريفة ، وكشوة مقام
ابراهيم الخليل ، وصنع للمحمل الشريف كشوة^(٣) .

(١) قطب الدين النهروالى : المصدر السابق / ج ٣ ص ٢٨٠٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٨٧ .

(٣) محمد طاهر بن عبد القادر الكردى : المرجع السابق / ص ٢٠٢ .

وكان السلطان سليم يرسل ألف دينار ذهباً توزع أيام موسم الحج على فقراء مكة يستعينون بها على مصروف الحج أيام منى وعرفة وألف دينار ذهباً للفقراء المدينة في أيام الحج يستعينون بها على الوصول من المدينة المنورة إلى مكة ، وكان يخص بعض العلماء والصلحاء والمشايخ بكسوة من الأضواف الخاصة وبعض غير ذلك (١) .

١٥١٧ م
وقد جرى في عهد السلطان سليم الأول عام ٩٢٣ هـ تقدير نفوس مكة في غير مواسم الحج ، في تلك الأيام بخمسة وعشرين إلى ثلاثين ألف (٢)
نسمة .

وهناك وثيقة تؤكد على اهتمام السلطان سليم بالحرمين الشريفين حيث تقول " أن خلافة الأمة الإسلامية اليوم في أيدينا وإن جميع مسئوليتها ملقاة على رقابنا وهذه نعمة من الله سبحانه وتعالى لنا ، وأن جميع المسلمين الذين يعيشون في أرض الله تحت رايتنا وظلنا ونحن مسئولون عن جميع أحوالهم نهتم بهم إن جاءهم أي ضرر ، وواجبنا أن ندفع عنهم ما يصيبهم من العدو وإن على كل حال ، وخاصة نهتم بدفع الضرر

(١) قطب الدين النهر والى : المصدر السابق / ج ٣ ص ٢٨٩ .

(٢) حسين أمين : المرجع السابق / ص ٣٩٦ .

عن الذين يعيشون في الأماكن المقدسة ، ونحافظ على جميع الرعايا المسلمة
(١)
وعلى جميع التجار * .

وكان من اهتمام السلاطين العثمانيين بالحرمين الشريفين إجراء
العيون ، حيث تم إجراء عين عرفات إلى مكة ، وسبب ذلك أن العين التي
كانت جارية بمكة هي عين حنين ، فكانت إذا كثرت المطر كثرت وزادت ، وإذا
قلّت المطر ضعفت بل ربما انقطعت ، وكثير اضطراب الحجاج المجاورين وقد
عرض ذلك على السلطان سليمان خان فبرز أمره الشريف بإصلاح عين حنين
(٢)
وعين عرفات ، وعين لها ناظرا ، وتوجه ناظر العين إلى الباب العالي
وعرض في أمر العين أحوالا يجب عرضها ، وأجيب إلى كل ما سأل بشأن
اصلاحها وكثير التراب في الديول ، فضعفت ويست ، فعرضت أحوال العيون
إلى السلطنة الشريفة ، فالتفت خواطرها العالية إلى اصلاح ذلك وقد استقر
الحال على أن أقوى العيون عين عرفة ، وإن دبلها يحتاج إلى الكشف والحفر
(٣)
والتنظيف * وصرف على ذلك نحو ثلاثين ألف دينار ذهباً .

وكان أيضا للسلطان سليمان خان بعض المآثر الحسان لجيران بيست

(١) أرشيف رئاسة الوزراء باستنبول دفتر المهمة رقم ٥ ، ص ٧٠ ، رقم

حكم السلطان ١٦١ .

(٢) عبد الكريم محي الدين القطبي : المصدر السابق / ص ٩٨ .

(٣) عبد الكريم محي الدين القطبي : المصدر السابق / ص ٩٩ .

الله الحرام فمن ذلك الصدقة الروحية التي هي مادة حياة أهل مكة ،
وهي وإن كانت في زمن أسلافه إلا أنه زادها ونماها فصار يرسل كل عام
خاصة لأهل مكة نحو ثمانية عشر ألف ذهب * ومنه صدقة الحبيب ،
وقد تقدم أنه وصل في زمن والده لما افتتح ديار العرب ، غير أنه كان
يرسل من الأنبار الخاص ، فأفرد لها السلطان سليمان خان قرى بمصر
اشتراها ووقفها وجعل غلتها لأهل الحرمين ^(١) ، وأيضاً عرض إلى الباب
العالي أن المناسب للشأن الشريف أن تعمل أربع مدارس على المذاهب
الأربعة يدرس فيها علماء مكة وسطر ثواب ذلك في صحايف الحسنات
السلطانية ، فأجابه السلطان سليمان إلى ذلك ، وعيّن للخدمة المذكورة
الأمير قاسم أمير جدة ، فأجمع رأي الجميع أن اللائق لبناء هذه المدارس
الجانب الجنوبي من المسجد الحرام المتصل به ركن المسجد إلى باب
الزيادة * ووضع الأساس وذلك لليلتين خلتا من رجب سنة اثنتين وسبعين
وتسعمائة * وعيّن السلطان سليمان وظائف المدربين والطلبة وغير ذلك
من أوقاله بالشام ^(٢) ، وأيضاً من اعتماد السلطان سليمان بالحرمين ، أنه
كان بالمدينة أحد عشر رباطاً قد خربت ودثرت فمضها ما سلب الانتفاع
بالكلية وهي أربعة ومنها ما كان ينتفع ببعضها وهي سبعة فأمر بتجديده

(١) عبد الكريم بن محي الدين القطبي : المصدر السابق / ص ٩٧

(٢) نفس المصدر ، ص ١٠٣ .

ما خرب وعمرت كلها على أحسن أسلوب وصاروا يسكنونها الفقراء ، وأيضاً
عمر مطبخ الد شيشة التي بداخل المدينة المنورة المعروفة بد شيشة
الرسول صلى الله عليه وسلم ، ونى له سبيل خارج الباب المسمى يماً
(١)
كل يوم بالماء العذب يشرب منه الصادر والوارد .

” ومن ذلك كله يتبين لنا أن الدولة العثمانية ليست دولة
استعمارية كما يقول البعض أثناء فتوحاتها إنما هى دولة إسلامية
والدليل على ذلك هو معاملتهم لأهل الحرمين الشريفين بهذه المعاملة
الحسنة التى ان دلت على شىء فأنما تدل على أن السلاطين العثمانيين
لم يكن هدفهم التوسع أثناء حروبهم وأيضاً لم تكن مكة المكرمة والمدينة
المنورة مثل بقية المدن والأقاليم التى ضمتها الدولة ، إنما كانت تدفع
لهم حيث أوقفت لهم بعض الأشياء وجعلت غلتها لأهل الحرمين وأيضاً
حمت الحرمين الشريفين من الغزو الصليبي الاستعماري البرتغالي وذلك
بجعل حزام أمن ” .

(١) عبد الكريم بن محى الدين القطبي : المصدر السابق / ص ١٣٨

ب — محاولات البرتغاليين الأولى لاختراق أفريقيا من غربها الى شرقها :

كانت جنوة أول من حاول الطواف حول ساحل أفريقية وذلك
٦٩٦هـ
في سنة ١٢٩١م ، حيث أبحر أوجو لينودي فيفالدو * ugolino
divivaldo من أهل جنوة بسفينتين ، غير أنهما غرقتا قبالة
الساحل الأفريقي ، وقد واصل أهل جنوة جهدهم في اكتشاف بعض
أجزاء الساحل الغربي لإفريقية في مواجهة جزر كناريا ، ولكن بعد أن
استولى عليها شارل الثامن ملك فرنسا فقدت جنوة سيادتها ، وقد تبنت
البرتغال نفس الفكرة التي روادت أحلام الصليبيين طوال العصور
الوسطى وأحلام أهل جنوة وهي اعداد أسطول مسيحي في المحيط
(١)
لوقف التجارة مع مصر عن طريق عدن *

(٢)
كانت البرتغال في موقع جغرافي حسن شديد المواءمة لاكتشاف
(٣)
طريق آخر للشرق ، والعمل على إستكشاف ما وراء المحيط الأطلسي
وإذا كان البرتغاليون قد بدأوا عملياتهم في شكل عسكري للسيطرة على
(٤)
بلاد المغاربة ، فإنهم حاولوا الإلتفاف حول العالم الاسلامي ، لتنفيذ

-
- (١) حسن أحمد محمود : التهديد البرتغالي لسواحل
جزيرة العرب ، ص ٢١٨ .
(٢) عبد المنعم ماجد : طومان باي آخر سلاطين المماليك
في مصر ، ص ٨٢ .
(٣) ك.م. بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ، ص ٢٤ .
(٤) جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أبا طرة المغول الإسلامية في الهند
، ص ٢٨

الأهداف الصليبية عن طريق توجيه الضربة المباشرة الى العالم الاسلامي
من الخلف ، أى عن طريق الإلتفاف حول إفريقيا ، وكان إصرارهم شديدا
(١)
للعمل على كشف طريق جديد •

وتبدأ سلسلة المحاولات البرتغالية للدوران حول إفريقيا باستقرارهم
في مدينة سبته عام ٨١٨هـ / ١٤١٥م ويجب أن نشير هنا الى أن هذا
الاستيلاء قد حمل بين جنباته عوامل صليبية صريحة نبعت وسط ذلك
الجو المعادى للإسلام والمسلمين في شبه الجزيرة الإيبيرية ، وقد افتتح
الأمير هنرى الملاح البرتغالى سنة ١٤٢٠م سلسلة المحاولات الأوروبية
(٢)
للكشوف الجغرافية ، وكان هنرى يجرى في عروقه الدم الإنجليزي ، وهو
أول من فكر في الوصول إلى الهند عن طريق الطواف بحراً حول إفريقيا
(٣)
، ولكن هذه الفكرة ظلت مجرد فكرة ، وفي وسط الجوا العدائى للمسلمين ،
بدأ هنرى الملاح باحتلال مراكز معينة على الساحل المراكشى لإفريقيا ،
لتلجأ إليها السفن البرتغالية ، وخرجت الحملات البحرية من البرتغال

(١) محمد عبد العال أحمد : البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى

للسيطرة عليه ، ص ٦٦ •

(٢) غسان على رمال : المرجع السابق / ص ٥١ •

(٣) الشاطري صليبي عبد الجليل : الصراع بين الدولة العثمانية وحكومة

البرتغال في المحيط الهندي ، ص ١٢٩ •

(٤) ج • ج لوريمر : دليل الخليج ، الجزء الاول ، القسم التاريخي ، ص ١٠

لإستكشاف شواطئ أفريقيا الغربية ، ولقد عمل هنرى مدة ثلاثين عاماً

فى حركة الكشف البرتغالى وكان فى السنة يرسل رواد الكشف البرتغالى

لإستكشاف شواطئ أفريقيا الغربية ، فوصلت مراكبهم أول الأمر إلى
/ ٨٦٠ هـ

سواحل غينيا فى عام ١٤٥٥ م ثم زارتها مرة أخرى بقيادة ديجوجوميز

(٢) ٨٦٥ هـ / ١٤٦٠ م مات هنرى الملاح ، وكان
"Diego Gomez" ، وفى عام ١٤٦٠ م مات هنرى الملاح ، وكان

ملاحوه قد تم لهم كشف ساحل أفريقيا الغربى حتى نقطة تبعد قليلاً

عن نهر غينيا ، وكان له الأثر العميق فى تنبيه الأذهان إلى إمكان
(٤)

الوصول للهند بحراً .

ولم تتوقف حركة الكشف بعد موت هنرى ، بل استمرت فى طريقها ،

وأخذت الكشوف على الشواطئ الأفريقية تتقدم رويداً رويداً ، وفى عام
(٥)

(٦) ٨٦٧ هـ / ١٤٦٢ م وصل الرحالة البرتغاليون إلى خليج غانة ، وعسبروا

خط الاستواء لأول مرة عام ٨٧٦ هـ / ١٤٧١ م حيث وصلوا إلى رأس كاترين

"Cape catherine" عام ٨٨٠ هـ / ١٤٧٥ م وتابع البرتغاليون نشاطهم

٤١٢ (١) محمد كمال الدسوقي : أهمية الحجاز فى مطلع العصور الحديثة ، ص

(٢) عبدالفتاح حسن ابو عليّة وآخر : تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر ، ص ٦٣

(٣) انور عبد العليم : الملاحة وعلوم البحار عند العرب ، ص ١٢١

(٤) محمد البحراوى : فتح العثمانيين عدن وانتقال التوازن الدولى من البر

إلى البحر ، ص ٥٧ .

(٥) محمد عبد الرحيم مصطفى : أصول العالم الحديث ، ص ٥٢ .

(٦) نوال حمزه صيرفى : النفوذ البرتغالى فى الخليج العربى فى القرن العاشر

الهجرى / السادس عشر الميلادى ، ص ٨٥ .

الكشفي ففي عام ٨٨٧هـ / ١٤٨٢م قام دياجو كام "Diogo cam"
برحلة كشف فيها مصب نهر الكنفو، حيث أقام عند المصب صليبا حفر عليه
إسم ملك البرتغال يوحنا الثاني ، وبنهاية عام ٨٩٠هـ / ١٤٨٥م وصل
د ياجو كام إلى كاب كروس "Cape cros" حيث تم في هذه الفترة
كشف ما يقرب من ١٤٥٠ ميل من الساحل الإفريقي الغربي ، وبذلك تكون
البرتغال قد قربت من نقطة التقاء السواحل الغربية لأفريقية بسواحلها
(١)
الشرقية .

٨٦٢هـ /
وفي سنة ١٤٨٧م كانت الرغبة تلح على الملك البرتغالي في إيجاد
الطريق إلى الشرق بأي سرعة كانت ، إذ على الرغم من أن المحاولات
البحرية كانت على أشدها ، إلا أنه رغب في محاولة إختراق العالم الإسلامي
عن طريق أشخاص لهم معرفة بأحوال الشرق ، فقبل أن يتحرك بارثليميو دياز
نحو غرب أفريقية كان ملك البرتغال قد أرسل اثنين من أتباعه وهما :-

"Man of the house of monterio, Frey Antonio" للبحث عن القديس
(٢)

يوحنا ، لأنه كانت قد انتشرت في أوروبا أسطورة برسترجون أو القديس يوحنا
وهي أسطورة أدبية عن بطريرك مسيحي اسمه القديس يوحنا أسس إمبراطورية

(١) غسان علي رمال : المرجع السابق / ص ٥٧ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٨٥ .

مسيحية كبرى في الشرق وحكم الهند والصين والحيشة التي كانت تعتبر
الجزء الغربي من تلك الامبراطورية ، ومرار الزمن تطورت هذه الأسطورة
، حتى أصبحت صورة تعبر عن آمال الصليبيين في تكوين تحالف مع هذا
الملك ويعتبر البرتغاليون أول من بحث عن امبراطورية برسترجون بكل
(١) برثلميو دياز / "Diaz"
جديدة ومثابرة ، وفي عام ١٤٨٧م وصل Bartholomew " إلى أقصى
٨٩٢هـ
جنوب أفريقية وسماه رأس العواصف ثم سار شرقا حتى خليج موسل Mosse
ولما عاد الى لشبونة أذاع أن السفن التي تبحر جنوب غانة يمكنها أن
تصل الى أقصى جنوب القارة ، وأن تطوف حول أفريقية ، وقد أحدث هذا
هزة كبرى في عالم الملاحة وبين البرتغاليين بوجه خاص ، وسريوحنا الثاني
ملك البرتغال أيضا سرور وسمى هذا الرأس رأس الرجاء الصالح . (٢)

تامت حملة بحرية الى الشرق في عهد الملك عمانويل الأول "١٤٩٥-١٥٠٠هـ
١٥٢١/٩٢٦م" حيث خطب خطبة طويلة له عن أغراض الحملة وذلك عند سفرها ،
(٣)
فقال ان الغرض من اكتشاف الطريق البحري الى الهند هو نشر المسيحية ،
لأن البرتغاليين يرون أن الكشف الجغرافية يجب أن تعمل على تحويل

(١) نوال حمزه الصيرفي : المرجع السابق / ص ٧٠ .

(٢) محمد البحراوي : المرجع السابق / ص ٥٧ .

(٣) السيد مصطفى سالم : الفتح العثماني الأول لليمن ، ص ٤٧ .

المسلمين في غرب أفريقيا وفي غيرها من المناطق الى المسيحية الكاثوليكية
وكان هذا من أهم أهداف قيامهم بالكشف الجغرافي^(١) ، وفي التاسع من
يوليو عام ١٤٩٧م أقلعت حملة فاسكو دي جاما ، وبعد أربعة أشهر
ألقت مراسيها في خليج سانت هيلانة جنوبي أفريقية بعد أن طافت برأس
الرجاء الصالح ، ومن سانت هيلانة اتجه فاسكو دي جاما صوب المسد ن
الساحلية لشرق أفريقيا ، وكان ذلك في عهد الملك عمانويل البرتغالي
فاستطاع الوصول الى الساحل الشرقي لأفريقيا^(٢) ، وكان فاسكو دي جاما
يتابع رحلات بني جلده من البرتغاليين والتي اتخذت من الطواف حول
سواحل أفريقيا طريقا تبتغى منه الوصول الى المحيط الهندي ، والتخلص
من سيادة العرب للطرق التجارية التقليدية ، واستطاع البرتغاليون
الطواف حول " رأس العواصف " التي صارت تعرف باسم " رأس الرجاء
الصالح " واستطاع فاسكو دي جاما الافادة من نشاط أسلافه ، ووضع فاسكو
دي جاما البلاط البرتغالي أمام نقطة مهمة وهي مسألة وجود العرب في

(١) عبد الفتاح حسن ابو عليّة وآخر: المرجع السابق / ص ٥٨

(٢) غسان علي رسال : المرجع السابق / ص ٦٩ .

(٣) محاضرات الموسمين الثقافيّين السابع والثامن ١٩٧٤ - ١٩٧٥م :

الخايج العربي في مواجهة التحديات ، ص ١٢ .

(٤) ابراهيم احمد العدوي : مصر والشرق العربي درع الاسلام ، ص ٢٠٩

الهند لأنه لم تكن هناك أنباء عن وجود العرب ، ولما كان البرتغاليون قد نجحوا في تأسيس مراكز لهم على ساحل أفريقية الغربية بسهولة نظرا لعدم وجود العرب الذين التقوا بهم فيما بعد في سواحل المحيط الهندي ، فقد أدرك عمانويل أن فرض السيطرة البرتغالية في الهند يحتاج إلى بذل مزيد من الجهد والتنسيق للمرحلة القادمة ، ولقد لعب فاسكو دي جاما دورا خطيرا في القضاء على المجد العربي القديم ، وذلك عندما انطلقت أساطيل البرتغال عام ١٤٩٧م في رحلتها الشهيرة من البرتغال فدارت حول أفريقيا عن طريق رأس الرجاء الصالح حيث زار دي جاما الجاليات العربية على سواحل أفريقيا الشرقية فاستقبسـلوهم مرحبين ، ثم تابع سفره حتى وصل إلى " كاليكوت " على الشاطئ الغربي من الهند ، ثم قفل " دي جاما " راجعا إلى البرتغال ليعود على نفس الطريق سنة ١٥٠٢م تتبعه قوة بحرية مؤلفة من ألف وخمسمائة محارب أرسلتهم البرتغال من أجل إقامة ستة مراكز حربية بين أفريقيا والهند والقضاء على التجار العرب ، الذين كانوا ينقلون البضائع بين الهند والحبشة ومصر والشام ومنها بالسفن إلى أوروبا .

(١) غسان على رمال : المرجع السابق / ص ١٨٣ .

(٢) خالد العزى : الخليج العربي في ماضيه وعصره ، ص ٢٥ .

وخلال الرحلات البحرية الأولى للبرتغاليين نحو الشرق في القرن

السادس عشر برز اسم الفونسو البوكيرك كأحد الملاحين ، وكان قد أبحر

/٩٠٨هـ

من لشبونة في اليوم السادس من فبراير عام ١٥٠٣م على رأس أسطول

من ثلاث سفن وكانت وجهته كوشين ، وأثناء وجوده في الهند استغل

وقته في جمع المعلومات ووضع الخطط عن المنطقة لتقدمها إلى الملك ،

/٩٠٩هـ

وعند عودته عام ١٥٠٤م عرض على الملك دوم مانويل مشروعات عديدة

(١)

للتغزو والضم والتجارة والسيطرة البحرية .

/٩١٠هـ

وفي مارس سنة ١٥٠٥م غادر " دا الميدا " البرتغال على رأس

حملة كبيرة مكونة من اثنين وثلاثين سفينة وألف وخمسمائة جندي فاستولى

في طريقه على " كيلوه " و " ممباسا " أهم مركزين عرييين تجاريين على ساحل

(٢)

أفريقية الشرقية وذلك لاتخاذهما محطتين للسفن البرتغالية .

/٩١١هـ

وفي عام ١٥٠٦م بعث ملك البرتغال بثلاثة أساطيل كان أحدها

يتكون من ١٦ سفينة غادرت خليج تاجون يوم ٦ مارس وكانت تقل الفونسو

البوكيرك هو وترستان داكونها الذي تلقى الأوامر بالابحار إلى سقطرة

(١) س . ب . مايلز : الخليج بلدائه وقبائله ، ص ١٤٨ .

(٢) السيد مصطفى سالم : الصرح السابق / ص ٥٢ .

لانشاء قلعة لحماية المسيحيين المقيمين في تلك الجزيرة ، بالإضافة الى استخدامها كقاعدة لتأمين الاسطول المكلف بمواجهة التحالف المصري البندقي ، كما عهد اليه أيضا بفرض حصار على البحر الأحمر^(١).

نجح البرتغاليون في أقل من عشرة أعوام ، بداية من القرن السادس عشر الميلادي في توطيد ونشر نفوذهم على كافة الساحل الشرقي لأفريقيا ، وتمكنوا من القضاء على كافة المراكز العربية التجارية فيه ، ومما لا شك فيه أن هناك عاملين مهمين ساعدوا البرتغاليين على سرعة انجاز احتلالهم للشواطئ الشرقية وهما أولا : استخدامهم للأسلحة الحديثة التي لم يكن أي من العرب أو الزنج يعرفونها ، خاصة أن الامارات الاسلامية التي تكونت بها لم تقم أساسا على الفتح بل على التجارة ، ثانيا : نجاح البرتغاليين في استغلال المنازعات الداخلية التي كانت دائرة بين الامارات الاسلامية في شرق افريقية ، وقد ارتكز البرتغاليون على الأجزاء الجنوبية من الساحل الشرقي الذي كان يضم اقليم سفالة وموزمبيق التي اتخذوها مقرا للإدارة الاستعمارية^(٢).

وبذلك تحولت التجارة العالمية بين الشرق والغرب الى الطريق

(١) س . ب . مايلز : المرجع السابق / ، ص ١٤٩ .

(٢) غسان علي رمال : المرجع السابق / ص ٢١٠ .

(١)

حول أفريقية على يد البرتغال الدولة الصغيرة المطلة على المحيط الأطلسي .

وخلال كل تلك المحاولات كان البرتغاليون يحاولون اختراق أفريقية

من غربها الى شرقها للاتصال بملك الحبشة المسيحي ليتعاون معهم في

مشروع احتلال مكة والمدينة انتقاما من العرب والمسلمين الذين أقاموا

٨٩٧هـ /

بشبه جزيرة ايبريا وأقاموا دولتهم فيها حتى سقطت غرناطة ١٤٩٢م .

(١) محمد أفيس : المرجع السابق / ص ١٢٠ .

ج - الخطر الصليبي الاستعماري الأوربي :

كانت الروح الصليبية الاستعمارية احدى الدوافع الأساسية الى حركات التوسع الأوربي ، الى جانب دوافع الكشف الجغرافى والتوسع فيما وراء البحار ، وألهبها كفاح الأسبان والبرتغال لاستخلاص بلادهم (١) مما بقى فى أيدي المسلمين فيما عرف بحروب الاسترداد ، ومما يوضح لنا سياسة التعصب والتزمت الدينى وروح الصليبية الحاكمة عند البرتغال ، هو ما قاموا به من تضيق الخناق على القوى الاسلامية فى الأندلس حتى سقوط غرناطة آخر معقل اسلامى فيها ، ولم يكتفى الايريون باجلاء المسلمين عن الأندلس ، بل قاموا بضغط كبير على المسلمين فى شمال افريقيا ، وأرادوا كذلك تطويق المسلمين عن طريق الدوران حول افريقيا ، وعن طريق العمل المتواصل من أجل نشر المسيحية الكاثوليكية (٢) حيث كانت البرتغال قلعة المسيحية الكاثوليكية فى شبه الجزيرة الأيبيرية ، وكان الاسلام بالنسبة للبرتغال كابوسا يرغبون فى ازالته ، وقد عسرف سكان شبه الجزيرة الأيبيرية بتعصبهم الشديد وعدائهم للاسلام والعرب ومنزعتهم الصليبية التى جعلتهم لا يستولون على بلد اسلامى الا محسوسا (٣) آثار المسلمين فيها .

(١) عبد الحميد البطريق : المرجع السابق / ص ٣١ .

(٢) عبد الختاح حسن ابو عليّة وآخر : المرجع السابق / ص ٥٨ .

(٣) غسان على رمال : المرجع السابق / ص ١٢ .

ولما تراءت لهم سيطرة العالم الاسلامى على الطرق التجارية
القديمة فى الشرق ، ظهرت عند هم فكرة البحث عن طريق تجارى يوصلهم
الى الهند دون المرور بالطرق التجارية التى تسيطر عليها الدول
الاسلامية فى الشرق ، ويكونون بذلك قد تخلصوا من الضرائب والرسوم
الجمركية التى تلغفها سفنهم التجارية أو قوافلهم التجارية الهاربة بهذه
البلاد الاسلامية ، ويكونون قد جنوا ربحين أولهما : تجارى وثانيهما :
ربح ينتج عن اضعافهم للاقتصاد الاسلامى بعد تحويلهم الطرق التجارية
(١)
الى أفريقيا والمحيط الأطلسى دون المرور بالعالم الاسلامى ، وسارت بوادر
الاستعمار ، واتسم نشاطه من بداية الأمر بالفتح والغزو والتوسع السياسى
(٢)
، والحصول على التجارة بطريق الاحتكار والاستغلال ، ودخلت البرتغال
عهد الاستعمار والغزو منذ أن استولت على مدينة سبتة المحصنة على
ساحل البحر المتوسط ، وفى هذا العهد حظيت البرتغال بجيل من
البحارة الذين أخذوا يسيرون فى طريق الاستعمار الذى لا ينتهى أمد ،
(٣)
وكان لصغر مساحة البرتغال ووقوعها على ساحل المحيط الأطلنطى قد
(٤)
حتم عليها أن يكون توسعها بحريا وليس برىا ، لأن التاريخ الأوربى

(١) عبد الفتاح حسن ابو عليّة وآخر : المرجع السابق / ص ٥٩

(٢) محمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٠٠

(٣) جيمس دافنى : المرجع السابق ، ص ٣٢

(٤) السيد مصطفى سالم : المرجع السابق / ص ٤٦

في العصور الحديثة يرتبط تمام الارتباط بالتحول الى البحر وتقدم
البحرية ، اذ ان الاساطيل أصبحت هي أداة الربط بين الدول
(١)
الاوربية ومناطق النفوذ فيما وراء البحار .

ويعتبر الغزو البرتغالي هو أول غزو عسكري أوربي مسيحي في
التاريخ لجنوب العالم الاسلامي والعالم العربي ، واستهدف تحقيق
(٢)
أغراض صليبية استعمارية واقتصادية ، تدفعها عوامل دينية صليبية ، وشجع
البرتغاليين تأييد البابوية الكامل ومباركتها لجهودهم ، وكانت وسياتهم
في تحقيق ذلك ، اتباع أقصى أنواع القرصنة العسكرية ، فقد كانت الحركة
البرتغالية في حقيقتها استمرارا وتجسيدا للحركة الصليبية في جميع
أفكارها ، ذلك أنها ركزت على تحقيق الحصار الاقتصادي على العالم
الاسلامي من ناحية الجنوب ، والسيطرة على مواطن التوابل وانتزاع احتكارها
(٣)
وتحويلها الى أسواق لشبونة مباشرة .

ولقد كان الهدف الأساسي من التوسع البرتغالي هو الوصول الى
الهند والشرق الأقصى مباشرة دون الحاجة الى توسط المسلمين والبنادقة

(١) محمد البحراوي : المرجع السابق / ص ٢١ .

(٢) عبد العزيز الشناوي : المرجع السابق / ج ١ ، ص ٦٩٢ .

(٣) محمد عبد العال احمد : المرجع السابق / ص ٦٨ .

(١)

فى نقل التجارة ، فى الوقت الذى أطلقت فيه البرتغال جواسيسها من اليهود وغيرهم لجمع المعلومات عن الهند ، وقوة العرب فى المحيط الهندى ، كان علماء اليهود فى لشبونة يكملون حلقة ربط المعلومات عن تفوق العرب الملاحى ، وكان العرب أيام حكمهم لبلاد الأندلس قد أسسوا جامعة لهم فى لشبونة ترعرت فيها علوم الرياضة والفلك ، على يد الأساتذة العرب ، وفى أثناء حروب الاسترداد كان حوالى ١٢٠ ألف يهودى من قشتالة قد لجأوا الى البرتغال ، فى الوقت الذى انتقل فيه العرب المسلمون الى بلاد المغرب وقد حمل اليهود معهم الى البرتغال (٢) علوم العرب الملاحية وجداولهم الفلكية .

هكذا كانت فاتحة الاستعمار البرتغالى فى الشرق ، وكانت بداية

تكوين دولة برتغالية استعمارية فى الشرق تسيطر على الأمور التجارية فيه

(٣)

لأن البرتغاليين تمكنوا من السيطرة على بعض المنافذ والموانئ الشرقية .

ولم يلبث البرتغاليون أن أدركوا أن سيطرتهم على التجارة الشرقية

الاسلامى

تتطلب ضرب العالم فى عقود ادهم ، ذلك أن بعض التجار ظلوا يفضلون

(١) صلاح المقاد : المرجع السابق / ص ١٣ .

(٢) ابراهيم احمد العدوى : المرجع السابق / ص ٢٠٨ .

(٣) عبدالفتاح حسن ابو غلية وآخر : المرجع السابق / ص ٦٥ .

الطرق التجارية المارة بالشرق العربى لقصرها وسلامتها وأنها أكثر فائدة
لهم من الطواف حول رأس الرجاء الصالح . وبعبارة أخرى فإن اكتشاف
طريق رأس الرجاء الصالح لم يكن هو السبب فى تحويل التجارة الشرقية
من الطرق المارة بالبلاد العربية ، وإنما السبب فى ذلك هى السياسة
العدوانية الحاقدة ، ^(١) ودأوا على الفور فى ارتكاب أعمال القرصنة الهمجية
ضد أساطيل المسلمين وضد ملك فالقوطة ، وكان هدفهم من التوسع
الاستعمارى هو القهر العسكرى واستغلال هذه القوة للحصول على موارد
اقتصادية ، واحتكار تجارة اللؤلؤ . ^(٢) ^(٤)

وكان من أشهر الملاحين البرتغاليين الذى اتصف بكمية شديدة
الشديدة للمسلمين ، هنرى الملاح ، الذى كان رئيسا لهيئة اليسوعيين
" الجزويت " وهو من أشد المتعصبين ضد المسلمين . ^(٥) ^(٦)

-
- (١) إبراهيم أحمد العدوى : المرجع السابق / ص ٢١٢
 - (٢) محمد كمال الدسوقي : " المرجع السابق " / ص ٤١٣ .
 - (٣) صلاح العقاد : التيارات السياسية فى الخليج العربى ، ص ٢٧ .
 - (٤) إبراهيم الشريقى : أضواء على الخليج العربى ومسقط وعمان ، ص ١٨ .
 - (٥) نوال حمزة صيرفى : المرجع السابق / ص ٧٣ .
 - (٦) محمد كمال الدسوقي : المرجع السابق / ص ٤١١ .

وعند ما سمع هنرى من الأسرى المغاربة والأفارقة عن قوافل الصحراء
التي تحمل الذهب من بلاد تمبكتو الى سبتة ، ونظروا لعدم تمكنه من
غزوها ، بسبب الصحارى الفاصلة بينهما ، والتي لم يتعودها البرتغاليون
فقد صمّم على ضرورة تحويل تجارتها والاشراف على أسواقها وبهذا الاحتلال
كان البرتغاليون قد رزعوا أول بذرة لسياستهم الصليبية الاستعمارية حيث
صمّم هنرى على ضرورة تنفيذ الخطة الاستراتيجية الكبرى لتطويق العالم
الاسلامى ، وكان استيلاؤه على ميناء سبتة عام ١٤١٥م "Ceuta" حملة
صليبية بالمعنى الواضح المحدود ، وامتدادا لما سبقها من
حملات صليبية مثابته ، وامتد ما أنجزه هنرى من الأعمال الصليبية الى
ميا دى ين اخرى كثيرة ، وكانت كلها ترمى الى الهدف الأعلى لهم وهو الاطاحة
بجناح العالم الاسلامى ، الذى تعدّ ألويته عبر افريقيا الشمالية وتسد
المسالك على كل الطرق الموصلة بين الهند وأوربا ، وأسس أول مدرسة
نظامية للملاحين ، أخذت تنهض حتى أصبحت على كمر الزمان الأكاديمية
البحرية بساجرس ، وهناك أخذ يجمع اليه ويدرب كل ذى روح صليبية مغامرة ،
من تهيأت أفئدتهم للقيام بغزو البحار بروح الحرب الصليبية .

(١) غسان على رمال : المرجع السابق / ص ٥٣ .

(٢) محمد البحر اوى : المرجع السابق / ص ٥٦ .

(٣) ك.م. بانيكار : المرجع السابق / ص ٢٧ .

ويعتبر البوكيرك أيضا من المؤسسين للاستعمار الصليبي الأوربي

(١)

في الشرق ، فقد عمل على احتلال المراكز البحرية الهامة وإقامة الحصون

القوية في جميع جهات المحيط الهندي حتى يحكم سيطرة البرتغاليين على

مصادرها التجارية ، ويعتبر البوكيرك أيضا بداية لمرحلة جديدة في تاريخ

البرتغاليين في الشرق ، وكان طموحه يرمى الى انشاء امبراطورية برتغالية

كاثوليكية في الشرق ، وعلق أهمية كبرى على بناء القلاع أينما أسس وكالة ،

ليس فقط لحماية التجارة على الشاطئ ، ولكن ليتمكن من السيطرة على الحكام

(٢)

الوطنيين وليعزز قوته لفرض أجبارهم على الاعتراف بالبرتغال كسلطة مهيمنة

وعرض الفونسو البوكيرك على الملك دوم مانويل مشروعات عديدة للغزو

والضم والتجارة والسيطرة البحرية وأيضا لنشر المذهب الكاثوليكي ، وكان يعتقد

(٣)

أن مشروعاته كلها قابلة للتحقيق ، وعند ما مات ترك وراءه تاريخا حافلا بالوحشية

والدمار والتعصب الكاثوليكي ، والدماء والحقد تجاه الاسلام والمسلمين حيث

(٤)

أمر بهدم المساجد التي وقعت تحت يده ، أثناء هجومه على المدن .

(١) السيد مصطفى سالم : المرجع السابق / ص ٦٤ .

(٢) السير أرنولد ويلسون : الخليج العربي ، ص ٢٠٤ .

(٣) ص ٠ ب ٠ مايلز : المرجع السابق / ص ١٤٩ .

(٤) نوال حمزه صيرفي : المرجع السابق / ص ١٢٨ .

وتعتبر الفترة الأخيرة من القرن الخامس عشر الميلادي فترة حاسمة
في تاريخ شعوب منطقة المحيط الهندي ، وسواحل العرب في الخليج
العربي والبحر الأحمر إذ أن أبوا با قد فتحت على سكان تلك المنطقة ،
توالى منها غزوات الشعوب الأوروبية ^(١) ذات النزعة الاستعمارية الصليبية
وأمر ملك البرتغال مانويل بتجهيز حملة بهدف إنشاء مركز تجاري
على ساحل الهند ، بقيادة الفاريز كايال وتألفت من ثلاث وثلاثين سفينة
وآلاف وخمسمائة رجل ، حدث أن تحطمت معظم السفن عند اجتياز رأس الرجاء
الصالح ، فأرسل ملك البرتغال حملة أخرى أكبر من ذي قبلها بقيادة
فاسكو دي جاما مكونة من عشرين سفينة بعد أن منحه لقب " أميرال البحار
الشرقية " ولما وصل إلى كلوة في شرق أفريقية قصفها بمدافع وبنيرانه
حتى أخضعها وأرغم سكانها على دفع الضريبة لملك البرتغال ، ثم غادرها
إلى ماليندي وهناك طامل السفن الآتية من كاليكوت بكل قسوة ، واستولى ^(٢)
على كثير من سفن المسلمين التي كانت ترسو في ماليندي ، ولجأ فاسكو
دي جاما إلى طريقة الخداع ، وهي الطريقة التي اتسم بها الزحف

(١) غسان على رمال : المرجع السابق / ص ٦٧ .

(٢) نوال حمزه صيرفي : المرجع السابق / ص ٩٤ .

الأوربي على العالم العربي ،وهي السمة التي غدت تطبع الأوربيين وتلون
(١)

أعمالهم طيلة التاريخ الحديث .

وأسفر البرتغاليون عن وجههم تماما في عام ٩٠٧هـ / ١٥٠١م حين
أغرق الأسطول البرتغالي في ميناء قاليقوت سفن التجار المصريين ومنها
سفينة تابعة للسلطان الغوري كانت على وشك الإبحار الى جدة ، وكانت
محملة بالتوابل وترتب على ذلك قلة البضائع الهندية الواصلة الى مصر والشام
، حتى أن سفن البندقية لم تستطع أن تحمل في العام التالي ٩٠٨هـ /
١٥٠٦م من موانئ مصر والشام سوى نصف القدر الذي تعودت أن تحصله
(٢)
من قبل .

وفي عام ٩١١هـ / ١٥٠٥م قرّر ملك البرتغال عمانويل أن يقضى على
السيطرة العربية على البحر والخليج والمحيط الهندي واتخذ الوسيلة
بإفاد مخططة لمحاولة احتلال ثغر عدن وجزر هرمز وملقا ، ولتنفيذ ذلك
بعث فرنسيكو دي الميدا حاكما للمستعمرات في الشرق فاتخذ الميدا من
(٣)
كوتسن قاعدة رئيسية وهذه انتشر فيها كثير من العلامح الصليبية .

(١) ابراهيم احمد المدوي : المرجع السابق / ص ٢٠٩

(٢) حسن احمد محمود : المرجع السابق / ص ٢٢٠ .

(٣) عبد الرحمن البهليكي : نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود ، ص ٢٢

ولما تحقق للبرتغاليين فى الوصول الى مياه الهند اصطدموا
بالمسلمين العرب بزعامه سلطنة الممالك فى مصر والشام وكانت الهزيمة
للممالك فى عام ١٥٠٩م وبدأ الخطر الصليبي على أشده فى أعقاب
هذه الهزيمة .

لذلك كان على العثمانيين حماية الشرق العربى الاسلامى من
الخطر البرتغالى الصليبي الذى كان قد استشرى ويمثل هذه القسوة
البالغة التى أشرنا اليها منذ أن نجح فى كشف طريق رأس الرجاء
الصالح الى الهند ، (وأيضاً بعد فشل الممالك فى موقعة ديو عام
٩١٥هـ
١٥٠٦م وعدم قدرتها على مواجهة البرتغاليين ، لذلك كله سعت
الدولة العثمانية الى ضم الشرق العربى وتهيئة نفسها للصراع البحرى
فى البحر الاحمر والمحيط الهندى والخليج العربى ، وحماية المشرق
الاسلامى بالاستيلاء على منافذه البحرية واغلاقها فى وجه التهديد الصليبي .
استقر فى أذهان الأوروبيين عن الأتراك العثمانيين الذين اعتبروا
أى نصر عسكري تحققه القوات العثمانية سواء فى البر أو البحر انما هو نصر
للاسلام وهزيمة للمسيحية ، وتأسيساً على هذه النظرة الأوروبية الى العثمانيين

(١) رأفت الشينخ : فى تاريخ العرب الحديث ، ص ٢٠ .

فان المحالفات الدولية التي تكونت ضد الدولة العثمانية عبر تاريخها
الحافل كانت في حد ذاتها محالفات صليبية ضد الاسلام أملتها روح
(١)
صليبية ووجهتها روح صليبية •

وتحامل بعض المؤرخين الأوروبيين الى أن العثمانيين واجهوا
تكتلات دولية صليبية في القرن السادس عشر ، كما واجهوا أمثال هذه
التكتلات من قبل ومن بعد هذا القرن ، ولعل الرأي الذي يديه معظم
المؤرخين الأوروبيين يخفى وراءه محاولة للتقليل من شأن الانتصارات التي
حققتها العثمانيون برا وبحرا ، أو لتبرير الهزائم التي نزلت بالشعوب
الأوروبية ، وهو على أى الحالتين يكشف عن نزعة صليبية لا تزال كامنة
مستقرة في نفوس فريق من المؤرخين الأوروبيين ، ومما يؤكد ذلك أن
(٢)
أحد الباحثين الأمريكيين وهو لوثرود ستودارد "Lothrop stoddard"
الذي أشار الى أن العالم المسيحي على اختلاف شعوبه كانت تسوده روح
صليبية وتعصب ديني عميق ، وكان يريد تحطيم الدولة العثمانية وغيرها
من الدول الاسلامية وسحق الاسلام ومضى يقول ان الدول المسيحية ظلت

(١) فائق بكر الصواف : المرجع السابق / ص ٢٣ •

(٢) عبدالعزيز الشناوي : المرجع السابق / ج ١ ص ٢٣ •

في عدائها وحقد ها على الدول الاسلامية تلجأ الى العدوان المسلح
ابتغاء اذلال الدول الاسلامية ، كما تعمل دائماً على القضاء على كل
حركة اصلاحية يحاولها المسلمون في بلادهم^{١٠} .

أما وقد اتضحت الحركة الصليبية في مطلع العصر الحديث الى هذا
الحد فقد رأت الدولة العثمانية نفسها في مفترق الطرق ، وبدأ واضحاً
أنها القوة الاسلامية الوحيدة في العالم الاسلامي حينئذ المسئولة عن
مواجهة هذا التحدي الصليبي والروح الصليبية وحماية العالم الاسلامي
والاماكن المقدسة الاسلامية من كل ما كان البرتغاليون يحملونه من شر
مستطير ومن ثم ولت وجهها الى ضم المشرق العربي وبناء حزام أمن .

(١٠) عبدالعزيز الشناوي : المرجع السابق / ج ١ ص ٧١ .

د - ضعف دولة المماليك :

لقد ركزت الحركة البرتغالية على تحقيق الحصار الاقتصادي على العالم الاسلامي والسيطرة على مواطن التوابل وانتزاع احتكاراتها وتحويلها الى أسواق لشبونة لتصبح المركز الرئيس لتوزيعها في أوروبا مما يؤدي الى حرمان مصر من أهم مواردها .
(١)

ونتيجة للكشوف البرتغالية أصبح هناك طريق بحري مباشر يربط بين الشرق والغرب واستطاع هذا الطريق المحيطي المكشوف ، أن يستحوذ على التجارة التي كانت تمر عبر الطريق البرمائي القديم فيما يشبه الأسر الملاحية Naval capture ، حيث قام هذا الطريق المحيطي ، بأسر الطريق البرمائي ، فتحول البحر الاحمر الى طريق ضامر Misfitsea-lane تقتصر أهميته على التجارة الساحلية ، وكان نتيجة هذا التحول أن انقطعت عن البحر الاحمر - أو كادت - الحركة البشرية وتيارات الحضارة الانسانية .
(٢)

فقد ضاعت فائدة البحر الاحمر كطريق رئيسي للتجارة بين الشرق والغرب ، وخوت خزائن المماليك .
(٣)

(١) محمد عبد المال احمد : المرجع السابق / ص ٦٨ .

(٢) محمود توفيق محمود : المرجع السابق / ص ٤٣ .

(٣) محمد عبد اللطيف البحراوي : المرجع السابق / ص ٤٥ .

وكان مطلع القرن السادس عشر الميلادي ، بمثابة انقلاب هائل
في طرق التجارة العالمية لأن البرتغاليين عبروا رأس الرجاء الصالح
وتمكنوا من تحويل الطرق التجارية عن طريقه ، وهذا سبب لمصر خسارة
مالية فادحة ، فقد كانت التجارة عبر دولة المماليك راجعة كبيرا ،
لأن مصر محل المراكز التجارية .^(١) وأيضا نجم عن هذا التحويل عزلة
مصر تجاريا وحضاريا عن العالم الخارجي ، بل كذلك نضوب منابع
الثروة في مصر على أواخر عهد الدولة المملوكية .^(٢)

وأصبحت دولة المماليك في أوائل القرن السادس عشر في حالة
من الإعياء الشديد بسبب تحول التجارة عن طريق مصر والبحر
الأحمر إلى طريق رأس الرجاء الصالح .^(٣)

نجح البرتغاليون في احتكار التجارة الشرقية ، وقاموا بتحويل

(١) غسان علي رمال : المرجع السابق / ص ٥٠ .

(٢) أحمد شلبي : المرجع السابق / ج ٥ ص ٢٣١ .

(٣) السيد رجب حراز : المرجع السابق / ص ١٥ .

(٤) رأفت الشيخ : في تاريخ العرب الحديث ، ص ٢٥ .

(١)
الجانب الأكبر من هذه التجارة ، الى الطريق الجديد حول أفريقيا ،
وكان هذا السبب الرئيسى فى ضعف دولة الممالك فقد كانت مصر تقوم
بنقل التجارة العالمية بين الشرق والغرب ، وهو النشاط التجاري
الذى بدأ منذ عهد الفاطميين . (٢)

ولقد لمس البرتغاليون ضخامة الأرباح التى يمكن أن يحققونها
من وراء اشتغالهم بتجارة الشرق ، فقد كان لدى فاسكودا جاما
عند عودته من رحلته الأولى قائمة بالفروق الضخمة بين أسعار التوابل . (٣)

ثم أخذت هذه التجارة تتحول تدريجيا عن مصر والبحر الأحمر
بعد أن كشف البرتغاليون طريق الوصول الى الهند والخليج العربى
بالطواف حول أفريقيا ورأس الرجاء الصالح .

وحاولت الدولة المملوكية إيقاف هذا التحول فبسطت نفوذها فى
البحر الأحمر وعلى اليمن ، ودخلت فى حرب بحرية مع الدولة البرتغالية

(١) السيد رجب حراز : المرجع السابق / ص ٨ .

(٢) عبد المنعم ماجد / المرجع السابق / ص ٧١ .

(٣) السيد مصطفى سالم : المرجع السابق / ص ٥٤ .

كان نصيبها فيها الهزيمة والتراجع ، ولقد حرم هذا التحول التجارى مصر
(١)
من مصدر مالى هام كما لم تعد مصر بسببه سوقا تجاريا عالميا ، وكان هذا
(٢)
ضرورة اقتصادية قاسمة ، ولم تكن الخسارة وتحول التجارة العالمية
واقعة على دولة الممالك فحسب ، وانما أصيبت بها كذلك المراكز التجارية
بجنوب أوروبا بخاصة البندقية ، لذلك اتجه السلطان الغورى مع البنادقة
على حرب البرتغال فى محاولة لاستعادة مكانة البحر المتوسط ، وأنشأ
السلطان الغورى لذلك أسطولا كبيرا ، وسرعان ما ظهر هذا الأسطول
فى المحيط الهندى وتصدى للأسطول البرتغالى ، ووقعت معه موقعة
بحرية بالقرب من شواطئ بمباى ، انتصر فيها المصريون انتصارا كبيرا ،
(٣)
ولكن البرتغاليين سرعان ما أعدوا أسطولا آخر لمواجهة المصريين ، وحدثت
موقعة أخرى سنة ١٥٠٩م انتصر فيها البرتغاليون انتصارا ثبت مركزهم
(٤)
البحرى ، وبعد هزيمة الأسطول المملوكى فى هذه الموقعة ، فسر
البرتغاليون حصارا قويا لمنع السفن القادمة من الهند من دخول البحر

(١) محمد أنيس : المرجع السابق / ص ١٠٤ .

(٢) عبدالعزيز سليمان نوار : المرجع السابق / ص ٧٩ .

(٣) احمد شلبى : المرجع السابق / ج ٥ ص ٢٢٣ .

(٤) الشاطربصلى عبد الجليل : المرجع السابق / ص ١٣١ .

الأحمر والموانئ العربية ، واستطاعت السفن البرتغالية بهذه العملية
أن تعزل موانئ البحر الأحمر وخاصة جدة وسواكن والسويس ،
وأن تمنع وصول التوابل والسلع الأخرى إليها ولذا ضعف النشاط
التجاري في البحر الأحمر ، وهو الأمر الذي دفع تجار الفرنجة إلى
أسواق لشبونة بدلا من أسواق مصر والشام . واشتدت الأزمة الاقتصادية
بسبب ذلك في مصر عام ١٥١٤م " ٩٢٠هـ " وأدت إلى خراب الاسكندرية
وجدة ومياط . بسبب عدم وصول سفن من الموانئ الشرقية .

(١)

ولو عدنا إلى السبب الرئيسي في سقوط الممالك لوجدنا أن هيمنة
البرتغاليين على التجارة لم تكن العامل الرئيسي الأول في تدهور
السلطنة المملوكية في مصر .

بقدر ما كانت عوامل الضعف الداخلية هي التي أثرت في انهيار

نظم حكمها ، وكانت دولة المماليك عندما رأت أن الطرق التجارية
مريحة انصرفت إليها ، وأهملت الدعاية القديمة للاقتصاد المصري ،

(٢)

وفي حوالي منتصف القرن الرابع عشر الميلادي انتهى عصر المماليك

(١) نوال حمزه صيرفي : المرجع السابق / ص ١١٠ .

١١٠

(٢) غسان على رمال : المرجع السابق / ص ١١٣ .

العظام وخلفهم مما ليك ضعاف لا يقتدرون على ما اقتدر عليه الرعييل الأول
منهم ، ولم يستطع أحدهم أن يوقف جنده عند حده فبدأ جنودهم يعيشون
بالبلاد ويركبنها بكل مساء ، من غير أن يكون عليهم حرج من سلطان ،
فاشتد الضعف بالبلاد ووصلت في أواخر القرن الرابع عشر الى حال من
الضعف والاضطراب لم تعهد عليها في أسود أيامها ، وأقترن هذا الهبوط
التام بظهور فئة جديدة من المماليك عرفت باسم المماليك الجراكسة ، نصبت
الامر من آخر البحرية وأستبدت بالامر استبداداً عظيماً وأيضاً أهملهم
تأريخهم التقليدي في الفروسية ، وكرههم استخدام الأسلحة النارية ،
ويعود انحطاط تأريخ الفروسية ، في الفترة الشركسية ، الى عوامل داخلية
(١)
أدت الى انهيار الجيش المملوكي ، وأيضاً انتشار الأوبئة والقحط ، وما ترتب
عليها من غلاء فاحش مع المبالغة في فرض الضرائب ، هذا بالإضافة الى عدم
الاستقرار الناتج عن الخلافات والمنازعات الدائمة بين طوائف المماليك ،
الامر الذي تولى خمسة من السلاطين خلال السنوات الخمس التي أعقبت
وفاة قايتباي مما جعل فترة حكم سادسهم ، وهو السلطان الأشرف القسوى

(١) حسين مؤنس : الشرق الاسلامي في العصر الحديث ، ص ٢٦ .

(٢) عبد الكريم رافق : بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني الى

حملة نابليون بونابرت ، ص ٢١ .

(١)

" ٩٠٦ - ٩٢٢ هـ " " ١٥٠١ - ١٥١٦ م " فترة تنذر بنهاية محنة ،

حيث كان لا يعرف على من يعتمد عليه من رجاله وأمرائه وكان غريب الأطوار

(٢)

في ذاته ، وضعفت الدولة ، وتمركزت مظاهر هذا الضعف في عهده وكانت

دولة المماليك تبسط سيطرتها على البحر الأحمر وتحصى الحرمين وتدافع

عن زمار المسلمين وتتمركز في جدة وتتخذها قاعدة بحرية وبرية ، وكان

ضعفها معناه اقتحام البحر الأحمر من بابة الجنوب ، لذلك عند انهيار

هذه الدولة كان على الدولة العثمانية مسئولية حماية الحرمين الشريفين .^(٣)

(١) محمد عبد العال أحمد : المرجع السابق / ص ٧٧ .

(٢) محمد كرد علي : المرجع السابق / الجزء الأول ، ص ٢٠٦ .

(٣) حسن أحمد محمود : المرجع السابق / ص ٢١٦ .

هـ - الخطر الفارسي الشيعي :

شهد المشرق الاسلامي قيام قوة اتلímica في بلاد ايران ، هـى
الدولة الصفوية • وترجع أصول هذه الدولة الى نهضة دينية قام بها
أحد شيوخ أردبيل المسمى صفى الدين ، من أحفاد موسى الكاظم اذ
دعى الى المذهب الشيعي بين القبائل المجاورة له وجعل من اقليم جيلان
مركزا لحركته الاسلامية ، وزادت قوة صفى الدين حين دعم أوامر الصلوة
بينه وبين أوزون حسن ، شيخ قبيلة " الشاه البيضاء التركمانية " فقد
امتزجت الدعوة للشيعنة بالقوة العسكرية .^(١)

وقد تعلم الشيخ صفى الدين فى صفه العلوم الدينية والعقلية
وتصوف وأصبح مرشدا لجماعة من المتصوفة والدراويش ، وفكر فى الرحيل الى
ايران ، ولكنه نزل بشيراز حيث اتصل بالشاعر " سعدى الشيرازى " ، واتصل
بالشيخ زاهد الكيلانى الذى تزوج ابنته وعهد اليه الشيخ زاهد بمقام
الارشاد فى طريقته الصوفية • فى أردبيل ، فى أذربيجان ، فى أواخر
القرن الثالث عشر • وقد توفى الشيخ صفى الدين سنة ١٣٢٤ هـ .^(٢)
١٦٧٢ هـ /^(٣)

(١) ابراهيم العدوى : المرجع السابق / ص ١٨٣ •

(٢) مصطفى رمضان : المرجع السابق / ص ٢١ •

(٣) عبد الكريم رافق : المرجع السابق / ص ٥١ •

وبعد وفاته خلف في ارشاده ابنه صدر الدين وبعد ابنه الشيخ
على في تلقين الطريقة وبوفاته جاءت النوبة الى الشيخ ابراهيم فصار
صاحب الارشاد وخلفه في المشيخة ابنه الشيخ جنيد ، وهذا الكرمير
وذاع صيته وتزايدت شهرته في أنحاء ايران أيام السلطان جهان شاه
من ملوك قراقونيلو وذلك لما التجأ الشيخ جنيد الى طايقة آق قوتيلو
صاهره أوزن حسن بيك وزوجه بنته خديجة بيكم فولدت له الشيخ حيدر ،
ولما استولى أوزن حسن بيك على البلاد وطرد عنها ملوك قراقونيلو وأضعفهم
عاد الشيخ جنيد مع ولده الشيخ حيدر الى أردبيل وكثر مریدوه وأتباعه وتقوى
بأوزن حسن بيك لأنه صهره ، وكان الشيخ جنيد أيام وجوده في أنحاء
حلب ، يرمى بأنه مشعشع المذهب ، وأنه تارك للجماعة ، ونسبت اليه
أشياء أخرى وقد سكن كلس ، وللناس فيه اعتقاد عظيم بسبب أبيه وجده ،
ويأترون بأمه ولا ينفلون عن خدمته ، ويشارون على لزوم بابه ، ويأتيه الناس
(٢)
من الروم والعجم .

(١) الشيخ قطب الدين النهروالي : المصدر السابق / ج ٣ ص ٢٢٢ .

(٢) عباس العزاوي : المرجع السابق / الجزء

الثالث ، ص ٣٣٤ .

٨٥٤/٨٦٢ هـ

وفي الفترة بين عام ١٤٤٨م و ١٤٥٦م طرد الشيخ جنيد ،

حفيد الشيخ على ، من أردبيل ، فأتصل بأوزون حسن ، وأقام عنده

٨٦٢/٨٦٥ هـ

ثلاث سنوات " ١٤٥٦ - ١٤٥٩م " ، وتزوج من أخته ، كما أن الشيخ

(١)

جنيدا أقام علاقات مع السلطان العثماني .

وفي عهد السلطان " جنيد " اكتسبت فرقة الصفويين قدرة أوسع

على الحركة فقد بدأ يكشف عن رغبته في الملك تدريجيا بتحويله الدعوة

المذهبية الى حركة سياسية تعتمد في اثبات وجودها على العدد الضخم

من المريدين ، فبدأ جنيد يطلق على نفسه لقب سلطان بدلاً من لقب

شيخ الموروث ، وتابع خطاه السياسية بتدعيم عسكري فجند أعدادا كبيرة

في مقرأسرته " أردبيل " واستطاع ان يقيم حكما مستقلا في هذه المدينة .

وقد أثار هذا العمل ضيق " جهانشاه " التركماني رئيسأسرة

" قراقويونلو " فأجبر جنيدا على الرحيل الى ديار بكر حيث استقبله

" أوزن حسين " رئيسأسرة آق قويونلو التركمانية وأحسن وفادته وزوجه

أخته ، وبعد مدة عاد الى أردبيل ، ولما رأى ، كثرة المريدين لعبست

الرغبة في الملك برأسه وحول المريدين الى عسكر وتوجه الى " شيروان "

(١) عبد الكريم رافق : المرجع السابق / ص ٥٢ .

فهاجمها حاكمها ولكنه منى بالهزيمة وقتل عام ١٢٨٦هـ / ١٩٥٥م .

ومع أن هذه الحرب كانت الأولى في تاريخ الصفويين وانتهت لغير

صالحهم إلا أنها كانت في نفس الوقت بمثابة البداية لظهورهم على المسرح

(١)

السياسي كقوة جديدة تطمح في عرش إيران .

تولى الشيخ حيدر السلطة الصفوية بعد وفاة والده الشيخ جنيد .

وهذا جعل مريديه صنفا خاصا ووضع لهم كموة رأس ليمتازوا عن سائر

الحمراء

الناس فكانت علامتهم لبس العمامة / من الجوخ وفيه اثنا عشر طية عسلى

(٢)

عدد الأئمة الاثنى عشر ، ومن ثم سموا بين الناس محمر الرؤوس "قزليباش" .

وتمكن شيوخ الصفويين على الانتقال من شيوخ طريقة ورجال تصوف السـ

مؤسسي دولة ذات أهداف سياسية ومذهبية ، غيرت وجه التاريخ الإيراني

واعتنقت مجموعة كبيرة من القبائل المتناثرة في إيران المذهب الشيعي وانخرطوا

في زمرة " صوفيان صافي " أو مريدي شيوخ الصفوية ، ونهض " جنيد " جد

الشاها اسماعيل و " حيدر " والده نهضة حربية فأخذوا يجاهدان من أجل

(١) مصطفى رمضان : الدولة العثمانية وعلاقتها بالعالم الاسلامي

وأوربا ، ص ٢٣ .

(٢) عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، الجزء الثالث ،

ص ٣٢٩ .

الوصول الى السلطة اعتمادا على فدائية واخلص الاتباع " القزلباش " .

وأضاف حيدر لقب سلطان الى اسمه بالاضافة الى لقبه الروحي الموروث

" الشيخ " وخطا بذلك خطوات ثابتة نحو السلطة وهياً المناخ لابنسه

اسماعيل فأعلن قيام الدولة الصفوية بعد ذلك عام ٩٠٧هـ / ١٥٠٢م .

مستفيدا من مركزه الروحي والمعنوي ومستخدما أفراد قبائل القزلباش

(١)

الذين استماتوا في سبيل نصرته المذهب الشيعي .

وكان المذهب السني يعيش في سلام جنبا الى جنب مع المذهب

الشيعي ولكن حركة الشاه اسماعيل الصفوي في بث المذهب الشيعي عنوة

او بالقوة في آسيا الصغرى أثار السنة في آسيا الصغرى ، كما أثار الدولة

العثمانية فقام النزاع بين الدولتين السنية والشيعية وهذا النزاع قسم العالم

الاسلامي الموحد في ثقافته وفي اتجاهاته الفكرية الى عالمين متنافرين اشد

(٢)

النفور عالم شيعي صفوي وعالم عثماني سني . وقد أثار هذا نقمة العثمانيين ،

وكان الصفويون الشيعة يسكنون مقاطعات الأناضول الشرقية ، الواقعة ضمن

الدولة العثمانية ، كثير من القبائل التركمانية ، من شيعة وغيرها ، وأخذت

(١) مصطفى رمضان : المرجع السابق / ص ٢٥ .

(٢) محمد انيس : المرجع السابق / ص ١٠٧ .

هذه التبايل تتجارب مع دعوة الشاه اسماعيل الشيعية ، لأنها اعتبرت
تركمانيا مثلها ، وقامت في سنة ١٢١٦هـ / ١٥١٠ - ١٥١١ م حركة بين
تركمان الأناضول بقيادة رجل يدعى شيطان قولى " وتعنى عبد الشيطان
ورما سمى بذلك من قبل أعدائه بسبب شره " ، الذى أعلن ولاءه للشاه
اسماعيل ، والتفت من حوله جموع من التركمان ، مما أضطر العثمانيين
الى ارسال قوة قضت على حركته . وكانت هذه الحركة انذارا للعثمانيين
بالخطر الذى يمثله الشاه اسماعيل بالنسبة لسكان الدولة العثمانية
(١)
بالذات .

والشاه اسماعيل هو ابن الشيخ حيدر بن الشيخ جنيد بن الشيخ
ابراهيم بن سلطان خواجه شيخ على بن الشيخ صدر الدين موسى ابن
الشيخ صفى الدين اسحاق الأردبيلي واليه ينسب أولاده فيقال لهم
(٢)
الصغويون .

وقد تلقن الشاه اسماعيل مذهب الشيعة بالرغم من صغر سنه وحول

(١) عيد الكرم رافق : المرجع السابق / ص ٥٤ .

(٢) الشيخ قطب الدين النهروالى : المصدر السابق /
الجزء الثالث ، ص ٢٧١ .

وجهته نحو أردبيل فكون جيشا من مؤيدي أبيه وجدّه هناك ، وبقي في أردبيل
(١)

وأذربيجان مدة وانتهز اسماعيل الصفوي الصراع بين أمراء الآق قوينلو ، وأخذ

يكون له دولة على حساب هؤلاء المتصارعين ، وقد تحقق لإسماعيل الصفوي

ما أراد ، فأسس الاسرة الصفوية ، ثم أخذ حكمه يتسع حتى امتد من جيحون

الى خليج البصرة ومن أفغانستان الى الفرات ، وأستولى على بغداد سنة

(٢)

٩١٤ هـ ، وأصبحت العراق ولاية تابعة لملك الصفويين *

وكان ظهور الشاه اسماعيل عجيبا واستيلاؤه على ملوك العجم بعد

من الأعاجيب ، ففتك في البلاد وسفك دماء العباد ، وأظهر مذهب الزندقة والالحاد
وكان يأتيه مريدو والده خفية ويعتقدون فيه ، ويطلبون
بالبيت الذي هو فيه الى أن كثر أتباعه فخرج هو ومن معه من لاهجان وأظهر

الخروج لأخذ ثأر والده وجدّه في أواخر سنة ٩٠٥ هـ وعمره يومئذ ثلاث عشرة

سنة وقصد مملكة الشروان لقتال شروان شاه قاتل أبيه وجدّه وكلما سار منزلا

كثر عليه داعية الفساد واجتمع عليه عسكر كثير الى أن وصل الى بلاد شروان

فخرج لمقاتلته شروان شاه بعساكره وقاتلهم وقتلوه فانهزم عسكر الشروان وأسر

(١) غياث العزراوي : المرجع السابق / الجزء

الثالث ، ص ٣٣٥ .

(٢) احمد شلبي : المرجع السابق / ج ٢ ص ٧٧٦ .

(١)
شروان شاه وأتوا به الى شاه اسماعيل أسيرا وكان ذلك أول فتوحاته .

وحصل للشاه اسماعيل وقعات وأستولى على خزائن عظيمة ، ولا يتوجه
(٢)
الى بلاد الا أخذها ويقتل جميع من فيها وينهب أموالهم الى أن ملك تبريز
، فاتخذ تبريز عاصمة له ، بخلاف الدول الفارسية التي كانت تتركز على
(٣)
على الجنوب وخاصة في شيراز .

٩١٤ هـ
ولقد توسعت ممتلكات الشاه اسماعيل في عام ١٥٠٨ م فأصبحت تمتد
من هراة في الشرق الى بغداد وديار بكر في الغرب ، كما جعل المذهب
(٤)
الشيعي مذهب الدولة الرسمي ، وأخذ ينشره خارج حدوده .

١٥٠٨ /
وفي سنة ٩١٤ هـ أرسل الشاه اسماعيل جيوشا لا تحصى تحت قيادة
لاله حسين للاستيلاء على بغداد فهرب باريك منها الى أنحاء حلب فدخلها
اللاله وفي عقبه وافي الشاه وهذا خرب المدينة التي هي مهد مرآتد أئمة
(٥)
الدين والمشايع ، وقتل من أهل السنة وأتقياء الأمة ، وكان غزو الشاه اسماعيل

(١) قطب الدين النهروالي : المصدر السابق / الجزء الثالث ،
ص ٢٧٤ .

(٢) عثمان بن عبد الله بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، ص ١٩٣ .

(٣) صلاح العقاد : المرجع السابق / ص ١٨ .

(٤) عبد الكريم رافق : المرجع السابق / ص ٥٣ .

(٥) عباس العزاوي : المرجع السابق / الجزء الثالث ، ص ٣٤١ .

للعراق بحجة أن هذا الاقليم يضم مقابر ائمة الشيعة في كربلاء والنجف ،
وهي التي يطلق عليها الشيعة المزارات والقباب المقدسة ، وقد قتل أثناء^(١)
غزوه للعراق ما يزيد على ألف ألف من المسلمين ، وكان يدعى الشاه اسماعيل
الربوبية ، وكان يسجد له عسكره ويأتمرون بأمره وقتل خلقا لا يحصون بحيث^(٢)
لا يعهد في الاسلام ولا في الجاهلية ولا في الامم السابقة من قتل من
النفوس ما قتله شاه اسماعيل وقتل عدة من أعظم العلماء بحيث لم يبق أحدا
من اهل العلم في بلاد العجم وأحرق جميع كتبهم ومصاحفهم لأنها مصاحف
اهل السنة وكلما مر بقبور المشايخ نبشها وأخرج عظامهم وأحرقها .^(٣)

وقد نجح الشاه اسماعيل في نشر المذهب الشيعي في ربوع العراق ،
وأصبح الشيعة يشكلون قطاعا رئيسيا من قطاعات السكان ، ولهم تقاليد هم
وعاداتهم ولا يرضون عنها بدلا ، إذ أصبحت جزءا من عقيدتهم الدينية ،
وكان الشيعة من اهل فارس قد هدموا القبة والضريح^(٤) . وقام الشاه اسماعيل

(١) فائق بكر الصواف : المرجع السابق ص / ٢٦ .

(٢) محمد آديب تقى الدين الحسيني : كتاب منتخبات التواريخ لدمشق ،
ص ٥٧٣ .

(٣) قطب الدين النهروالي : المصدر السابق / الجزء الثالث ،
ص ٣٦٠ .

عبد العزيز الشناوي : المرجع السابق / الجزء
الأول ، ص ٢٥ .

بيد حديدية وحاول أن يقضى على كافة الحكومات الإسلامية بما أسداه
من شدة وأعاد للناس ذكرى وقائع تيمور وأمثاله والحكومات كانت مضغعة
الجانب ، والأقوام والشعوب منهوكة القوى .^(١)

كما اعتبر العثمانيون أنفسهم حماة الإسلام من المسيحية ، فقد
اعتبروا أنفسهم كذلك حماة المذهب السنن من الشيعة في فارس ،
واشتعلت بين العثمانيين والفرس كراهية شديدة ، وامتزجت الكراهية
السياسية بالكراهية المذهبية ، ونشأت أولاهما بسبب تطلع كل من
الدولتين الكبيرتين إلى المجد وزعامة العالم الإسلامي ، وتتجلى الثانية
فيما كتبه سليم الأول إلى الشاه اسماعيل قائلا " ان علماءنا ورجال القانون
قد حكموا عليك بالقصاص يا اسماعيل بصفتك مرتدا "

لكل ذلك نشبت الحروب بين الدولتين وهى حروب كانت نتائجها
حاسمة وخطيرة بالنسبة للفرس والعثمانيين والعالم كله ، لذلك صمم السلطان
سليم على غزو فارس وتحطيم قوة الصفويين وتم له ما أراد في موقعة جالديران
عام ١٥١٤م فأمّن بذلك حدوده الشرقية وأخرج الصفويين من قائمة القسوى
٩٢٠هـ /

(١) عباس العزاوى : المرجع السابق / الجزء الثالث ، ص ٣٦٠

(٢) محمد عبد اللطيف البحراوى : المرجع السابق /

(١)

التي تستطيع أن تقف حائلا أمامه .

وكان البرتغاليون على اتصال بالفرس ، يوزونهم ويمدوهم

بالمعونات الحربية ويرسلون اليهم الخبراء لتدريسهم على صناعة الأسلحة

(٢)

الحدیثة وطرق استعمالها وكل هذا لأجل القضاء على الدولة العثمانية .

وسبب الهزائم التي لحقت بالصفويين على يد العثمانيين في أعقاب "مؤاديران"

٩٢٠هـ /

عام ١٥١٤م ، وعلى أمل إيجاد نوع من التفاهم والتعاون بينهم وبين البرتغاليين

لمواجهة العثمانيين قبلوا بالتنازل عن هرمز للبرتغاليين ، وذلك على أمل

(٣)

قيام البرتغاليين بتزويد فارس بالسفن اللازمة لمد نفوذها نحو البحرين والقطيف .

(١) محمد عبد المنعم السيد الراقدة : الغزو العثماني لمصر وتنازله على الوطن

العربي ص ١٣١ .

(٢) عبد الحميد البطريق : المرجع السابق / ص ٢٤ .

(٣) بدر الدين عباس الخصوصي : دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث

والمعاصر ، ص ٢١ .

الفصل الأول

التهديد الصليبي لاستعمار جنوب العالم الإسلامي

أ - وصول البرتغاليين .

ب - مكة والمدينة في خطط البرتغاليين .

ج - دور شهاب الدين أحمد بن ماجد العماني صاحب " الفوائد في أصول علم البحر والقواعد .

د - بحر العرب والحماية الطبيعية للساحل الجنوبي للجزيرة العربية .

١ - وصول البرتغاليين :

استقر في أذهان الكثير من الأوربيين أن تجارة التوابل هي العامل الأول في قوة العثمانيين وبالتالي هي أساس من أسس تقدمهم في أوراسيا ودك عروشها ، فازداد حقد هم ازد ياداً بعث فيهم روح الاقدام للبحث عن طريق آخر يقضى على طريق الخليج الفارسي والبحر الأحمر اللذين سيطر عليهما العثمانيون ، واقتراح الجنويون على الخان أرغون صاحب فارس خطة يرمون من ورائها الى تحويل تجارة الأفاوية مع ملبار الى الخليج الفارسي ، ومن ثم تحمل برا الى موانئ شرقى البحر المتوسط ، وكانت الفكرة تقتضى بأن يبنى الجنويون أسطولا على الخليج الفارسي يغلق البحر الاحمر في وجه التجارة الهندية ، ويصف هدسن الجهود التي بذلها الملاحون الأوربيون في سبيل كشف ذلك الطريق ، وأشد ها اشارة للاهتمام تلك الرحلة التي قام بها أجولينوى فيفال دو ، الذي دفعه قصده الصريح الى كشف طريق الى الهند .^(٢)

وقامت دول أوربية طامعة في ثروات الشرق تضع الخطاط للوصول اليه عن طريق البحر ، فنشطت وطورت صناعة السفن وآلات الحرب والدمار وأرسلت الجواسيس الى الأقطار الشرقية والبعثات الاستكشافية البحرية ساحل افريقية

(١) محمد البصراوي : المرجع السابق / ص ٥٤ .

(٢) ك . م . بانيكار : المرجع السابق / ص ٢٣ .

(١)

الغربي ، وكانت البرتغال أولى دول أوربة التي اهتمت بالوصول الى الشرق .

وقد شاهد البرتغاليون مدى ثراء البنادقة والجنوبيين ، نتيجة احتكارهم نقل السلع الشرقية من موانئ مصر والشام الى أوروبا ، وعـرف البرتغاليون أيضا مدى سيطرة المسلمين على كل الطرق التجارية المؤدية الى الشرق ، فالعالم الاسلامي بموقعه الفريد بين الشرق والغرب ، أصبح المتصرف الوحيد لتجارة الشرق ، وأستفادت موانئهم من التجارة من الضرائب المفروضة على هذه المتاجرة وأدرك البرتغاليون ان التجارة هي أحد أسباب قوة عدوهم ، لذلك رأوا ضرورة القضاء على احتكار المسلمين للتجارة الشرقية وخاصة التوابل وذلك لتحقيق هدفهم الرئيسي ، ألا وهو القضاء على الاسلام والمسلمين .

(٢)

وأدرك الدوم هنري منذ البداية ان الخطوة الاستهلاكية الجوهرية لنجاح الحملة الموجهة الى الشرق هي ارتياد الشاطئ الافريقي وكشفه وكان يقع الى جنوب رأس باجادور منطقة غير مأهولة لم يمر من خلالها أي ملاح أوربي قبل ذلك ، كما أنه لم يكن تم بارقة تبشر بامكان وصول أية حملة الى رأس الرجاء الصالح ، فضلا عن التوغل في المحيط الهندي ، حتى تستطيع السفن

(١) حسن صالح شهاب : المرجع السابق / ، ص ١٤٣ .

(٢) نوال حمزه صيرفي : المرجع السابق /

أن تكتشف الأراضي الواقعة وراء الصحراء ، بيد أن البحارة أظهروا نفورا لا
سبيل إلى قهره والتغلب عليه خشية - فيما يقال - أن يصبحوا جميعا - من
السود الزنوج ان هم تجاوزوا باجا دور ، وقد أكتشفت جزر ما ديرا في
عام ١٤٢٠م وجزر أزورس في عام ١٤٣١م وبعد القيام بأربع عشرة محاولة
مخفقة ، تمكنت إحدى حملاته بقيادة جل ايانس من عبور رأس باجادور في عام
١٤٣٩م ، ثم بلغت سفنه بعد ذلك ساحل غينيا التي كانت في ذلك الأوان
سوقا عظيمة للذهب المصدر من تمبكتو ، وما لبث أحد ربابنته أن عبر ذلك
خط الاستواء وبلغ مناطق ليست بأي حال امتدادا للصحراء الكبرى .
(١)

/٥٨٨٠

وفي سنة ١٤٧٥م عبرت سفن فرنا وجومز Fernao Gomes خط

الاستواء ثم وصل ديو جو كاو "Dio go cao" من كبار رجال البحار
البرتغاليين إلى مصب الكنفو سنة ١٤٨٣م ، وبعد ذلك بأربع سنوات دار
بارثولميودياز Bartolomeu Dias حول رأس الرجاء الصالح ، والذي
(٢)

واجه لدى وصوله إلى الطرف الجنوبي لأفريقيا عواصف عنيفة مما حدا به إلى
تسمية ذلك الرأس برأس العواصف وعند ما عاد إلى ملك البرتغال وقدّم نتيجة
اكتشافه وما صادفه من أهوال ووصف للعواصف التي صادفته تفاءل ملك
البرتغال بذلك الكشف الذي اعتبره المدخل إلى الثروة الخيالية والمجد العريض

(١) ك م . بانيكار : المرجع السابق / ، ص ٢٦ .

(٢) جيمس دافى : الاستعمار البرتغالي في أفريقيا ، ص ٣٣ .

(١)

فسماء تفاولا " رأس الرجاء الصالح " ولكن لم يتوصل الى نتيجة ، وبعد
٩٠٠/٨٨٦ هـ
عدم توصله الى نتيجة أرسل ملك البرتغال يوحنا الثاني " ١٤٨١ - ١٤٩٥ م

اثنين من أتباعه الى الشرق ولكنهما عادا لعدم اجادتهما اللغة العربية وقام
الملك بمحاولة أخرى فأرسل خادمه الخاص بيرو دي كوفلهام ومعه رسول آخر
هو " دي بيفا " الى الشرق ، وكان دي كوفلهام هذا يجيد عدة لغات

(٢)

منها اللغة العربية منذ أن كان أسيرا في المغرب وهو جندى وجاسوس بعث
به العاهل البرتغالي سفيرا له لدى " البرسترجون " فاتخذ ثياب المسلمين

(٣)

وركب سفينة عربية من النوع المسمى بالدهو ، وخرج بيرو دي كوفلهام
" Perode Covilham والفونسو دي بيفا " Alfonso Paiv للبحث عن بلاد
التوابل ، وفصل كوافيلوا عن أصدقائه من عدن متخذاً طريقه الى جزر الكنار
(٤)
وكلكتا وجوا وهرمز على الخليج .

ثم أعاد ملك البرتغال الكرة ، للوصول بالسير جنوب افريقية فأرسل
أحد رجال حاشيته وهو فاسكو داجاما ، ولذلك كان أول من أكمل الرحلة
(٥)
وأرتاد المحيط الهندي ، والذي اكتشف الدورة حول أفريقيا عن طريق رأس
الرجاء الصالح ، ولم يكن في الامكان قبل هذه الرحلة رسم شبه الجزيرة

-
- (١) عبد الرحمن البهلكي : نفع العود في سيرة دولة الشريف حمود ، ص ١٨
(٢) السيد مصطفى سالم : المرجع السابق / ص ٤٨ .
(٣) ك . م . بانيسكار : المرجع السابق / ص ٢٠ .
(٤) ج . ج . لوريمر : المرجع السابق / الجزء الاول ، ص ١١ .
(٥) محمد البحراوى : المرجع السابق / ص ٥٩ .

على الخرائط العالمية الا استنادا الى معطيات بطليموس وقد وصل

(١) / ٩٠٣هـ

" دء جاما " الى سواحل جنوبى شبه جزيرة العرب فى سنة ١٤٩٨ م ، حيث
/ ٩٠٢هـ

بدأ فى الثامن من يوليو عام ١٤٩٧ م وذلك بأن اقلعت أربع سفن من ميناء

بلم على مصب نهر التاجه ، وكان على رأس هذه الحملة فاسكو د جاما ،

وكانت سفينة القيادة المسماة سان جابريل والتي تحمل عشرين مدفعا وزميلتها

سان رافاييل التى يقودها بول داجاما الأخ الأصغر لفاسكو ، وكانت السفينة

الثالثة سفينة كارافل على حين أن الرابعة كانت سفينة بضائع بقيادة جوفالونوس

ضابط العتاد الحرس ، وكانت سفينة القائد الريان الأكبر ترفع على ساريتها

علما رسم عليه صليب كبير للمسيح كما كانت تحمل المدافع أيضا وهم الرمزان

(٢)

اللذان اتخذتهما القوة الجديدة الزاحفة على الشرق .

فوصل فى بداية شهر مارس من العام التالى الى جزيرة موزمبيق ، ثم

تجول فى مياه ساحل شرق افريقية ، ولكن داجاما لم يكن دبلوماسيا ، ولذلك

خلق المتاعب مع المشايخ والأمراء فى ممبسة وموزمبيق ولم يستقبل بحفاوة الا فى

مالندى "Malindi" بسبب ما كان بينها وبين ممبسة من العداة ، وأصبحت

هذه الامارة حليفة للبرتغال وذلك بعد مرافقة أحد المالنديين دى جاما عبر

(٣)

المحيط الهندى الى كاليكوت .

(١) محمود كمال : المرجع السابق / ص ١٩٩ .

(٢) ك . م . بانيكار : المرجع السابق / ص ٢٩ .

(٣) جيمس دافى : المرجع السابق / ص ٧٩ .

وهكذا وصلت البرتغال الى الهند ، عن طريق البحر ، دون ما حاجة
للمرور بأراضى الدول الاسلامية فى مصر والشام ، ولم كانت دهشة البرتغاليين
، حين وجدوا ان تجارة الهند والشرق كلها بيد العرب ، وأن وسائل النقل
عربية فى غلبتها ، وأن للعرب نفوذا كبيرا لدى ملك قاليقوت كما رأوا كثرة
المدن العربية ، والجاليات الاسلامية وعلى سواحل المحيط الهندى (١)

/٩٠٧هـ

وعند ما قام فاسكو داجاما برحلته الى الهند عام ١٥٠٢م ، كلف أحد
قاده بالاقامة الدائمة على رأس خمس سفن حربية عند مدخل البحر الأحمر
لمهاجمة السفن العربية ولمنع السفن المختلفة من المتاجرة فى مياه المحيط
الهندى الا بتصريح خاص من البرتغاليين ، وقد ركز البرتغاليون على ارسال
الأساطيل التى تتابع وصولها الى المياه الهندية حتى بلغت سنة ١٥٠٢م من
الكثرة بحيث أمكن استخدامها ليس فقط فى القيام بأعمال القرصنة ضد السفن
التجارية العربية فى عرض البحر ، بل وفى العمل على اغلاق منافذ البحر الأحمر
والخليج ، وشجعهم على ذلك عدم تعرضهم لأية مقاومة جادة ضد هم ، وهكذا
لم تضى هذه السدوات الخمس حتى اشتدت وطأتهم فى ضرب التجارة الاسلامية
وبذلك بدأت مرحلة جديدة ، ان قام فاسكو داجاما باستخدام أعنف أساليب
القرصنة ضد التجار والحجاج المسلمين واستولى على بعض السفن العربية ،

(١) محمد كمال الدسوقي : المرجع السابق / ص ٤١٢ .

(٢) السيد مصطفى سالم : المرجع السابق / ص ٥٣ .

كما قام بتخصيص بعض قطع أسطوله للمرابطة بالقرب من باب المندب لاعتلاق
(١)
البحر الأحمر وفرض الحصار عليه .

وبوصول فاسكو دى جاما الى كاليكوت ، تمكنت أوروبا من تحقيق
أغراضها عن طريق البرتغاليين ، أصحاب السبق الأول فى الوصول ، وعلى الرغم
من كونهم على علم بمدى ما يملكه الشرق من خيرات تجلت فى تلك الفرائس
الباهظة التى كانوا يدفعونها ، الى جانب ذلك الشعور التقليدى بالسيطرة
على خيرات الشرق فان الدهشة لم تلبث ان اخذتهم بما شاهدوه من خلال
(٢)
زيارتهم الأولى للمحيط الهندى وعقب رحلة فاسكو دى جاما الى الهند بدأ
البرتغاليون فى الحال يرسلون بعثات تجارية منتظمة الى الهند والشرق وبدأت
سفنهم تظهر شيئاً فشيئاً فى مياه المحيط الهندى ، واقصاء العرب عن تلك
الجهات وكانت سفن البرتغاليين تأتى ومعها العسكر والبنادق والمدافع ، ثم
(٣)
عمدوا الى تحصين المواقع ، وبناء القلاع فى مراكز الدفاع الهامة ، وبدأوا
يؤسسون سيطرتهم فى المحيط الهندى ، وقبل اكتشافهم رأس الرجاء الصالح
كانت تساق الأشياء بواسطة سفن العرب الى مصر ومنها بواسطة سفن الوندىك
(٤)
الى أوروبا ، وبعد هذا الاكتشاف تغير هذا الطريق .

(١) محمد عبدالعال احمد : المرجع السابق /

ص ٧٩ .

(٢) غسان على رمال : المرجع السابق /

ص ٧٣ .

(٣) ابراهيم احمد العدوى : المرجع السابق / ص ٢١١ .

(٤) Ismail Hakki Uzuncarsili: Ibid ., Page

وقد ظهرت أغراض البرتغال الصليبية في تصريحات دي جاما حين
سأله جماعة من التجار عن أسباب مجيئه ، فكان الجواب أن البحث عن
المسيحيين والتوابل هو هدفنا أكثر من غزو أى مناطق جديدة ، ولما كانت
أهداف رحلته التجسس والاستكشاف فقد حرص دي جاما على العمل بالتجارة
فقط ، وعندما كانت هذه الرحلة رحلة ارتياد واستكشاف ، فإن داجاما
قصر همه على التماس الاذن له بالتجارة ووافق الزامويين على طلبه ، بيد
أن رفض رابطة البرتغاليين دفع رسوم الجمارك كان دلالة أدت بالمتاعب
التي تبطنها الأيام ، هذا الى أن داجاما لاحظ في شيء من الدهشة
والانزعاج وجود العرب بالمدينة ، من أجل ذلك كان وجود المسلمين
واحتكارهم الفعلى للتجارة ونفوذهم الذى كانوا يستمتعون به لدى الزامويين
(١)
، مفاجأة غير سارة جاءت على غير ما تهوى آمال السلطات البرتغالية .

ولم يكن داجاما يغادر المحيط الهندي حتى أقبل الى مياه كاليكوت
أسطول آخر من أربع عشرة سفينة بقيادة لوبوسوارس ، وكان سوارس هذا
ريانا ، فقام بهجمة مفاجئة دمربها سربا من عمارة كاليكوت كان رأسيا
بقيادة ممالى قبالة مرفأ كرانجانور ، ثم تحول الى مهاجمة أسطول تجارى
تجمع بميناء آخر وبدد شمله بعد قتال عنيف مع القافلة الحربية التى تحرسه ،
وعندئذ أدرك السامري أن سفنه لم تكن متكافئة مع مراكب الكارافل الثقيلة
التسلح وأنها لن تفوز أثناء العمليات البعيدة البجال الا بأضال الفرص ،

(١) ك ٠٠ بانيكار : المرجع السابق / ص ٣٨ .

فطلب مساعدة سلطان مصر الذي كانت تربطه به علاقات المودة والصداقة ،
وعندئذ تقدم الى بحر العرب أسطول مصرى يحمل ما لا يقل عن ١٥٠٠
جندي مجهز بأحدث الأسلحة البحرية بقيادة أمير بحر مجرب اسمه مير
حسين ، وكانت خطة مير حسين الاستراتيجية بسيطة وسليمة ، وكان هدفه
(١)
الأول هو جزيرة ديو التي صمم على أن يتخذ منها قاعدة له ، وأن يوجد
الاتصال بينه وبين بحرية الزاموريين ، وعندئذ يقوم الأسطول المشترك بمهاجمة
البرتغاليين ، ووصل مير حسين الى جزيرة ديو بعد الرياح الموسمية مباشرة ،
وانضمت اليه سفن الزاموريين هناك وتحركت القوات المتحدة نحو الجنوب ،
وتقدمت العمارة البحرية البرتغالية بقيادة لورنسو دا الميدا ابن نائب الملك
نحو الشمال من قاعدة تها بكوتشين لملاقاة هذا الخطر ، والتقى الأسطولان عند
تشاول في منتصف الطريق على الساحل ، وكانت المعركة في جملتها حرب
مدفعية ، كما أن البرتغاليين فشلوا فيما حاولوه من النزول على ظهر السفن
المصرية ، وبعد يومين من تبادل إطلاق المدافع عزم البرتغاليون على الفرار ،
(٢)
ولكن سفينة قيادة دا الميدا أصيبت وقتل القائد .

" وفي سنة ١٥٠٥م قاد فرانسيسكو ألميدا Francisco de Almeida

نائب الملك أسطولا الى مياه المحيط الهندي يتكون من ثلاث وعشرين سفينة

(١) ك.م. بانيكار : المرجع السابق/ ص ٤٢ .

(٢) ك.م. بانيكار : المرجع ص ٤٢ .

بقصد اخضاع مملكة وكلوة وانشاء قاعدة فى سفالة واحتكار تجارة المحيط ،
ونجحت الحملة فى اخضاع مملكة وكلوة وبعض الموانئ الأخرى ، ولكن هذا
النجاح لم يدفع البرتغاليين الى الاهتمام بشرق افريقية وأنصرفوا الى تدعيم
نفوذهم فى ساحل ملبار وهرمز والشرق الأقصى ، وساعد ذلك التجارة
السواحلية على النهوض من محنتها وأستطاعت أن تضعف من الاحتكار
البرتغالى .^(١)

١١٠هـ /

وأنشأ فى أغسطس عام ١٥٠٥م قلعتين فى ميباسا وحرص ملك البرتغال
على شد أزردا الميدا فعزز به حملة بحرية أخرى أبحرت من البرتغال فى ابريل
١١٠هـ /
عام ١٥٠٦م ومن ثم أخذ دا الميدا يقطع الطريق على السفن العربية ، وأجبر
السفن التى تعبر المحيط الهندى على ضرورة الحصول على تصريح بالمرور ففى
هذه المياه وفرضوا الرسوم العالية وصادروا كل سفينة لا تحمل هذا التصريح
وبذلك تمت السيادة البرتغالية فى المحيط الهندى وأضحت التجارة الهندية
موردا رئيسيا للدولة .^(٢)

وحرص البرتغاليون على احتلال قواعد عند مدخل البحر الاحمر والخليج
العربى ، ليسهل عليهم اغلاق المنافذ العربية الجنوبية لتجارة الشرق ،
١١١هـ /^(٣)
ومنعها من الوصول الى أسواق مصر والشام ، فاستولوا عام ١٥٠٦م على جزيرة

-
- (١) جيمس دى : المرجع السابق / ص ٨٢ .
(٢) حسن احمد محمود : المرجع السابق / ص ٢٢١ .
(٣) السيد رجب حراز : المرجع السابق / ص ٧٠ .

سقطرة بالقرب من مدخل البحر الأحمر لاغلاق هذا البحر أمام التجار

العرب ، وأقاموا بها حصنا للبرتغاليين ، وبقي اليوكيرك " بسقطرة " على

(١)

رأس بعض السفن لمهاجمة السفن العربية عند مدخل البحر الأحمر الجنوبي .

٩١٢هـ /

ونزلت القوات البرتغالية جزيرة " سوقطرة " عام ١٥٠٧م حيث أقام

البرتغاليون حصنا متيناً ، وذلك ضيقوا الخناق على مخرج البحر الأحمر

٩١٨هـ /

وفى عام ١٥١٣م كانت حملة البرتغاليين بقيادة " اليوكيرك " تحاول تدعيم

(٢)

سلطانهم بإقامة قواعد لهم في الطرق البحرية الموصلة إلى الهند ، ودخل

٩١٨هـ /

اليوكيرك البحر الأحمر عام ١٥١٣م ولكن هذه الرحلة لم تكن ناجحة ، وفى

٩٢٠هـ /

عام ١٥١٥م جهز السلطان قانصوه الغورى حملة بحرية بدعوة من دول مسلمة

من سواحل الهند ليخلصهم من خطر البرتغاليين وأستطاع البرتغاليين من

هزيمة جيش الغورى وبعد هذه الحملة صار البرتغاليين يسافرون في البحار

(٣)

الهندية ، وهو الأمر الذى شكل أخطاراً هددت كيان مصر ، لأن البرتغاليين

كان همهم الأول منع التجارة بين الهند والبحر الأحمر والخليج العربي ،

وتحويل تجارة التوابل والمنتجات الأخرى إلى لشبونة ، لذا أرسل السلطان

قنصوه الغورى ، مدفوعاً بضرورة المحافظة على تجارة الشرق التى ترد إلى

(٤)

ساحل البحر الأحمر ، أو عن طريق القوافل إلى الموانئ المصرية ، أسطولاً .

(١) السيد مصطفى سالم : المرجع السابق / ص ٦٥

(٢) عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ، ص ١٩

(٣) Cengiz Orhonlu : Habes Eyaleti .

(٤) الشاطر بصيلي عبد الجليل : المرجع السابق / ص ١٣٠ .

ومن المهم أيضا أن نذكر أن بعثة سياسية مرسله من ملك البرتغال
الى الشخصية الخرافية " بريسترجون " " ومعناها القديس يوحنا " ملك
اثيوبيا تتكون من جوا وجوميز بهداية دليل تونس اسمه سيدى محمد ، قد
رافقت الحملة وأنزلت برا عند ملندى لتشق طريقها الى العاصمة الاثيوبية غير
أن تلك الجماعة عادت أراجها بعد ذلك بسنة وقد مت نفسها الى البوكيرك ،
(١)
فأعطاهما هذا بدوره خطابات بالعربية والبرتغالية الى الإمبراطور المسيحى .

وعاود البرتغاليون نشاطهم المعادى للعرب والمسلمين فأرسلوا حملة
الى البحر الأحمر تحت قيادة نائب الملك " لوبو سوريز " خليفة البوكيرك للهند
٩٢٢هـ /
، وقد غادرت هذه الحملة فى ٨ فبراير عام ١٥١٢م وكانت تتكون من أربعين
(٢)
سفينة ومن ألفين من الرجال المسلحين .

وكانت سياسة البرتغال فى المحيط الهندى بحرية احتكارية أى تقسوم
على انشاء مراكز تجارية مسلحة على طول الساحل الغربى للهند وفى جزر
المحيط الهندى بينما يقوم الأسطول البرتغالى بغرض السيادة الاحتكارية
بالقوة أى عدم السماح لغير السفن المصرح بها من البرتغاليين بالملاحة فى
(٣)
هذه المياه .

أشار المؤرخ زين الدين فى القرن العاشر الهجرى الى الدوافع

-
- (١) ك.م. بانيكار : المرجع السابق / ص ٤٤ .
(٢) السيد مصطفى سالم : المرجع السابق / ص ١٠٢ .
(٣) محمد أنيس : المرجع السابق / ص ١٢٠ .

الاقتصادية لوصول البرتغاليين بقوله : " وسبب وصولهم الى ملبار ، على ما يحكى عنهم طلب بلاد الفلفل ليختص تجارته بهم ، فانهم ما كانوا يشترونه الا من الذين يشترونه ممن يجلبونه من ملبار بوسائط " والى جانب العوامل الدينية والاقتصادية ، هناك عوامل أخرى أدت الى الكشف الجغرافية ووصول البرتغاليين ، ومن هذه العوامل الرغبة فى الاطلاع على مجهودات العلماء المسلمين وذلك فى ميدان الملاحة والفلك .
(١)

وهكذا دخل البرتغاليون مياه المحيط الهندى وحددوا مراكز تجارة التوابل وأمتدت أطماعهم الى الخليج العربى وسواحل بلاد العرب الجنوبية وتطاولوا الى اقتحام البحر الأحمر وتهديد شجر عدن والتشوف الى الشمال بتهديد ميناء جدة ، حتى اذا أزاحوا النفوذ الاسلامى من هذا البحر أمكنهم أن يعيشوا بمقدسات الاسلام وتراثه الغالى فى مهبط الوحى ، فارغين حصارا بحريا ، سكرىا على التجارة العربية والاسلامية ساعين الى تعاون صليبي مع الحبشة ضد القوى الاسلامية فى المنطقة حتى لا يصبح البحر الاحمر بحسيرة
(٢)
اسلامية .
(٣)

لقد كان وصول البرتغاليين الى مياه المحيط الهندى كارثة على العرب ، ومراكزهم ومدنهم وسفنهم وتجارتهم فى كل مكان ، ويروى لنا التاريخ أن البرتغاليون

(١) زين الدين المعبرى : تحفة المجاهدين فى احوال البرتغاليين ص ٣٧ —

٣٨ .
(٢) حسن احمد محمود : المرجع السابق / ص ٢١٧

(٣) عبد العزيز نوار : المرجع السابق / ص ٩٦ .

قد قاموا باحراقى مدن وموانئ العرب على طول ساحل افريقية الشرقية ومن
(١)
موزمبيق حتى ساحل البنادر وخليج عدن ، وأحرقوا وأغرقوا سفن العرب ،
وذلك بعد وصول السفينة سان جبريل الى المحيط الهندى ، أحدثت عاملا
انقلابيا ، حيث أنها تحمل المدافع ، ذلك أن تسليح السفن البرتغالية ،
شيئا جديدا لا عهد للبحار الهندية بمثله ، كما أنه أتاح للبرتغاليين ميزة
(٢)
سريعة وحاسمة على خصومهم من الهنود والعرب .

ولقد كان البرتغاليون يعتقدون أنهم سيواجهون بجهة اسلامية
موحدة عقب وصولهم الى المياه العربية الاسلامية الجنوبية ولكنهم وجدوا
الظروف ملائمة كل الملائمة لضرب الموانئ العربية والقضاء على التجارة العربية
(٣)
فى المياه الجنوبية .

ووافق وصول البرتغاليين الى المحيط الهندى ، عدم وجود أساطيل
حربية قوية سواء كانت اسلامية أو فارسية أو هندية فى ذلك الوقت ، فأتى
غياب تلك القوة الى تسهيل الأمر للبرتغاليين فى السيطرة على المراكز التجارية
الاستراتيجية فى المحيط الهندى ، الأمر الذى أدى الى عرقلة حركة التجارة
العالمية هناك ،

وعلى الرغم من أن وصول البرتغاليين كان مفاجأة للجميع الا أن رؤية

-
- (١) جلال يحيى : مصر الحديثة ، ص ٥٧ .
(٢) ك.م. بانيكار : المرجع السابق / ص ٣١ .
(٣) عبدالغزيز نوار : المرجع السابق /
ص ٥٥ .

سفنهم المزودة بالمدفعية ، كانت مفاجأة غير منتظرة ولا عهد للبحار العربية الجنوبية بمثله وكانت الأمور تقتضى على سلاطين الدولة المملوكية القيام بنشاط عسكرى كبير فى المحيط الهندى منذ اللحظات الأولى لوصول البرتغاليين ، ولكنهم كانوا فى شغل شاغل عنهم وعن مشروعاتهم ، " لذلك نجد أن الدولة العثمانية بمفردها كان لزاما عليها أن تقف لصد هذا الهجوم البربرى الاستعمارى الصليبي الذى كان يهدف الى الوصول الى الأماكن المقدسة والحرمين الشريفين ، ولكن الدولة العثمانية أخذت تخطط بإقامة حزام أمن ضد هؤلاء الاستعماريين ، لذلك وضعت الدولة لنفسها خطة الدفاع عن الأماكن المقدسة الاسلامية ، ومن ثم سارت فى اتجاهين : أحدهما الشام ومصر وانضم اليهم الحجاز وفتحت عدن وأمنت البحر الأحمر وجعلته بحرا اسلاميا ، وأخذت تعدن قاعدة لها لمواجهة البرتغاليين فى المحيط الهندى ، أما الاتجاه الآخر فهو العراق ثم الخليج العربى ، لذلك دخل السلطان سليمان الاول بغداد سنة ٩٤١هـ / ١٥٣٤م وأخذ العثمانيون يحاولون مسد نفوذهم الى البصرة لاكمال حلقة الدفاع عن شبه الجزيرة العربية ، كما سنرى فيما هوآت .

(١) غسان على رمال : المرجع السابق / ص ١٢٢ .

(٢) المرجع السابق : ص ١١٢ .

(٣) خلف دبلا ن الودينانى : الأحساء فى القرن الثانى عشر الهجرى ، ص

ب — مكة والمدينة في خطة البرتغاليين :

ليس من شك في أن ظاهرة الارتداد الكثيف للمخاطبين الأجانب
أو البعثات العلمية لشبه الجزيرة بوجه عام والأراض المقدسة بوجه خاص
جاء مواكبا لنهاية الحكم الاسلامي في اسبانيا ونجاح البرتغاليين في بعض
كشوفهم الجغرافية ودورانهم حول القارة الافريقية وكانت كل آمالهم تتجه
الى ضرورة تدبير كل ما هو اسلامي في طريقهم لدرجة أن اليوكيرك القائد
البرتغالي المشهور ، كان يتنمى أن تتاح له فرصة اقتحام المدينة المنورة
كقاعدة دينية للعالم الاسلامي وتحطيم قبر الرسول صلى الله عليه وسلم .^(١)

ويبدو أن الاوربيين كانوا تواقين لمعرفة كل ما يتصل بالحجاز الذي
كان محرما عليهم زيارته وقد دفعت الروح الصليبية ملوك البرتغال الى
ايفاد بعض الجواسيس للتعرف على احوال شبه الجزيرة تمهيدا لغزو البلاد
^(٢)
المقدسة الاسلامية .

فقام الجاسوس البرتغالي دى كوفلهام برحلة داخل العالم العربي ،
فاتجه الى هرمز ثم عاد الى جدة فقام بزيارة مكة المكرمة والمدينة المنورة ،
ثم ذهب الى سيناء فزار معالمها وأخيرا اتجه الى زيلع ثم توغل الى داخل
الحيشة حيث قابل النجاشي فسلمه خطابات ملك البرتغال ، ولم تكف أوروبا^(٣)

(١) حسين أمين : المرجع السابق / ص ٤٢٩ .

(٢) نفس المرجع : ص ٤٤٥ .

(٣) السيد مصطفى سالم : المرجع السابق / ص ٤٩ .

عن التفكير في الاسلام والأخذ بثأرها منه حتى هداها الفكر الى حركة
الالتفاف الجنوبي وقد رأينا محاولاتها العديدة التي قامت بها فسي
القرنين الثالث عشر والرابع عشر ، كيف سعت الى تنصير المغول لحصر
الاسلام بين دولتين مسيحيتين ، وكيف اتصلت الأسباب بينهما وبين
الحبشة النصرانية للقضاء على مركز المقاومة الاسلامية في مصر ثم كيف يئست
من طريق الشرق فبدأت الى الغرب للوصول الى الهند وللجنوب للوصول
(١)
الى بلاد الاسلام .

وعاود البرتغاليون نشاطهم حول شبه الجزيرة العربية وركزوا اهتمامهم
نحو طريق البحر الأحمر لأنه يؤدي الى الأماكن الاسلامية المقدسة ، التي
ترنو أنظار البرتغاليين اليها لتحقيق أهداف صليبية وتشبيط هممة المقاومة
الاسلامية المقدسة في الهند يقطع سبل الاتصال ما بين الممالك ومسلمي
الهند ، سيما وأن الممالك كانوا قد استعدوا لمواجهة البرتغاليين
(٢)
في المحيط الهندي ، حيث قام السلطان " قنصو الغوري " بتجهيز اسطول
قوامه خمسون سفينة ابحر الى جدة بقيادة حسين الكردي لحماية الأماكن
المقدسة في الحجاز من البرتغاليين الذين كانوا على اتصال بالأجاش
لوضع المخططات اللازمة للاحاطة بالقوى الاسلامية ، وتشير المصادر الى أن

(١) حسين مؤنس : المرجع السابق / ، ص ٤٠ .

(٢) بدر الدين عباس الخصوصي : المرجع السابق /

البرتغاليين بعثوا بسفنهم عبر البحر الأحمر أملا في الزحف نحو مكة والمدينة^(١)
المنصورة . حيث في عام ١٥٠٢م وضع فاسكو داجاما جزءا من أسطول له
عند مدخل البحر الأحمر لإغلاقه ونتج عن ذلك أن تعرضت السفن العربية
لهجوم الأسطول البرتغالي في صيالة المحيط الهندي ، ولم تقف أطماع
البرتغال عند ذلك بل أنها نفذت إلى داخل البحر الأحمر وهددت جدة
في سنة ١٥٠٥م بل ان البرتغاليين تمكنوا من التسلل إلى مكة ذاتها^(٢) .

وذكر سوزا وغيره أن فاسكو دى جاما وجد أمام ساحل ملبار سفينة
للحجاج قاصدة مكة المكرمة فاستولى عليها ، ونقل بضائعها إلى سفنه ، ثم
أحرقها بمن عليها ، حيث كان داجاما يقطع الطريق دون أي تحذير علسى^(٣)
أية سفينة يلتقى بها في طريقه ويدمرها تدميرا ، والحادثة التالية التي يروونها
أيضا لنداس دانديا خير مثال للارهاب والقرصنة ، التي بشها ان تصادف
أن التقت العمارة البرتغالية ببعض السفن الغير مسلحة العائدة من مكة
المكرمة فألقى فاسكو داجاما القبض عليها^(٤) .

وأحاط البرتغاليون كما رأينا بالبحر الأحمر والخليج العربى وعملوا
بهذا على جعل التجارة بين الهند وأوربا من الطريق الذى فى أيديهم

(١) بد زالد بن عباس الخصوصى : المرجع السابق / ص ٩٣ .
(٢) محمد عبد المنعم السيد الراقدة : المرجع السابق / ص ١٢١ .

(٣) نوال حمزة الصيرفى : المرجع السابق / ص ١٢ .

(٤) ك.م.م. بانينكار : المرجع السابق / ص ٤٠ .

وكان هدف البرتغاليين ليس لاحتلال طرق التجارة فقط إنما كان أيضا يستهدف للاستيلاء على الحرمين الشريفين وكان البابا قد أمر البرتغاليين أن يحيطوا بالعالم الاسلامي من الورا^(١) ونشر المذهب المسيحي ، وقد تأثرت دولة البرتغال لخطبة البابا " بطرس الناسك " الذي دعاهم للانتقام من المسلمين وذلك بعد نجاحهم في النفوذ الى اوروبا على الصورة التي ساد فيها الموقف في اسبانيا وصقلية وعدة فرنسا وايطاليا ونفذ الى روما ، لذلك تحركت البرتغال للقضاء على الاسلام والاستيلاء على^(٢) الاراضي المقدسة .

وكانت الانعامات البابوية على ملوك البرتغال تؤجج تلك السروح الصليبية المتوقدة في نفوس البرتغاليين ، حتى لقد أصبح تدمير المقدسات الاسلامية في الحجاز جزءا من اهداف النشاط البرتغالي^(٣) في المياه الشرقية الاسلامية ، حيث أرسل البوكيرك رسالة الى السدون عمانويل يقول فيها : " في نيتي أن أسير الى مصوع ميناء بريسترجون لأحتل دهنالك وأرى ماذا سأعمله في جدة ولو أن مسائل

(١) Stanford show : Osmanli imparator lugu Ve (١)
modern turkiye, الجزء الأول : ص ١٤٨ .

(٢) فتحى غيث : المرجع السابق / ، ص ١٢٨ .

(٣) عبد العزيز نوار : المرجع السابق /
ص ١٣٠ .

أخرى تتعلق بشؤون التجارة تدعوى للعودة الى هرمز ، ان السفرة الى البحر الأحمر على أى حال ، ستكون مفيدة على أساس التوابل الثمينة التى تأتى سنويا الى هذه الاجزاء من الهند ونظرا لأنى أرغب فى القضاء على الروم " أى العثمانيين " ، وتدمير مكة ، لهذه الأسباب صممت على (١)
الذهاب الى البحر الأحمر أولا وتحطيم قوة السلطان فى هذه المياه .

٩١١ هـ

وفى عام ١٥٠٦ م تحركت حملة من لشبونة بقيادة ألفونسو دى البوكيرك ، وكان خروجها تأكيداً من البرتغال بضرورة محاصرة السواحل العربية ، واغلاق البحر الاحمر اغلاقاً مباشراً عن طريق احدى الجزر الموجودة بالداخل ، ومنع الدخول والخروج فى البحر ، وتجلت مهمة الحملة فى ضرورة الاستيلاء (٢)
على جزيرة سقطرة ، حيث تمثل جزيرة سقطرة موقعا يديلاً بالنسبة لأهداف الخطة البرتغالية ، فهى تقع فى مواجهة الساحل الجنوبى لشبه جزيرة العرب ، وفى منتصف الطريق تماماً بين الخليج وبين البحر الأحمر . (٣)

ولما خلا للبوكيرك البحر اتخذ جزيرة سقطرة مقراً للتحكم بمجازىء باب المندب وملاحقة البحر الأحمر للوصول الى الأماكن المقدسة " مكة - المدينة " ، هذا فضلاً عن استيلائه على بعض الثغور الحصينة فى اليمن وحضرموت

(١) السيرارنولد ويلسون : الخليج العربى ، ص ٢١٤ .

(٢) غسان على رمال : المرجع السابق / ص ١٩٥ .

(٣) صلاح العقاد : المرجع السابق / ص ١٤ .

واحتلاله كلا من مدينة مسقط في عمان وجزيرة هرمو وقد أقام عدة قلاع على
مقربة من الحسا وعلى الساحل الشرقي لخليج فارس ، فأتيح بذلك
للبرتغال القبض على ناحية التجارة المتداولة بين فارس والهند وجزيرة
(١)
العرب .

وضافا لنجاح العمل العسكري ، رأى البرتغاليون أن الأمر
يقتضى البحث عن مملكة القديس يوحنا التي انتشرت حولها الأساطير
في أوروبا وتحقيق التعاون معها ، ومع ما يتم اكتشافه من أقطار مسيحية
أخرى ، لتنفيذ هذه الأهداف ، وعلى رأسها تدبير الأماكن
المقدسة " مكة والمدينة " ، أي المقدسات الإسلامية في الحجاز
وتكثيل الجهود للقضاء على المسلمين عامة .
(٢)

ولما كانت الأماكن المقدسة الإسلامية تقع على شاطئ الشرق
للبحر الأحمر ، فقد ترتب على ذلك أن هذا البحر أصبح هو
المجال الحيوى الذى جرت فيه محاولات تهديد الأماكن المقدسة
الإسلامية ، كما أن هذا البحر كان غاية القوى المعادية للإسلام
(٣)
في العصور الحديثة ، لذلك أرسل البرتغاليون حملة بحرية إلى

(١) محمد جميل بيهم : الحلقة المفقودة في تاريخ العرب ، ص ٧٧

(٢) محمد عبدالحال أحمد : المرجع السابق /

، ص ٦٩ .

(٣) غسان على رمال : المرجع السابق /

ص ١٠٣ .

جدة للاستيلاء عليها والزحف منها برا لمكة والمدينة لنشر قبر الرسول صلوات
الله وسلامه عليه ، ووصلت السفن فعلا الى ميناء جدة ولكن واجهت
(١)
ريحا مرسرا عاتية فتحطمت وأستقرت في قاع البحر .

لذلك حرض ملك البرتغال "Le bna Dangel" المسمى داود
الثاني "David II" على احتلال زيلغ قائلا أنها أفضل مكان لتموين
الأساطيل البرتغالية ، وأنها تمون الساحل الشرقي للبحر الأحمر
من عدن حتى جدة ثم مكة ، وأن بناء هذه القلاع سوف يهدد مراكز
العثمانيين في البحر الأحمر ويهدد كذلك الأماكن المقدسة الإسلامية .
(٢)

وكانت دولة الماليك في آخر أيامها في صراع عنيف مع دولة البرتغال
خاصة بعد أن نفذت الى البحر الأحمر وسعت الى النزول وتحطيم الأماكن
(٣)
المقدسة الإسلامية .

وبدا السلطان الغورى يعد حملة قوية للتصدي للبرتغاليين ،
على اعتبار أن الحجاز كان تابعا لحكم الماليك في مصر ، واستجابت
الدولة العثمانية لمطالب الغورى ، وأرسلت اليه ٣٠ سفينة تحمل أخشابا

(١) مصطفى رمضان : المرجع السابق / ص ٦١ .

(٢) محمد البحر اوى : المرجع السابق /
ص ٦٨ .

(٣) محمد عبد المنعم السيد الراقد : المرجع السابق /
ص ٢٢٩ .

و ٣٠٠ بندقية ، ولكن فرسان القديس يوحنا ، الذين كانت لهم السيطرة
فى جزيرة رودس والبحر الأبيض المتوسط والمتحالفين مع دولة البرتغال
، تمكنوا من الاستيلاء على تلك المعونة التى بعث بها العثمانيون ، وهكذا
فقدت فى الطريق ولم يصل شىء منها الى المماليك فى مصر ،
ولكن الدفعة الثانية وصلت سليمة الى القاهرة وكانت تتكون من ٤٠٠
بندقية و ٤٠ قنطارا من البارود ، وفى تلك الفترة ^{أرسل} أعددت من البحارة
والملاحين العثمانيين للعمل على أسطول المماليك المعد للتصدى للبرتغاليين^(١) .

وكان لوبو سواريز يعلم أن الأسطول المملوكى يتركز فى جدة وكان تدمير
هذا الأسطول يمثل هدفا رئيسيا ، ذلك أنه اذا تمكن من تحقيق ذلك ،
فسوف يصبح من السهل تنفيذ كافة الأهداف البرتغالية الأخرى
وعلى رأسها تدمير المقدسات الاسلامية ، مكة والمدينة^(٢) .

لذلك خرج أسطول برتغالى من سواكن الى جدة ، أملا فى الزحف
الى المدينتين المقدستين ، غير أنه لما علم البرتغاليون بوجود الأسطول
المصرى فى جدة هربت السفن البرتغالية نحو الجنوب ، ثم الى ساحل
الهند ، وخرج قائد الأسطول المصرى الى سواكن ، ثم سار

(١) محمد كمال الدسوقي : المرجع السابق / ص ٤١٥
(٢) محمد عبدالعال احمد : المرجع السابق / ص ١٩٥

جنوبا متعقبا السفن البرتغالية الى أن وصل الى ساحل الهند ، حيث
التقى بالأسطول البرتغالي في ميناء شول على ساحل الهند الغربي
وأشتبك الأسطولان في موقعة انتهت بهزيمة البرتغاليين وذلك في
٩١٣هـ
صيف عام ١٥٠٨م ثم استطاع الأسطول البرتغالي أن يستجمع
٩١٤هـ
قواته ، وأن تصل اليه الامدادات ، فانزل في العام التالي ١٥٠٩م
هزيمة ساحقة بالأسطول المملوكي ، حيث أغرقت جميع سفنه في
(١)
ميناء ديو .

٩١٤هـ
وبعد انتصار البرتغاليين على الأسطول المصري عام ١٥٠٩م
أمام ميناء ديو ، تسلم البوكيرك القيادة وأخذ يعمل في مهمة
ونشاط للاستيلاء على جميع النقاط الاستراتيجية حتى يمهد للاستيلاء
على مكة ومصر والأماكن المقدسة من المسلمين ، وبالرغم من ضخامة
هذه الآمال فانها تدل على مغزى كبير وهو ان قادة البرتغال لم
ينسوا بعد تلك الأفكار الصليبية ، بل اعتبروا أنفسهم مكلفين بالثأر
(٢)
للحملات الصليبية الفاشلة .

((ووضع البوكيرك خططا ان كان يهدف الى تأسيس امبراطورية

(١) الشاطر بصلي عبد الجليل : المرجع السابق /
ص ١٣١ .
(٢) فتحى غيث : المرجع السابق / ، ص ١٤٤ .

عظيمة وقامت هذه الخطط على قوة أسطوله كما كان يحلم أيضا بقيادة
الجيش الضخمة والحاميات البرية الكبيرة التي بها يستطيع الاستيلاء
على جميع النقاط الاستراتيجية في جزر الهند ومن ثم يستطيع التقدم
للاستيلاء على مكة ومصر والأماكن المقدسة)).

وكان البوكيرك شديد الرغبة في مهاجمة البحر الأحمر ، فقد كان
يعلم أن بقايا الأسطول المصري الذي هزم أمام ديوي في أوائل عام
٩١٥ هـ
١٥١٠م مرابط في جدة ولاعتقاد المسئولين في مصر — أن
البرتغاليين لابد من أن يتبعوه داخل البحر الأحمر ، فقد أتت
للـبوكيرك أنباء تحصينهم ميناء جدة ، وأن الغوري في مصر على اتصال
دائم بالمسلمين في الهند وبالمك المسمى ، وأن العمل قائم على قدم
وساق لاعداد أسطول قوى في السويس لمحاربة البرتغاليين ، وكانت
لشبهة تتعجل دخول أسطولها البحر الأحمر وتهديد الأماكن المقدسة الإسلامية^(١)
غير أن الأحداث السياسية ، في المحيط الهندي عقب موقعة ديوي أخبرت
الزحف البرتغالي إلى داخل البحر الأحمر لعدة سنوات ، وخرجت
حملة من جوا بقيادة الفونسو دي البوكيرك تتألف من عشرين سفينة
وألف وسبعمئة جندي برتغالي إضافة إلى ثمانمائة من الهنود الملبارين

(١) محمد البحراوي : المرجع السابق /

(١) نحو عدن ، وغزم على اغراء الحبشة بتحويل النيل من مجراه الى البحر

(٢) الأحمر ، وعند ما يأس البوكيرك في تحويل مجرى نهر النيل ، فَنَسِرَ في غزو المدينة المنورة ومحاولة التعرض للمسجد النبوي الشريف ، ولكن الرياح المعاكسة حالت دون وصوله اليها ، فعمد الى تجويع جدة عن طريق اعتراض سفن المؤن القادمة من بربرة وزيلع ومضوع .
(٣)

دخل البرتغاليون البحر الأحمر ، فمروا بالموانئ اليمنية حتى وصلوا الى جزيرة " كمران " فاستولوا عليها في أوائل صفر سنة ٩١٩ هـ " أوائل ابريل سنة ١٥١٣ م " وخبروا كل ما فيها من مظاهر الحياة كما ردوا آبارها وذلك حتى لا يستفاد بالجزيرة بعد مفاد رتهم لها ، وخاصة لأنها كانت تعتبر محطة بحرية هامة بين " جدة " والوصول الى الأماكن المقدسة الاسلامية " مكة المكرمة " والمدينة المنورة " للاستيلاء عليها
(٤) وتد ميرها ، لذلك وضع البوكيرك نصب عينيه أن مهاجمة الأماكن المقدسة الاسلامية يستلزم انشاء قاعدة بحرية في مدخل البحر الأحمر للانطلاق

(١) غسان على رمال : المرجع السابق / ص ١٤٢ .

(٢) محمد كرد علي : المرجع السابق / الجزء الاول ، ص ٣٤٠ .

(٣) غسان على رمال : المرجع السابق / ص ١٥٢ .

(٤) السيد مصطفى سالم : المرجع السابق / ص ٧٢ .

٩١٩هـ

منها ، وفي مارس ١٥١٢م هاجم البوكيرك عدن غير أنه فشل في الحصول عليها ، فأتجه الى جزيرة كمران حيث فكر في مهاجمة جدة ، وكانت تلك الفكرة بالنسبة للبوكيرك حلم يود تنفيذه ، فقد عرف عنه أنه كان يتمنى انجاز مشروعين من مشاريعه قبل موته ، فالمشروع الأول كان يحمل في طابعه عاملا صليبيا حادا وهو احتلال المدينة المنورة لينهب قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ويجعله رهينة حتى يتخلص المسلمون عن الأماكن المقدسة في فلسطين ، أما المشروع الثاني فقد حمل سمة اقتصادية حيث كان يحام بتحويل مياه النيل الى البحر الأحمر ليحرم مصر من ارواء أرضها ، وتخرب شبكة الري التي كانت قائمة فيها آنذاك .

وأرادت البرتغال أن تحتكر تجارة الشرق لنفسها وتقتضى على سفن العرب والهند وغيرها التي كان منحصرا في نشاطها نقل نفائس الشرق وعروضه فيما بين الهند والخليج والبحر الأحمر ثم الى مصر فأوروبا وحصر (٢) التجارة العالمية في أساطيلها .

وأحدث دخول الأسطول البرتغالي الى البحر الأحمر بقيادة البوكيرك

(١) غسان علي رمال : المرجع السابق / ص ١٠٥ .

(٢) عبد الرحمن احمد البهلى : المرجع السابق /

سنة ٩١٩هـ/١٥١٣م ومحاواته الوصول الى جدة ، ردّ فعل عنيف ففسى
الحجاز خشى الشريف بركات أمير مكة ، احتمال نجاح البرتغاليين ففسى
الوصول الى جدة ، لذلك سارع الشريف بركات بالتوجه يمن معه من المجاورين
(١)
الى جدة لتعزيد الحامية المملوكية فيها .

٩٢٣هـ

وفى عام ١٥١٧م جاء البوكيرك الى سواحل جدة بحملة بحرية تتركب
من ٣٧ سفينة وكان سلمان ريس على قرب من سواحل جدة حيث حاول ان يمنع
البرتغاليين واستطاع ان يخرب بعض سفن برتغالية ، وفى هذه الأثناء
خرب فى المرفأ ستة قوارب وهكذا لم يوفق البرتغاليون فى تحقيق آمالهم
حيث كان الناس يقصفونهم من قلعة جدة ولذلك لم يوفقوا فى الدخول الى
مكة المكرمة وكان رجوع البرتغاليين فضيحة لهم لأنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا
شيئاً ، وقاموا بمحاولة أخرى وذلك فى محرم سنة ثلاثة وعشرين وتسعمائة من
(٢)
الهجرة حيث خرجوا من كووہ باستعداد عظيم فى ثمانية وعشرين مركباً قاصدين
بندر جدة المحروسة ووصلوا الى البندر وكان سلمان الروم فيها ومعه من
العساكر مائتان ، فرماهم أهلها بالدافع من البر فأضاءت بهض مراكبهم
فرفعوا شراعهم وأرسوا فوق العلم خوفاً من المدافع ثم شردوا فأرسل الأمير

(١) محمد عبدالعال احمد : المرجع السبق /

سلمان وراءهم سنيوقين فيهما ثلاثون رجلا فاخذوا منهم غرابا صغيرا فى
 كمران وفيه اثنا عشر نفرا ووصلوا بهم الى جدة ثم ان البرتغاليين توهبوا
 فى كمران ثم رجعوا الى كوه خائبين^(١)، ثم قاموا بمحاولة أخرى حيث
 أقطع الأميرال دوم أنتوا نيودى ميرندا من جوا على رأس عشرين سفينة
 الى البحر الأحمر يهدف الوصول الى مكة المكرمة والمدينة المنورة^(٢)،
 وأيضا المشاعر المقدسة ولكن بسبب المدافعة من قلعة جدة^(٣)، حيث
 عين السلطان سليم أحد ضباطه على مصر ليكون واليا عثمانيا مقره "جدة"
 وكان من مهامه مراقبة البرتغاليين الطامعين فى البحر الأحمر، وقد
 حدثت فعلا محاولة من جانب البرتغاليين لاقتحام البحر الأحمر والاستيلاء
 على جدة ثم الوصول الى الأماكن الاسلامية المقدسة، واستطاع حسين
 الرومى صدّها والقضاء على ذلك المشروع البرتغالى^(٤).

ثم حاولت البرتغال مع الأحباش اقتحام طريق البحر الأحمر للنزول
 فى ينبع والتوجه منها نحو المدينة المنورة لنشر قبر الرسول عليه الصلاة

(١) زين الدين المعبرى : المرجع السابق / ص ٢٦

(٢) س.ب. ماير ص ١٦٩ .

(٣) Ismail Uzun carsili: Ibid P. 385 .

(٤) عبد الحميد البطريق : المرجع السابق / ص ٢٣ .

والسلام لاظهار الدول الاسلامية بمظهر القوى الضعيفة العاجزة عن حماية

المقدسات الاسلامية فتنها ربح ذلك روح المقاومة الاسلامية للبرتغاليين ،

(١)

لذا سارع العثمانيون بالاتصال بالشريف بركات في مكة للانضمام اليهم ،

الذي كان في صراع شديد مع الشريف الجازاني ، وفي الوقت الذي كان

(٢)

فيه البرتغاليون يتوعدون الأراضى الحجازية بضربها بأسطولهم .

وعندما دخل العثمانيون القاهرة ، لم تتوقف تلك التهديدات على

الرفق من علم البرتغاليين بمدى قوة الدولة العثمانية ، وفي وقت كان فيه

العثمانيون يهددون أوربا بالفتح ، لهذا عاود البرتغاليون مرة أخرى

محاولة تهديد الأماكن المقدسة الاسلامية ، وتتميز هذه الفترة الجديدة

بان البرتغاليين أصبحوا أكثر جرأة في محاولة الوصول الى أقصى شمال البحر

الأحمر ، ففي عام ٩٢٣ هـ دخل قائد البحرية البرتغالية البحر الأحمر وكان قد
١٥١٢ م

مربعين أولاً ثم الجديدة ، ومنها اتجه رأساً الى جدة التي كان يتولى

حمايتها سلمان الرئيس ، وما أن علم بمقدم الأسطول البرتغالي حتى بدأ

في الاستعداد لمواجهةهم ، وخرج بأسطوله وقابلهم أمام مياه جدة ،

(١) بدر الدين عباس الخصوصى : المرجع السابق /

(٢) عبد العزيز نوار : المرجع السابق / ص ٢٩ .

وفشل حملة لويدي سكويرا كان الخطار البرتغالي قد خف تدريجيا عن
الأماكن المقدسة الاسلامية ، بسبب اتجاه البرتغاليين الى تعزيز علاقاتهم
مع الأحباش^(١) ، حيث أرسلت الملكة هييلانه " رومنا " الى الملك عمانويل ملك
البرتغال ، ليقف الى جانبها في وجه العثمانيين وأيضا لمساعدة البرتغاليين
للوصول الى مكة ، حيث تقول في رسالتها اليه :-

" باسم الله السلام على عمانويل سيد البحر وقاهر المسلمين
القساة الكفرة تحياتي اليكم ودعواتي لكم لقد وصل الي
مسامعنا أن سلطان مصر قد جهز جيشا ضخما ليضرب قواتكم ، وليثأر من
الهزائم التي ألحقها به قوادكم في الهند ، ونحن على استعداد لمقاومة
هجمات الكفرة بأرسال أكبر عدد من جنودنا في البحر الأحمر أو الى مكة
وإذا أردتم فانا نسيرها الى جدة أو الطور ، وذلك لتقضي على جرثومة الكفار^(٢)

(١) غسان على رمال : المرجع السابق /

ص ١١٠

(٢) عبد المجيد عابدين : بين الحبشة والعرب ، ص ١٩٠ .

ج - دور شهاب الدين أحمد بن ماجد العماني صاحب "الفوائد في أصول علم البحر والقواعد" :

أشرت الى أن البرتغاليين وصلوا الى شرق أفريقية وأن الأسطول

(١)

البرتغالي ألقى مراسيه عند ميناء ماليندي ، وكان بقيادة فاسكو دا جاما ،

ولم يكن في وسع فاسكو دا جاما الوصول الى الهند دون الاستعانة بدليل

ماهـر ، لأن تلك الطريق لا يسلكها الا تجار العرب وملاحوهم ولا

يعرفها أحد سواهم ، لاختلاف مهاب الرياح في المحيط الهندي وشدة

(٢)

ثوراته وصعوبة ركوبه ، وتعريف فاسكو دا جاما على بعض الملاحين

في أثناء وصوله الساحل الشرقي من أفريقيا وأخذ منهم مرشدا بصيرا بأمور

(٣)

الملاح وطرقها وأسرارها .

وكانت أخبار قدوم البرتغاليين الى موزمبيق قد سبقتهم الى مدينة

كلوة المسيطرة على موزمبيق والى مباسا حليفتها فشاع فيهما القلق والانزعاج

، ولكن ماليندي بسبب المنافسة المريرة بينها وبين مباسا حليفة كلوة ،

استقبلت دا جاما وعدو موزمبيق وبالتالي عدو كلوة ، استقبالا ود يساوي زود ،

(٤)

سلطانها بالملاح أحمد بن ماجد ، الذي تعاقد معه فاسكو دي جاما الملاح

(١) عبد العزيز نوار : تاريخ العرب الحديث ، ص ٦٧ .

(٢) قدرى قلعجي : الخليج العربي ، ص ٣٥٠ .

(٣) عبد الفتاح حسن أبو عليّة وآخر : المرجع السابق / ص ٦٥ .

(٤) حسن صالح شهاب : أضواء على تاريخ اليمن البحري ، ص ١٤٤ .

(١)

البرتغالي .

٩٠٣هـ

في سنة ١٤٩٨م وفي ملنند بدأ العمل في الأسطول البرتغالي ،
وقد عرض فاسكو دي جاما على ابن ماجد آلات البحرية المستخدمة عند
البرتغاليين ولكن ابن ماجد لم يدعهم لها ، بل عرض عليه الآلات البحرية
التي طورها العرب ، ومنها آلات مثلثية ومربعية الشكل لقياس ارتفاع الشمس
وخصوصا النجم القنابي . كما أراه خرائط تفصيلية للمحيط الهندي وشرق
أفريقية والجزيرة العربية قائمة على خطوط طول وخطوط عرض متوازية وهو
شيء لم يعرفه الأوروبيون آنذاك . كل هذا أدعاه فاسكو دي جاما ، وأزداد

(٢)

اعجابه بمرشده الملاح ، فقرر الرحيل معه فورا . وبذلك استطاع فاسكو

٩٠٣هـ

دي جاما في عام ١٤٩٨م من التعرف على طريق الهند بواسطة البحار
العربي شهاب الدين أحمد بن ماجد الذي أرشدهم للعبور رأسا من
ميناء ماليندي على شاطئ أفريقيا الشرقية إلى " كاليكوت " Calicut على

(٣)

الشاطئ الغربي للهند .

(١) محمد كرد علي : الاسلام والحضارة العربية ، الجزء الأول ، ص ٣٣٩ .

(٢) نوال حمزة الصيرفي : المرجع السابق / ص ٩٠ .

(٣) محاضرات الموسمين الثقافييْن السابع والثامن ١٩٧٤م - ١٩٧٥م : الخليج

العربي في مواجهة التحديات ، ص ١٦ .

ويزعم النهرأولى في كتابه البرق اليماني في الفتح العثماني أن
أحمد بن ماجد عاشر فاسكودي جاما في السكر فعلمه الطريق في حال
سكره ، حيث قال لهم : لا تقربوا الساحل من ذلك المكان ، وتوغلوا
في البحر ثم عودوا ، فلا تنالكم الأمواج ، فلما فعلوا ذلك صار يسلم
من الكسر كبير من مراكبهم فكثروا في بحر الهند .^(١)

وعلى هذا كله ومما تقدم يجب على كؤرخ أن أرد على ما ذكره
النهرأولى وغيره في حق ابن ماجد وذلك هل من المعقول أن يهتم
قائد مثل فاسكودي جاما على ملاح سكير ليرشده إلى الطريق كذلك لم
نعرف عن ابن ماجد أنه سكر في يوم من الأيام ولو حدث له ذلك لوجد نسا
لها وصفا في أراجيزه التي نشرها تيودور سوموفسكي " ولكننا نجد عكس
ذلك بقوله " وينبغي أنك إذا ركب البحر تلزم الطهارة فانك في السفينة
ضيف من ضيوف الباري عز وجل فلا تغفل عن ذكره " ، وأيضا لا يثبت زعم
من قال أن أحمد بن ماجد هو دليل فاسكودي جاما لأنه إذا أدر كنّا
أن العرب كانوا يعضون بالنواجذ على احتكار تجارة البحر الهندية

(١) قطب الدين محمد بن أحمد النهرأولى : المصدر السابق / ص ١٩ .

، ص ١٩ .

(٢) أنور عبد العليم : المرجع السابق / ، ص ٢١٠ .

ويحتجبون حقائقها عما سواهم لئلا يرتادها غيرهم ، وكان هذا هو صرحهم منذ عصور في القدم ، ولو أننا أخذنا بأن أحمد بن ماجد هو الذي دلّ^(١) البرتغاليين الى الهند لوجدنا نقدا شديدا له في كتب المؤرخين في نهاية القرن السادس عشر الميلادي وخاصة الأتراك العثمانيين ، فحادثة مثل هذه كلفت الدولة العثمانية كثيرا من الوقت والمجد في سبيل طرد البرتغاليين ، فما من شك أننا كنا قد نجد لوما شديدا للعرب وخاصة أحمد بن ماجد ولكننا نجد العكس من ذلك ، فالقائد البحري التركي الشهير سيدي علي وهو من الذين أرسلتهم الدولة العثمانية لقيادة حملاتها نجد في كتابه المحيط لا يوجه أي لوم الى ابن ماجد ، وعند ما يتكلم عنه يخصه بالمدح والاطراء بل ويصفه بأنه من أفضل ربابنة الشاطئ الهند في الغرب في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين ويختتم كلامه عنه بقوله تغمده

(٢)

المبرحمته .

والواقع أنه بعد قراءة مؤلفات ابن ماجد وأراجيزه يمكننا أن نقرر بكثير من الثقة والاطمئنان بأن ابن ماجد لم يكن هو الدليل أو المرشد الملاحى

(١) عبد العزيز عبد الغنى ابراهيم : علاقة ساحل عمان بـ"بريطانيا" دراسة

وثائقية " ، ص ٢٠ .

(٢) غسان علي رمال : المرجع السابق / ص ٢٢ .

لمراكب دى جاما ولا لغيره من الأندلس البرتغالية الذين أبحروا
من بعده من ساحل أفريقيا الشرقى الى الهند وذلك لأسباب منها
أن رواية النهر والى عن ابن ماجد ضعيفة لا يعتد بها وخاصة وأنه
كتب البرق اليماني بعد رحلة فاسكو دى جاما بنحو ٨٠ سنة ، ومن ثم
فقد اعتمد على الاشاعات المتواترة ومن عادة العوام ان ينسبوا الحوادث
الكبرى للأسماء اللامعة . ويبدو الخلط واضحا فى مقال النهر والى
بالنسبة للحوادث المكانية والزمانية فالمتبع لمقاله يرى أنه يعتقد بأنه
ابن ماجد دل البرتغال على الطريق حول رأس الرجاء الصالح الذى
كانت مراكبهم تتكسر حوله ، لا على الطريق الملاحى من ماليندى على
ساحل كينيا الى قاليقوت وهى ميناء صغير على ساحل الهند القريبى ،
أما الخلط فى الحوادث الزمنية فان اليوكيرك أخذ هرمز عام ١٥٠٧ م أى
قبل بناء قلعة جوا وليس بعدها كما يذكر النهر والى ، ومن المؤكد كذلك
أن الملاحين العرب فى ذلك الوقت كانت بأيديهم أغلب تجارة المحيط
الهندى وما كانوا يسمحوا للبرتغال بانتزاع هذه السيادة منهم فبد لوهم
على طريق الهند بهذه البساطة ، ثم ان أغلب المصادر البرتغالية نفسها
تقرر أن البهان موضع الخلاف كان مسلما من جوزرات ، على ساحل الدكن ،
وكان يعرف بالمعلم " كانا " أو " كاناكا " بينما كان ابن ماجد عربيا من
ظفار بالجزيرة العربية واسمه سهل النطاق والحفظ فلو كان هو المرشد

(١)

فلماذا تغفل المصادر البرتغالية كلها بلا استثناء ، وهناك مجموعة من
الدلائل والبحوث التي صدرت مؤخرا تنفي ذلك عن ابن ماجد ، ويمكننا
تلخيص تلك الدلائل فيما يلي من مراجعة كتاب سارجنت البرتغاليون
The portuguese of the south Arabian coast:.....

ونحن نلاحظ أن جميع المؤرخين الذين قام سارجنت بتحقيق مؤلفاتهم
في كتابه هذا ، والمعاصرين للغزو البرتغالي سنوات وصوله لم يشرأى
منهم أى إشارة تدل على أن ابن ماجد هو الذى قاد فاسكو دى جاما
الى الهند هذا الى جانب ابن اياس فى كتابه : يدائع الزهور فى
وقائع الدهور ، لم يشر هو أيضا الى ذلك رغم أنه كان يسجل أحداث
البرتغاليين فى البحر الأحمر .
(٢)

ويعتبر ابن ماجد ملاحا قديرا ، اشتهر فى علم البحار ، وفنون
الملاحة ، وهو شهاب الدين احمد بن ماجد بن محمد بن عمر بن فضل
ابن دويك بن يوسف بن حسن بن حسين بن ابي معلق السعدي بن

(١) أنور عبد العليم : المرجع السابق / ص ١٣٢ .

(٢) غسان على رمال : المرجع السابق / ص ٧٠ .

(٣) ابراهيم الشريق : المرجع السابق / ص ١٦ .

أبى الركائب النجدي ، ولد بجلفار على الساحل الجنوبي من الخليج
العربي حيث أماره رأس الخيمة الحالية ، وينحدر ابن ماجد من أسرة
انصرف أفرادها لقيادة السفن فكان والده من قبله بحارا كما كان جده
(١)
متمكنًا من علم البحر .

لقد بلغ ابن ماجد في علم الفلك وفن الملاحة وممالك البحار
ومعرفة الأقاليم ما لم يبلغه غيره من تقدمه أو عاصره أو لحق به ،
وخلف لنا في هذا كله قصائد وأراجيز .

وكان أهمها وآخرها " كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد "
الذي اشتمل على معظم المعلومات النظرية والعملية التي تهتم الملاحين في
البحر الأحمر وفي المحيط الهندي وفي بحر الصين . وقد جمع فيه خبراته
الكثيرة التي اكتسبها عن هذه البحار وأعماقها وأصفي المرجان فيها وجزرها
وموانئها ورياحها التي تهب عليها إلى غير ذلك من الأمور التي تهتم
(٢)
الملاحين .

ويعتبر كتاب الفوائد في معرفة علم البحر والقواعد من أهم كتب أحمد

(١) عبد الرحمن حميدة : أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات

من آثارهم ، ص ٤٦٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٧٠ .

ابن ماجد حيث يقول في أول صفحة من هذا الكتاب :-

الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلقه محمد ، وآله وصحبه وسلم .
وبعد ، فاني رأيت العلوم في الدنيا أسمى مفخرا ، وأريح متجرا وأجل
مرتبة وأشرف منقبة ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم ، وتحريف سائر
الانبياء على طلب العلم ، حتى قيل : ما من علم قبيح الا والجهل به
أقبح منه ، والدليل على صحته اني أقول وأفعل به ، فيا طالما قد أتينا
المراكب من الهند والسيام والزنج وفارس والسند والحجاز واليمن وغيرها
بقصد لا يميل عن جهة البلد المطلوبة ، بأموال وأرواح . وهذا دليل
مؤكد على أن هذا العلم يدل على معرفة القبلة ، فيحتاج اليه أهل
الفرائض ، وقد قرأ علينا فيه كثير من علمائهم وقضاتهم لمعرفة القبلة
واستحسنوه ، وعملوا به دون غيره من العلوم التقريبات ، كتب الدائرة
وركن المود فيها ، ومعرفة طول مكة وعرضها ، ومعرفة طول البلدان التي
أنت فيها وعرضها ، التي لم تمكن من معرفة طول وعرض جميع البلدان والجزر
البحرية والجنوبية ولم يحتاطوا فيها علما ، فرتبنا هذا الكتاب ليرتقى
الانسان به ، أن أمكنه معرفة الدائرة والأطوال والعروض
ومعرفة جهات الكعبة ومعرفة الأرياح الأربع (١) .

احمد بن ماجد : المصدر السابق / ، تحقيق

ابراهيم خورى ، ص ٣

وفى آخر الكتاب يذكر لنا أحمد بن ماجد حيث يقول : " فأنى
استحضرت هذا الجزء وغيره من عشرة أجزاء ، ليعترقى به الانسان لغيره
خوفا من اطالة الكتاب واند راسه وثقله على القارئ والكاتب ، كما
قلنا فى بعض نظمنا شعرا :

لما تحققت شيئا لا دوام له حبست عنان الشرح والقلم •

وكان قصده اقتصار النظم والعلم ، ونظم هذا الكتاب فى عام
(١)
خمسة وتسعين وثمانمائة من الهجرة النبوية ، وقد رتبته على اثنتى عشرة
فائدة ، تكلم فيها عن أول من ركب البحر وأسباب ركوبه وصانعى السفن
ثم أفاض فى بيان المنازل والدارات والمسافات والقياسات والباشمات
والرياح ومظالع المغارب والاستواءات والبحور والسواحل الخ ، وأيضا
(٢)
يعتبر مثالا لما يمكن أن تحتوى عليه المرشدات الملاحية ، ففيه يصف
هذا العلم بأنه من العلوم المضبوطة الفعلية التى تمكن الرىان مسـن
الوصول الى البلد المطلوب دون ميل أو انحراف ، كما تعرف به خطوط
الطول والعرض ، ويقتضى ذلك معرفة الرىان بالنجوم الملاحية وطـرق
(٣)
رصدها بدقة وتقسيم وردة الرياح والتيارات من وإلى الموانئ المختلفة •

-
- (١) أحمد بن ماجد : الفوائد فى أصول علم البحر والقواعد ، ص ٢٩٣ •
 - (٢) سعاد ماهر : البحرية وعلوم البحار عند العرب ، ص ٣٧٦ •
 - (٣) أنور عبد العظيم : المرجع السابق / ، ص ٥٣ •

وفيه يفصل الكلام على الجانبين النظرى والعملى للمسائل الملاحية

(١)

ومن مبادئ هذا الكتاب الرئيسية البحر الاحمر والمحيط الهندي ،

وفيه بعض الصفات التى اضيفت عليه مثل : " رئيس علم البحر وفاضله

وأستاذ هذا الفن وكاماله " وهو حاج الحرمين الشريفين المكنى بالمعلم

والمعلم العربى وناظم القبلتين ، مكة وبيت المقدس ، وشهاب الدنيا

والدين وأسد البحار وليث اللبث ورابع ثلاثة من المعاملة المشهورين فى

البحر وهم محمد بن شاذان وسهل بن أبان وليث بن كهلان^(٢) ، الذى

اعتمد فيه احمد بن ماجد فى تأليف كتابه " الفوائد فى أصول علم البحر

والقواعد " على نسخة من كتاب رهمانى التى نسخها جليله ايث بن كهلان ،

فقد جاء فى مخطوط ابن ماجد " وقد رأيت ذلك يخط ولد ولد فى رهمانى

(٣)

تاريخه خمسمائة وثمانين سنة " .

وعلق رئيس قسم علوم البحار بجامعة الاسكندرية على كتاب ابن

ماجد بأن هذا أهم وثيقة فى الجغرافيا الفلكية والملاحية ، وتنحصر

أهميته فى أنه أقدم الوثائق الجيدة التى دونت عن الملاحة وفنون البحر

(١) محمود كمال : اليمن بشماله وجنوبه تاريخه وعلاقاته الدولية ، ص ٢٠٣

(٢) انور عبدالمليم : المرجع السابق / ص ١٣٩ .

(٣) سعاد ماهر : المرجع السابق / ص ٢٧٤ .

في البحار الجنوبية بين الساحل الشرقي لأفريقيا وبلاد الصين

بلغة من اللغات ، كما أنه يرد فيه لأول مرة ذكر اسم لعلم جديد هو
" علم البحر " بمعناه الواسع مما نعرفه اليوم باسم علم " الأقيانوغرافيا
أو " الأقيانولوجيا " Oceanography or oceanology
ولهذا أثره في تاريخ العلوم (١)

ولابن ماجد مؤلفات كثيرة في علم البحار محفوظة معظمها في

مجموعتين بالمتنبة الأهلية ببائيس تحت رقمي " ٢٢٩٢ " و " ٢٥٥٩ "

أخذت عنهما صورة فوتوغرافية وحفظتا بدار الكتب المصرية وتشمل

المجموعة الأولى على الكتب الآتية :-

- ١ - الفوائد في أصول علم البحر والقواعد .
- ٢ - أرجوزة مختصة في علم البحار .
- ٣ - أرجوزة بر العرب ، في خليج فارس .
- ٤ - الجمة ، في علم البحر .
- ٥ - حاوية الاختصار في أصول علم البحار .
- ٦ - الذميمة في علم البحار .
- ٧ - ضريبة الضرائب .
- ٨ - الفائقة في قياس الضفدع المسمى بقم الحوت اليماني ، وساكب الماء
والظليم الفرد ، والنهر .

(١) محمود كمال : المرجع السابق / ص ٢٠٤ .

- ٩ - القصيدة المكية في علم البحار .
١٠ - كنز المعاملة ودخيرتهم في علم المجولات في البحر والنجوم
والبروج وأسمائها وأقطابها .
١١ - الأرجوزة المعبرية .
١٢ - المنتخات لبر الهند وبر العرب .
١٣ - أرجوزة منسوبة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب في معرفة المنازل
وحقيقتها في السماء وأشكالها .

وتشتمل المجموعة الثانية على الكتب الآتية :-

- ١ - قصيدة في علم البحر .
٢ - السبعية في علم البحار .
٣ - الهدية ، أرجوزة في علم البحر .

١٣٢٧ هـ (١)
وهذه الثلاثة طبعت ضمن مجموعة فران سنة ١٩٢١ م بباريس .

ويكفي للتدليل على أهمية ما خلفه لنا هذا البحار العربي الذي
عاش تلك الفترة من تاريخ الجنوب العرب أن نشير الى ما قرره المستشرق
الفرنسي "فران" Ferrand ، الذي حقق تلك الوثائق العربية

(١) سعاد ماهر : المرجع السابق / ص ٣٧٧ .

١٣٢٧/١٣٢٩ هـ

الملاحية وتولى نشرها لأول مرة بين عامي ١٩٢١ م ، ١٩٢٣ م وعلق عليها
، من أن "كتاب الفوائد " أثر يدعو إلى الإعجاب ، وأنه ذروة التأليف
الفلكى الملاحى لعصره ، وأن ابن ماجد أول مؤلف للمرشديات البحرية
Instructions nautiques الحديثة ، ووصفه للبحر الأحمر لم يفقه
يل ولم يعادله ، باستثناء بعض التصحيحات فى المروض ، أى مرشد
أوروى فى الملاحة الشراعية ، كما أن معلوماته عن الرياح الموسمية والرياح
المحلية وطرق الملاحة الساحلية au cabotage والبعيدة المدى
تتميز بأقصى درجة من الدقة والتفصيل يمكن أن تتوقعهما فى ذلك العصر^(١)
ولا نكون مباغين إذا قلنا بأن أوربا قد أخذت المعلومات الجغرافية
الخاضعة للتجربة والمحققة من علماء المسلمين لا من غيرهم بأى حال من
الأحوال^(٢) .

ووجد اسم " ابن ماجد " طريقه الى الدوائر العلمية الأوروبية منذ
بداية القرن التاسع عشر ، غير أن الكشف عن الأصول العربية لمصنفاته
١٣١٦ هـ
تأخر الى عام ١٩١٢ م ، كما تبين أن الرحالة الانجليزى " ريتشارد
بيرتون " الذى اكتشف بحيرة تنجانيقا قد سجل فى كتابه " السبيل الى

(١) محمود كمال المحامى : المرجع السابق / ص ٢٠٤ .

(٢) نوال حمزة صيرفى : المرجع السابق / ص ٨١ .

أفريقيا واستكشف هيرز" الذي نشره في لندن عام ١٨٥٦م ، أن
ملاحى عدن كانوا الى منتصف القرن التاسع عشر ينسبون اختراع
البوصلة الى من يدعى الشيخ حامد ويقرأون الفاتحة على روحه
قبل ركوبهم البحر (١)

(١) محمود كمال : المرجع السابق / ص ٢٠٣ .

د — بحر العرب والحماية الطبيعية للساحل الجنوبي للجزيرة العربية :

بحر العرب هو ذلك الجزء من المحيط الهندي الملاصق للساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية ، وهو ذات أهمية وذلك لوجود سبيل مرتفع من اليابس حول مياهه من ناحية الشمال ، حيث تتخلله مجموعة من الممرات المائية التي تخترق هذا الحصار المضروب من قبل اليابس حول مياه المحيط الهندي ، وتربط مياهه بمياه المعمورة الفعّال في الشمال ، وبالتالي فإن أهمية بحر العرب تكمن في أنه يتحكم في مجموعة من الممرات المائية الاستراتيجية ، منها مجموعة المنافذ المحلية :
(١)

وهي المنافذ التي يقتصر مجال نشاطها على الظهير المباشر ، يحكم صغر أحجامها وقلة امكانياتها ، وحيث لا تتوفر فيها شروط الموضع المثالي للميناء ، وتضم هذه المجموعة كل من مرسى الصليفي ومخا ومصوع وزيلبيج ، ولا تصلح هذه المنافذ للعمل واستقبال السفن طوال ايام السنة ، بل غالبا ما تقل فيها امكانيات هذه المنافذ ، خاصة من حيث توفير الحماية من الرياح وأمواج البحر المكشوف ، وأيضا مجموعة المنافذ الاقليمية وتضم كل من موانئ الحديد ، الملا ، مصوع ، عصب ، أبوك ، بربرة ، وتتميز دائرة نشاط هذه المنافذ البحرية بالاتساع نسبيا ، حيث تتعدى النطاق المحلي

(١) محمود توفيق محمود : الجغرافيا السياسية للمدخل الجنوبي

الضييق الى المجال الاقليمي الأوسع ، وهذا يرجع الى أن امكانيات هذه الموانئ أفضل ، سواء من حيث ظروف الموقع أو التجهيزات الصناعية ، ومعظم هذه المنافذ ليس لها وظيفة محددة وقاطعة ، ولكن يمكن القول بأن الوظيفة الحربية تكاد تكون الوظيفة الأساسية التي من أجلها (١)

تم تجهيز هذه الموانئ .

قسم القدماء الساكنون لهذا البحر قسما عرفوها بأسماء نواصيها ليقترب عليهم بعيدة ، ويقصر متطاولة ، فالذي يمر منه بأرض الصبيين يسمى بحر الهركند وبحر الغيظ وبحر الصف ، نسبة الى مدينة عيسى ساحله من بلاد الصيخى وفيه مملكة المبراج وتدخل المراكب اليها فى ستة طرق بين جبال سبعة تسمى جبال الكافور وأكثر شجر الكافور بها ولا يبد للمراكب من العيوب بها وهى شديدة الأحوال ، ثم تلى هذه قطعة تسمى بحر فارس وهذه القطعة متصلة بالبحر من ناحية ومحاطة بالأرض من ثلاث نواح ، ويلبها قطعة تسمى بحر اليمن ، وأولها من رأس الجمجمة من بلاد مسهرة وإلى عدن ، ويلب هذه القطعة قطعة من جنوب البحر تسمى بحر الزنج وبحر بربرا ويسمى ساحلها الزنجبار ، وجميع هذه بحر واحد وماء

(١) محمود توفيق محمود : المرجع السابق / ص ٩٤ .

واحد بالاتصال ومختلف بالرياح والحرارة والفضارة والحيوان والعجائب
والجزائر بارزة فيه ثابتة في وجهه من أوله إلى آخره ويقال أن فيه
ما يزيد على أربعة آلاف جزيرة معمرة ^(١).

ولقد شاهد ابن بطوطة صعوبة السير فيه فقال : " وهذا البحر
لا يسافر فيه بالليل لكثرة أحجاره وإنما يسافرون من طلوع الشمس إلى
غروبها ويرسون وينزلون إلى البر ، فإذا كان الصباح صعودا إلى المركب
وهم يسمون رئيس المركب الريان ، ولا يزال أبدا في مقدم المركب ينييه
صاحب السكان على الأحجار ، وهم يسمونها البنات " ، كذلك يصف ابن
جبير صعوبة الأبحار في هذا البحر فيقول " وكانت أهوال شتى عصمت الله
منها بفضلها وكرمها ، منها ما كان يطرد من ضعف عدة المراكب واختلالها ،
واقترانها المرة بعد المرة عند رفع الشراع أو حظه أو جذب مرسى من مراسيه
، وربما سعت الجلبة بأسفلها على شعب من تلك الشعاب أثناء تخللها
فتسمع لها هداً يؤذن باليأس ، فكنا فيها نموت مرارا ونحيا مرارا " ^(٢).

ويقع الساحل الجنوبي للجزيرة العربية بين خطي عرض ١٣ ° ، ١٢ °

(١) الشيخ شمس الدين أبي عبد الله محمد أبي طالب الانصاري : نخبة
الدهر في عجائب البر والبحر ، ص ١٥٢ .

(٢) سعاد ماهر : المرجع السابق / ، ص ١٨٩ .

شمالا وهى منطقة منخفضة تتسع فى أقصى الجنوب الغربى وفى الشرق
وتضيق فى الوسط لاقترب المرتفعات من الساحل وتصل بعض المرتفعات
الى ما يقرب من ٢٠٠٠ متر ويمتد الساحل مسافة تقرب من ١٢٠٠ كيلو
متر ، وتكوينات الصخور قديعة أركية صلبة ، ولكنها تخلو خلوا تاما من
الترية الضالحة للزراعة ، لذلك يرى المسافر فى ذلك المحيط صورة
أقرب للخراب ، تقوم خلفها سلاسل من جبال صفراء عالية يليها السى
الداخل صحراء محرقة ، فترى سماء لا سحب فيها تظل محيطا من
الرمال ، تتخللها الهضبات والتلال ، يقطعها المسافر فى اتجاه
نجد سابقا فى مدة ثلاثة أيام بلياليها ، فكان يدخر الماء ويقتصد فى
استعماله ، وكأنه بعمله هذا يغالب الطبيعة التى قست على هذه
البقعة فحرمتها من نعمة الحياة والاحياء ، وتنحدر مرتفعات لسان
هذا التيه من الربع الخالى شيئا فشيئا فى اتجاه الشرق .

(١) فيليب رفلر وآخر : جغرافية الوطن العربى دراسة طبيعية

اقتصادية سياسية ، ص ٢٧٢ .

(٢) محمد البحراوى : المرجع السابق / ص ٦ .

(٣) محمد سميد المسلم : ساحل الذهب الأسود : دراسة

تاريخية انسانية لمنطقة الخليج العربى ، ص ١٥ .

وينقسم الريح الخالى الى قسمين : أولها الجزء المواق الى الجنوب الشرقى وهو عبارة عن هضاب سهلية ، من الممكن اجتيازها ، وتقدر بنحو ثلث الريح الخالى ، أما القسم الثانى فهو عبارة عن كافة الأراضى الواقعة فى الجهات الغربية ، والشمالية ، والتي تتكون من كيسان الرمال ذات اللون الأحمر ، والأبيض ، وتقدر مساحتها بثلاثى الريح الخالى ، ويقال أن فى أطراف الريح الخالى رمال رقيقة تبتلع الأجسام والأثقال التى تظهرها الأرجل ، وهى منطقة شاسعة تسمى " أم الصميم " وحقيقة وصفها من نوع السيخه - الرمال - التى تتكون عند السواحل البحرية فإذا كان الجو رطباً كان المرور فيها مستحيلاً لرخاوة طينها - ترابها - وقلّة مياهها ومقاومتها للأثقال .^(١)

ويتميز المحيط الهندى بظروفه الخاصة التى أدت الى اختلاف نظام التيارات البحرية فيه عن النظام فى المحيطين الأطلسى والهادى ، ويظهر هذا الاختلاف بصفة خاصة فى القسم الشمالى من المحيط ما بين خط الاستواء وسواحل آسيا الجنوبية ، وذلك فى بحر العرب ، وفى هذا القسم يتغير اتجاه التيارات البحرية تغيراً تاماً فى فصل الشتاء عنه فى فصل الصيف ، ونلاحظ أن التيار الذى يعرجوار الساحل الجنوبى لآسيا فى فصل الشتاء يتجه بصفة عامتة الشرق الى الغرب ، والسبب فى ذلك هو هبوب الرياح الموسمية الشمالية الشرقية فى هذا الفصل من داخل آسيا ، وعند ما يصل هذا التيار الى شرق افريقيا ينحرف جنوباً حتى يعبر خط الاستواء ، ثم يغير اتجاهه بعد ذلك نحو الشرق مكوناً التيار الاستوائى الشمالى ، أما فى فصل الصيف فتعكس الدورة بسبب تغير اتجاه الرياح الموسمية ، التى تهب على شبه جزيرة الهند وبحر العرب فى هذا الفصل

(١) عبد الله أحمد النور: هذى اليمن ص ١٥ .

من الجنوب الغربى بصفة عامة فتدفع أمامها المياه الساحلية على شكل
(١)
تيار يتجه نحو الشرق .

إذا نظرنا إلى سواحل بلاد العرب الجنوبية سواء منها الغربية
أو الجنوبية نجدها سواحل فقيرة جداً إلا من النباتات الشوكية التى
تصبر على الجذب والعطش ، ولذا فإن كل دول المدخل الجنوبي
تعانى من ضعف مواردها الطبيعية ، فالترية الصحراوية الفقيرة تشكل
النمط السائد فى منطقة المدخل الجنوبى التى تعانى بدورها من ضعف
موارد ها المائية بحكم وقوعها فى العروض المدارية الجافة وشبه الجافة ،
حيث أن جزءاً كبيراً من دول المدخل الجنوبى تدخل فى نطاق الصحارى
الأكثر جفافاً فى العالم ، ونتيجة لهذه الظروف نجد أن منطقة المدخل
الجنوبى ، تعد جزءاً من نطاق الجوع والعطش فى العالم ، حيث تعجز
الموارد الزراعية عن الوفاء بحاجات السكان الضرورية من الغذاء ويأتى
عجز الزراعة على الرغم من أن قطاع الزراعة يشكل القطاع الرئيسى فى الهياكل
الاقتصادية لدول المنطقة حيث يعمل به غالبية السكان ، ولعل هذا
(٢)

(١) عبدالعزيز طريح شرف : الجغرافيا الطبيعية أشكال سطح الأرض ،

ص ١٨٠ .

(٢) حسن صالح شهاب : المرجع السابق / ، ص ١٢٢ .

(٣) محمود توفيق محمود : المرجع السابق / ص ٢٠٤ .

هذا أضعف خطوط المدن الساحلية في الجزيرة العربية كما هو أبسطها
تركيبا ، فالمعمور هنا شريط ضيق متقطع تخنقه الجبال في الغرب
والصحراء في الشرق ، وتقل مساحته ومطره وإنتاجه كلما اتجهنا شرقا ،
لهذا فإن خط المدن هنا ساحلى وهيد الامن ذراع يتبع وادى حضرموت
كما أن المدينة تتدهور في نوعيتها بسرعة من الغرب الى الشرق .^(١)

وعلى الرغم من انتشار سواحل منطقة المدخل في معظم قطاعاتها
الى الجروف العالية التي تعوق عمليات الاقتحام البحرى ، إلا أن وجود
الشعاب المرجانية على هيئة حواجز موازية لخط الساحل يؤدى الى
تعذر الحركة أمام هذه السواحل ، وصعوبة النفاذ منها الى الداخل ،
كما أنها تشكل خطا دفاعيا يعوق عمليات الانزال البحرى في معظم
القطاعات الساحلية ، حيث يمثل الساحل الجنوبي انحدارا حادا الى
صلات مدنية متواضعة بعضها أقرب الى القرى الساحلية مثل شقرة واهوار
ولكن ثمة مدينة داخلية خلف عدد ذات اهمية خاصة : هي لحج - وتسمى
ايضا الحوطة ، وهى أهم مدن ما سى بالمحميات الغربية أو المحميات
التسع ، وتتوسط واحة زراعية خصبة غنية ، كذلك تمتاز المحميات الشرقية
وهى حضرموت ومهرة بتقليد مدنى أصيل أساسه التجارة والصيد ، ففى

(١) جمال حمدان : المدينة العربية ، ص ٢٣٦ .

(٢) محمود توفيق محمود : المرجع السابق / ص ١٠٣ .

حضر موت الميناء ان القديمان المكلا والشحر ، اما المكلا فكبرى مساكن
حضر موت ، تقوم بين خليجين : ميناء حديث ومدينة قديمة يفصلها ٣ كم ،
والمدينة مسورة ذات أبراج ، شريطية بطول الساحل تحفها الجبال
من الخلف وليست الرقعة المحيطة " الأملاند " خصبة كأكثر المدن العربية
بل قاحلة مجربة ، ولكن المكلا تعتمد قيمتها من أنها المكان الوحيد على
طول الساحل الجنوبي بين عدن ومسقط الذي يمكن أن يصلح لرسو السفن
لذا كانت محطة للبواخر ومركزا تجاريا هاما ، وتلتقى بالقارة الهلولة
من غوطة أعلى الساحل - من غير تخرج ولا احتشام وهي تداعب النهار
حين يقبل عليها وخلفها سور جبلى شاهق يبلغ ارتفاعه ستة آلاف قدم ،
ويشكل لسان من الأرض وسط المدينة ، وعلى جانبي هذا الميناء - الذى
ترسو فيه السفن - وعلى مقربة من القصر الثالث الذى تقوم عليه المقابر
تندرج الطريق بين صخور منحدره انحدارا عميقا وتلتوى حتى تصل إلى
هضبة يظهر أنها من الحجر الجيري المرجاني .

ومن المجهولات فى هذا البحر وصول على يمانى قطعة النفا ، وبين
الأربع الظهارة اللواتى هى العرما وظهرته والمطاطا والجدير ، وسخ بقرب

(١) جمال حمدان : المرجع السابق / ، ص ٢٣٩ .

(٢) عبد الله احمد النور : المرجع السابق / ، ص ٤٩٣ .

الجدير ، فوق راکه ، والوصول التى بين قطعة القرش ، ووصول القطعة
التى على مدخل الرياضة ، وهى قطعة الكارم ، وعلى المحرم من
الأمرية ما لا يحصى ولا يوصف ، وكذلك على وصول الريم ، وعلى جزر
سمروم و قطف اللواتى بحرقى أم خرقين ، وهى على عمق ، ووصول السدوى
اللواتى على السرین الى حد كفيل وما يليها ، وبين أيلات ، الجزيرة
التى يحرقى مرسى ابراهيم ، والاساخ اللواتى على شامى جبل الصبايا ،
(١)
وشامى شعب الجبل ، كمرق القمازى .

ومن عجائب بحر العرب أن به من اللؤلؤ فيه معدن المرجان ،
فيقال انه ينبت فى قاع البحر كما تنبت الاشجار فى الارض ، وتنشعب منه
عروق فى الماء وهى لينة مثل عروق الشجر ، فاذا قلعت تجف فى الهواء
ويتجربها ويحملونها فتصير بالحجارة حتى انها تدور بها من أصول
الشجرة ، ثم يجذبونها حتى تنقلع فيخرجونها الى البر ويتركونها حتى
تجف ، ثم يفصلونها قطعاً قطعاً كباراً وصغاراً على قدر ما أرادوا ، وأما
أخبار اللؤلؤ فقليل ان الذين يغوصون على اللؤلؤ يعتمدون الى أخشاب
من شجر المقل ويدلون بها بجبال من اللؤلؤ فى أماكن معروفة بمواضع

(١) احمد بن ماجه : المصدر السابق / ، ص ٣٥٤ .

اللؤلؤ ، ويجعلون في تلك الأخشاب حجارة سودا كبارا نحو ستين

رطلا ، وسبب ذلك أن في تلك الأماكن من الحيوانات أشياء كثيرة

(١)

تبتلع الغائص فتتفر من الحجارة السود .

ان طبوغرافية قاع المدخل الجنوبي للبحر الاحمر تجمع بين

الاعماق القحلة والمظهر الطبوغرافى المعقد ، فالجزء الشمالى من المدخل

الجنوبى وان تميز قاعه بالانسياب والانتظام نسبيا ، الا أن ضحولة الأعماق

أدت الى أن يصبح أى اختلال فى انسياب القاع وانتظامه ذو تأثير واضح

على الاستخدام الملاحى ، لذا فان ضحولة الأعماق مع التضرس المحسود

يجعل حركة الملاحة فى هذا الجزء من المدخل الجنوبى تأخذ بصفة عامة

طابع الحرص والحذر ، لتخير الأعماق المناسبة وتغادى العقبات

التضاريسية ، وإذا أضفنا الى ضحولة الأعماق قلة اتساع السطح المائى

فى هذا الجزء ، خاصة حين يزداد ضغط اليابس على الماء الذى حدد

الاختناق عند مضيق باب المندب فان ذلك سيضاعف من تأثير الأعماق

الضحلة على حركة الملاحة ، حيث يضيق المجرى الصالح للملاحة مما

(٢)

يستلزم ضرورة تحديد مرات ملاحية لا يمكن تجاوزها ، ويزيد من تأثير

(١) محمد بن احمد بن ايام الحنفى : بدائع الزهور فى وقائع الدهور

الجزء الخامس ، ص ١٤ .

(٢) محمود توفيق محمود : المرجع السابق / ص ٦٨ .

الأعماق الضحلة على حركة الملاحة ، انتشار الشعاب المرجانية حيث
تتداخل الشعاب مع هذه السواحل في بعض الأجزاء وتمتد أمامها على
هيئة حواجز في أجزاء أخرى ، بحيث يصل عرضها أحيانا الى مئات
الأمطار ، ولا شك أن عدم وجود مجارى نهريّة تصب مياهها العذبة
أمام السواحل ساعد على تكاثر ونمو الشعاب المرجانية وتداخلها مع
خط الساحل على هذا النحو ، ويتميز السهل الساحلى في منطقة
المدخل بأنه رملى منخفض ، فضلا عن طبيعته القاحلة ، حيث يسود
على امتداده مناخ صحراوي ، لا يخلو في بعض الأجزاء من غطاء نباتى
متدحرج فقير ، والملاحظ أن السهل الساحلى على الجانب الاغريقى
لباب المندب أكثر اتساعا ، ويعتبر المندب من المضائق الهامة فى
العالم العربى ومدخل البحر الاحمر ، وسيطر من الجنوب على البحر
العربى ، والمحيط الهندى ، ومنطقة المندب منطقة استراتيجيّة ، ومن
جبال المندب المنهلى ، تجرى منه السيول الى البحر ، وإلى الجنوب
من مضيق باب المندب يبدأ القاع فى الانحدار الواضح صوب خليج
تاجور ، وخليج عدن ، حيث تصل الأعماق الى أكثر من ألف متر ، ويتميز

(١) محمود توفيق محمود : المرجع السابق / ص ٧٩ .

(٢) عبد الله احمد النور : المرجع السابق / ص ٤٦٥ .

قاع هذا الجزء من منطقة المدخل الجنوبي بأنه أكثر وعورة وأقل انتظاما
من الجزء الجنوبي من البحر الأحمر ، وقد يرجع ذلك الى طبيعة
الظروف الجيولوجية التى أدت الى تكوين خليج عدن وتاجورة ، فضلا
عن حداثة هذا التكوين .

والدلائل تشير الى أن خليج عدن كان عبارة عن محيط صغير
تكون نتيجة لحركة ميكانيكية أدت الى انفصال وترجح كتلة شبه الجزيرة
العربية عن كتلة الصومال ، وكان وجود عدن على الساحل الجنوبي
للجزيرة العربية مع كونها ميناء طبيعيا ممتازا ، وكونه حائطا من صخور
عارية ورمال قاحلة كل ذلك جعل آمال العثمانيين فى ذلك الميدان
تتعقد حواليتها وترتكز عليها وحقيقة كان الاستيلاء على عدن ليس بالشىء
السهل ، وكثيرا ما تحطم أمامها قواد كبار على رأس أساطيل قوية ، بيد
أن التحصين الطبيعى الذى حبتها به الطبيعة كان يجعل الدفاع
عنها أمرا سهلا ميسورا بالنسبة للإيدى التى تقبض عليها ، وزاد من
قيمتها امكانية الحصول على الماء العذب فيها ومن حواليتها ، وإن كان

(١) محمود توفيق محمود : المرجع السابق / ص ٦٢ .

هذا الأمر كانت تكتنفه بعض الصعاب أحيانا ، إلا أن مجرد التزود بالماء العذب في هذه البقاع كان حلما لا تنتقص منه هذه الصعاب ^(١) .

ويتميز خط السواحل لبحر العرب بصفة عامة بالاستقامة ، وذلك يرجع إلى طبيعة نشأته كحافات صدعية "Faultscarps" ساهمت في نشأتها سلسلة من العمليات الجيولوجية ، والحركات الأرضية المعقدة التي أصابت قشرا لأرض في هذه المنطقة على فترات مختلفة ، وتغطي قاعة ضلال ^(٢) مرتفعة إذ يرتفع بعضها إلى ما دون سطح الماء ، وبعضها الآخر يظهر فوق السطح ، على شكل جزر ، تظل محاطة بالماء دائما بحيث لا تغمرها حتى في حال المد العالي ، وبعض هذه الجزر ، لها سمات الجزر التي تتكون على أعماق كبيرة من القاع وهي التي تسمى بجزر الأعماق "Deep sea Islands" ، مثل ذلك الجزر جبل الزبير ، وجبل طفر وحنيش الصغيرة والكبيرة وسوقطرة ، وهناك جزر مفصولة عن اليابس وترتبط به من حيث التركيب البنائي وهي التي تسمى بالجزر الساحلية "off-shore" ^(٣) ، ومن أول

(١) محمد البحراوى : المرجع السابق / ص ١٣٧ .

(٢) محمود توفيق محمود : المرجع السابق / ص ٨٦ .

(٣) نفس المرجع ، ص ٦٩ .

جزائر بحر العرب بالجنوب وراء خط الاستواء جزيرة أصرار يحيط بها
نحو ألف ميل وسها مدينة سميت الجزيرة باسم المدينة وفي طرفها جبل
شا هق مطلق على البحر ، وأيضاً من جزر بحر العرب جزيرة أنداميان^(١)
وجزائرها ويقال أن عدتها سبعمائة جزيرة مقاربات صغار وكبار معمورات
يقوم من الهنود والزنج ، وجزيرة الهند يحيط بها سبعمائة ميل وسها ثلاث
مدن وخيرات حسان ، وجزيرة التنين عامرة متسعة بها جبال معدنية
وأشجارها مشمرة بأنواع البهار والطيب ولهذا الجزيرة حصون منيعة ومدينة
تعرف بالتنين يزعم أهلها أن الاسكندر ملكها وأنها من بنائه وأن سبب
بنائها كان بها عظيم الخلقة والفساد ، وجزيرة سرنديب بجنوب البحر
يحيط بها ألف ومائة ميل يشقها جبل الراهون وهو متصل في البحر بجزيرة
بلجرام وفيه أودية الياقوت والماس والسنيادج وطول الجبل مئتا ميل وستون
ميلاً ومدينة سرنديب يسكنها مسلمون ونصارى ويهود ومجوس وكفرة لا ينقادون
لله ، ولهذا الجزيرة بحيرة حلوة نحو سبعين ميلاً وتصب فيها أربع أودية
^(٢)
تسمى الأغاب .

(١) الشيخ شمس الدين أبي عبد الله محمد أبي طالب الانصاري :

المرجع السابق/ ٤ ص ١٥٧ .

(٢) نفس المصدر : ص ١٥٩ .

وتعتبر جزيرة سقطرة ذات أهمية حيث أنها كانت أكثر الجزر إشرافا على مسارات الحركة الملاحية المتبادلة بين بحر العرب وخليج عدن ، وهي جزيرة عامرة قريبة التدوير طولها وعرضها خمسون فرسخا ، وفيها الماء من كل مكان ، وهي على مشارق بر السومال ، يسكنها بعض النصارى ، وقيل أنهم بقية من يونان ، وفيها خلق كثير نحو عشرين ألف آدمي ، وتقع نسي (١) المحيط الهندي والبحر العربي بمحاذاة الساحل الشرقي من خليج عدن وتبعد بمسافة ٢٢٠ كيلو مترا عن رأس غور أفوى الى الشمال الشرقي من طرف أفريقيا ، وكان اسمها القديم " ديستوريد " وهي جزيرة عظيمة - كبيرة - تبلغ مساحتها ب ٣٥٧٩ كيلو مترا ، وتمثل أكثر الجزر قربا من الساحل الآسيوي المواجه وأكثر الجزر إشرافا على مسارات الحركة الملاحية المتبادلة بين بحر العرب وخليج عدن فهي تقف كالحارس عند المدخل الجنوبي للبحر الأحمر ، ولذلك فإن البرتغاليين جعلوها قاعدة لسفنهم الحربية التي كانت تنطلق لغلق البحر الأحمر في وجه السفن المصرية وسفن البندقية ، والهضاب لا تترك على سطح سوقطرة سوى سهلا ساحليا ضيقا ، وإن كان يتسع قليلا تجاه الساحل الجنوبي ، حيث تغطيه فرشات من الرمال والزلط ، والساحل الجنوبي للجزيرة شديد الاستقامة مقارنة بالساحل الشمالي ذي الطبيعة

(١) عبد الله أحمد النور : المرجع السابق / ، ص ٤٧٦

الهداية ، والذي يكتنفه الكثير من الخلجان الساحلية الصغيرة ، ومعظم
المراسى القائمة على هذه الخلجان تصبح مشوفة أمام الرياح الموسمية
الشمالية الشرقية ، فلا تتوفر لها الحماية اللازمة لرسو السفن إلا في فترة
(١)
الرياح الجنوبية الغربية .

وتعتبر جزيرة القمر إحدى جزر بحر العرب وهي تحاذي جزيرة
سرنديب من جنوبها ولما ضاقت هذه الجزيرة بأهلها بنوا على الساحل بنيانا
(٢)
سكنوه في سفح جبل يعرف بهم ممتد إلى أقصى بلاد السودان ومنابع النيل .
لذلك ظل المدخل الجنوبي للبحر الأحمر في بحر العرب لفترة طويلة
، أحد مناطق النفوذ التقليدية للعرب ، وذلك منذ أن كان البحر الأحمر
طريقا للتوابل ، وحتى أصبح شرياننا للبترول ، وقد جاء ذلك ، بحكم
الطبيعة الجزرية أو شبه الجزيرة التي أتاح لدول الغرب ، فرصة
الخروج المبكر إلى مجال الاستعمار ، ولهذا ظلت هذه المنطقة منذ القرن

(١) محمود توفيق محمود : المرجع السابق / ص ٨٣ .

، ص ٨٣ .

(٢) الشيخ شمس الدين أبني عبد الله محمد أبي طالب الأنصاري :

المصدر السابق / ، ص ١٦١ .

السادس عشر حكرا لدول أوروبا الغربية التي كانت تحكم قبضتها على معظم
شرايين المواصلات العالمية .^(١)

« وعلى هذا نستنتج أن بحر العرب حباء الله بالحماية الطبيعية مما
جعل العثمانيين يركزون في بنائهم لحزام الأمن على جناحه الغربي أى
البحر الأحمر ، وجناحه الشرقى أى الخليج العربى »

(١) محمود توفيق محمود : المرجع السابق / ص ٢٢٢ .

الفصل الثاني

الجنّاح الغرب لحزام الأمن

أ- معركة جالديران ٩٢٠ = ١٥١٤ ، معركة مرج دابق ٩٢٢ = ١٥١٦

ب- مصر ٩٢٣ = ١٥١٧ ، انضمام الحجاز ، إعلان لقب السلطان
«حامي الحرمين الشريفين» أهمية قاعدة السوئيس البحرية
للبحار العربية .

ج- عدت ٩٤٥ = ١٥٣٨ ، البحر الأحمر منطقة محرمة .

د- بيلر بكية الحبش (مصوع وسواكن) .

أ - معركة جالديران ٩٢٠هـ / ١٥١٤م ، معركة مرج دابق ٩٢٢هـ / ١٥١٦م :

كان الشاه اسماعيل الصفوى يجتهد كثيرا فى ايجاد القلاقل
والاضطرابات فى داخل الدولة العثمانية فبث لذلك بذور الفساد فى
(١)
جميع الجهات المتاخمة له منها .

وأخذ يعمل على اثارة العثمانيين بطرق شتى ، فأصبحت فارس
ملجأ للفارسيين من وجه السلاطين العثمانيين ، كذلك أخذ الصفويون
يشنون دعوتهم فى الأناضول معتمدين على الأقليات الصفوية المنتشرة
هناك للقيام بثورة ضد الحكم العثمانى السنى ، ولقد ثار الشيعة بالفعل
(٢)
بزعامة رجل يسمى شاه قولى اعتمادا على تأييد اصحاب الأمر فى فارس ،
وهذه الثورة التى ارتكبها الفرس ، أثرت تأثيرا أليما فى السلطان سليم
الأول العثمانى ، فثار للسنة بتدشين حكمه بضرب الشيعة ، وكان لابد
من ازالة الشاه اسماعيل ، خصوصا أن الشاه كان قد استطاع أن يضم الى
(٣)
بلاد كلاً من ولاية شروان ، والعراق العربى ، وخراسان وديار بكر ،
وقهر ملوكهم وقتل عساكرهم بحيث قتل ما يزيد على ألف ألف وكان عسكره

(١) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، الجزء

الأول ، ص ٥٢٥ .

(٢) محمد أنيس : المرجع السابق / ، ص ١٠٦ .

(٣) محمد جميل بيهيم : الحلقة المفقودة فى تاريخ العرب ، ص ٦٨ .

الشيعة الزاحف عليه ، فاستصدر من شيخ الاسلام على فتوى فحواها أن
الصفويين استخفوا بالشرعة والسنة والعلوم الدينية وتجب محاربتهم ، ومن ثم
أصبحت الحرب واقعة لا محالة بين العثمانيين والصفويين .^(١)

أسرع الغوري فور وصوله الى حلب بإرسال أحد أمراءه الى السلطان
سليم للصلح ، إلا أن السلطان سليم رفض الصلح ، " بسبب الرغبة في بناء
حزام الأمن حول الحرمين الشريفين ، مما جعل الغوري يدفع بطلائع
جند ، الى مرج دابق ، من مدن الحدود قرب حلب .^(٢)

وقبل قرار الحرب مع الشاه اسماعيل أمكن تحديد العثمانيين الشيعة
في الأناضول الذين دخلوا الى مذهب الشيعة بتلقيحات رجال الشاه
اسماعيل ، وكان عددهم أكثر من ٤٠ ألف وقتل كثير من هؤلاء الشيعة
والباقون حبسوا ، وعند وجود السلطان سليم في أدنة أمر باجتماع العساكر
في بنى شهر وترك مكانه لابنه .^(٣)

وفي عام ٩٢٠ هـ الموافق ٢٤ صفر ذهب السلطان سليم الى الأناضول

(١) عبد المنعم ماجد : المرجع السابق / ، ص ١١٥ .

(٢) عبد المنعم ماجد : المرجع السابق / ص ١٢٥ .

(٣) Ahmad rasim : Osmanli tarihi, P. 258 .

يسجدون له ويأتون بأمره ، وكاد يدعى الربوبية ، وقتل العلماء ، وأحرق

كتبهم ومصاحفهم ونش قبور المشايخ من أهل السنة وأخرج عظامهم وأحرقها

(١)

، وكان إذا قتل أميرا أباح زوجته وأمواله لشخص آخر .

٩١٧ هـ / ٩٢٥ هـ

وفى أوائل عهد السلطان سليم الأول " ١٥١٢ - ١٥٢٠ م " ازداد

العلاقات العثمانية الصفوية سوءا ، فقبل اعتلائه العرش ، وفندما كان أميرا

على طرايزون ، أدرك السلطان سليم خطورة التغفل الشيعي ، ولما اعتلى

السلطان العرش ، لم يقدم الشاه اسماعيل التهنئة اليه بهذه المناسبة ،

فاعتبر السلطان سليم ذلك تصرفا عدائيا من الشاه ، وكشف عن عدم اعتراف

من جانبه بسلطنته ، ولم يلبث أن ثار بعض أخوة سليم الطامعين في الحكم

(٢)

عليه ، وهما كوركاند Khurkand ، وأحمد الذين كانا يتطلعان للسلطة ،

وكانا على رأس مقاطعات هامة في آسيا الصغرى فقاما ضده بجيوشهما ، وبدون

تضيق أي وقت ، قام السلطان سليم بقيادة جيشه الى بيوسا Buessa ضد هما

وتمكن من هزيمتهما وذلك بعد التجائهما الى الشاه الذي استغلها لتأليب

(١)

المعارضة على سليم ، ثم بعد ذلك هب السلطان سليم لاستئصال الخطر

(١) عباس العزاوي : المراجع السابق / ، الجزء الثالث ،

ص ٣٥٣ .

(٢) السيد رجب حراز : محاضرات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ٥ .

(٣) Lord Eversley: The Turkish empire, its growth and decay, P. III

وأرسل رسالة الى الشاه اسماعيل ، ثم رسالة أخرى بالفارسية ، وفي رسالته الأخيرة أرسل معها هدايا ومرّ جيش العثمانيين من جانب قونيا وقيصري وتوقف في أنقرة وأرسل السلطان سليم أحمد باشا مع عساكره الى جانب سيواس وزاد معاش العسكرين وفرّق من الجيش الشيوخ والعاجزين الذين كان عددهم ٤٠ ألف وترك هؤلاء بين سيواس وقيصري ليحفظوا هاتين المدينتين ، وبعد سيواس وصلوا الى باصمى ضمن " في الأناضول " ووصل (١) الى السلطان سليم رسالة من الشاه اسماعيل وكان مع رسالته معجون أفيون ، فأجابه السلطان في مقابلة تعريفه هذا بان أرسل له كسوة من لباس النساء ، يحرضه بذلك على الخروج الى حربه ، وفي آخر الأمر خرج الشاه اسماعيل بجنوده حتى أشرف على طليعة العثمانيين التي كان على قيادتها شهوارزادة على بك ، وعلى بك ابن ميخال ، وغيرهما ثم تلاقى الجيشان بصحراء جالديران ، وعند ذلك أخذ العثمانيون في تعبئة جنودهم على الطريقة المتبعة اذ ذاك في جيوشهم ووقف السلطان خلف الجنود في مكان يشرف منه على ميدان القتال ، ومعه وزراءه وهم هرسك زادة أحمد باشا وأحمد باشا ابن دوقه كيني ومصطفى باشا وجعل الجنود المدافع خلف ظهورهم ليخفوها عن أعين الفرس ، ووضعوا امامهم عربات النقل والجمال

(١) Ahmad rasim: *Ibid* , P. 258.

وقد كان الجيشان في العدد سواء ، إلا أننا لو اعتبرنا ما أصاب العثمانيين من الضعف الذي استولى عليهم من السير مدة أشهر وسط بلاد قاحلة وصحار (١) مقفرة ، مما زاد مشقة لجيش وأصبح الجنود يتهايمون فيما بينهم ليمسودوا أدراجهم ، لكن السلطان سليم لم يتراجع ، وتم حملها من تبريز (٢) — Trebizond ، حيث قام حاكم البحر الأسود بتمكين السلطان سليم من إرسال مؤن من القسطنطينية Constantinople . وكان السلطان سليم قبل ذلك قد أرسل نصف الجيش إلى الورا ليقلل من المشاكل التي واجهها في نص الأقوات ، ولحل مشاكل قزل باشا ومرتفعات ريجان وأرض الروم وعند اقترابهم من ضفة نهر الفرات كان الصفويون يجتنبون المحاربة في الميدان ، بسبب علمهم بمهارة السلطان سليم في الحرب ، فكانوا يجرونه إلى شمال إيران ومنطقة الجبال ، وكان الصفويون يخربون كل ما وجدوا في الطريق من الأقوات لكلا يجد العثمانيون قوتا ولثلا ينجحوا في حربهم . (٤)

ووصل الخبر للسلطان سليم أن الشاه اسماعيل موجود في شمال غرب تبريز في سهل جالديران ، وفي هذه الأثناء كسفت الشمس وكانت الشمس

(١) اسماعيل سرهنك : المرجع السابق / ، الجزء الأول ، ص

ص ٥٢٦ .

(٢) Fisher: The middle east a History, P. 204.

(٣) Eversley: The turkish empire, its growth and

decay, P. 114 .

(٤) Show: Osmanli Impartor of lugu ve modern turki-

ye. P. 123

علامة في راية ايران وسبب هذا تفاءل العثمانيون بهذا الكسوف ، وعند
مواصلة جيش العثمانيين الى جالديران رأوا خيام الشيعة الذين كانوا
في السفوح وذلك في ٢ رجب عام ١٥١٤م (١) ، فشاوور السلطان سليم وزرا ،
في الحرب في ذلك اليوم فلم يعجبهم ذلك الرأي ، وأشاروا بالتأخر الى
الغد ثم استشار بيير محمد الجمانى الد فتردار فقال في الرأي الحسن
والحزم ، والعلاقة في هذه الساعة ليرهب العدو وأرسل الجواسيس وتقابل
العسكران في ٢٣ أغسطس عام ١٥١٤م واقتتلوا قتالا شديدا واستعجل
أصحاب اليمين فرموا ما عندهم من المدافع والبرقيات فوق العدو ، ولم
ينالوا منهم شيئا وتأخر سنان باشا ثم التحم في القتال وأمر بدفع النار
خاطفا جانب اليمين من العدو ، فاضطر العدو وتحامل على جانب
اليمين وعلى القلب فعند ذلك أمر السلطان القاهر الليكيجرية وكانوا نحو
أربعة عشر ألف نفر فدفعوا مكاحلهم سبع نوب ، فتجاكد الفريقان بجالديران (٢)
، وتطارد الفرسان وتعانق الشجعان ، يهدرون ، فزلزلت الأرض زلزالها
، وأخرجت الأهوال أثقالها ، وقبّلت المعركة سماء غمامها القسطل ، وصواعقها
بروق البيض من بريق الصقيل ، الى ان طارت قلوب الأعداء ، وانهمز الشاه
Ahmet rasim: *ibid* , P. 259 (١)
(٢) أبو محمد مصطفى الهاشمي الشهير بالجنايى : علم الزاخر في علم
الأوائل والأواخر ، ص ٣٥٩ .

اسماعيل وولى فرارا ، وقتل غالب جنوده وأمرأه ، وسأقت العساكر المنصورة
العثمانية من وراءه .^(١)

وقد أظهرت هذه الموقعة فعالية بنادق الرصاص والمدفعية الستى
استخدمها العثمانيون وتمكن العثمانيون من احتلال تبريز ،^(٢) عاصمة الدولة
الصفوية فضلا عن استيلائه على كثير من بلاد أرمينيا الغربية وما بين النهرين
وجميع الأراضي الجنوبية حتى الرقة والموصل وهي بلاد ذات علاقات اقتصادية
وسياسية قديمة بدولة المماليك ، على أن موضع الأهمية أن هذه الاستيلاءات
جعلت العثمانيين قاب قوسين أو أدنى بكثير من أطراف دولة المماليك بشرق
الشام وغرب الفرات ، وهما ناحيتان هامتان لدولة المماليك لاعتبارات
سياسية واقتصادية فضلا عن اعتبارات دينية ، إذ كانت لدولة المماليك سيادة
على إقليم الحجاز .^(٣)

ولم يستول على العراق باستثناء المنطقة الكردية الشمالية ومنطقة
الموصل التي ضمها اليه ، ويبدو أن السلطان سليم اكتفى بكبح جماح الفرس ،

(١) قطب الدين النهروالى : المصدر السابق / الجزء الثالث ،
ص ٢٥٧ .

(٢) محمد بن خليفة بن حمد بن موسى النبهاني الطائي : التحفة النبهانية
فى تاريخ الجزيرة العربية ، الجزء التاسع ، ص ٢٦١ .
عبد الكريم رافق : بلاد الشام ومصر من الفتح العثمانى الى حملة نابليون
بونابرت ، ص ٥٤ .

(٣) فائق بكر الصواف : المرجع السابق / ص ٢٧ .

اذ لم يتابع تقدمه في قلب فارس^(١) ، وذلك حتى تتفرغ الدولة لعمل حزام الأمن حول الحرمين الشريفين .

وبذلك أصبحت مهمة العثمانيين عالمية وليست محلية ، حيث قاموا بانقاذ العالم الاسلامي من الضغط الصفوي الشيعي المتواصل في الأناضول ، وهذا يفسر لنا قيام السلطان سليم الأول بالقضاء على الشيعة في الأناضول ،
٩٢٠ هـ (٢)
ثم حربه مع الشاه اسماعيل الصفوي سنة ١٥١٤ م .

وبأبان الصراع الصفوي العثماني اتبع المالكي وعلى رأسهم قانصوه الغوري سياسة يمكن لنا أن نطلق عليها سياسة التذبذب ، وهذه أشارت حنق السلطان سليم حيث أنه لم يقف موقفا صريحا ازاء الصراع العثماني الفارسي^(٣) .

ولزمت الامارة الـ "ذي القدرية" موقف الحياد أولا ، وامتنعت كذلك عن امداد الجيش العثماني بما يحتاجه من الميرة أثناء هذا القتال^(٤) .

(١) عبدالعزيز نوار : المرجع السابق / ص ٣٣٦ .

(٢) عبدالعزيز نوار : مصر والعراق دراسة في تاريخ العلاقات بينهما حتى نشوب الحرب العالمية الأولى ، ص ٥٨ .

(٣) مصطفى رمضان : المرجع السابق / ص ٣٠ .

(٤) سلسلة التاريخ الاسلامي القسم الثالث ، ص ٢٤٦ .

ثم بعد ذلك جرت مراسلات بين الغورى وشاه الفرس عن امكان تحالفهما لمنع استفحال خطر العثمانيين ، وأرسل الغورى بعض قواته الى شمال الشام ، وترتب على ذلك أن اشتد غضب السلطان العثمانى وازدادت مخاوفه من ناحية المماليك وكان من الضرورى لسليم أن يمنع تحالف الفرس والمماليك ضده ، وأن يعجل بضرب أعدائه كل على حدة ، وفى أثناء سير السلطان سليم لمحاربة الفرس حصن علاء الدولة مد يده مرعش وكان يحكم اماره " ذى القدرية " تحت النفوذ المصرى ، ورفض تقديم الأغذية والمؤن اللازمة للجيش العثمانى فعطل ذلك تقدمه بعض الوقت ، وعند ما رجع السلطان سليم بعد انتصاره فى واقعة جالديران هاجمت القوات العثمانية اماره " ذى القدرية " ، وذلك فى ١٢ يونية سنة ١٥١٥م حيث هزم سنان باشا جيش ذى القدر فى سهل كوكش ، وقتل علاء الدولة وقبض على أولاده الأربعة ، وكان فتح بلاد ذى القدر من الأسباب التى أدت الى نشوب الحرب بين السلطان سليم وسلطان مصر .^(٢)

بعد ازالة السلطان سليم اماره ذى القدر بات العثمانيون على مقربة

(١) مصطفى رضوان : المرجع السابق / ص ٣٠ .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية : المجلد الثانى عشر ، ص ١٢٤ .

من الأطراف المملوكية وذلك من ناحية آسيا الصغرى وأحسن السلطان الفورى

(١)

بالخطر المهدد لدولته تهديدا وشيكا ، واعتبر ذلك عملا عداويا نحو الدولة

(٢)

المملوكية ، ولكن حتى ذلك الوقت لم تكن هناك حالة حرب بين الدولتين ،

ولكن قامت منازعات بين الدولة العثمانية وبين دولة المماليك ، وذلك على

تخطيط الحدود بين الدولتين في طرسوس في المنطقة الواقعة بين الطرفين

الجنوبي الشرقي لآسيا الصغرى وبين شمالى الشام ، فقد تناثرت في هذه

المنطقة امارات وقبائل تارجحت في ولائها بين الدولة العثمانية ودولة المماليك

وكان هذا التارجح مبعث اضطراب في العلاقات بين الدولتين ومصدر نزاع

مستمر . وأراد السلطان سليم الأول الأمر أن يحسم الحدود بالسيطرة تماما

على منطقتها ، وهناك سبب ثان وهو السياسة الترددية التى اتبعها السلطان

الفورى في أثناء الحرب التى قامت بين السلطان سليم وبين الشاه اسماعيل

الصفوى ، فقد وقف الفورى موقفا غير ودى من العثمانيين دون أن يفيد هذا

الموقف الشاه اسماعيل على الاطلاق ، فهو لم يلتزم الحيدة التامة بين العثمانيين

(٣)

والصفويين .

(١) فائق بكر الصواف : المرجع السابق / ص ٢٩

(٢) محمد أنيس : المرجع السابق / ص ١١٠ .

(٣) فائق بكر الصواف : المرجع السابق / ص ٢٨ .

وكان بين السلطان قانصوه الغورى وبين شاه اسماعيل محبة

ومودة ومراسلات بحيث أن السلطان قانصوه الغورى كان يتهم بالرفض فـ

(١)

مقيدته بسبب ذلك ، وفى احدى فترات النزاع العثماني الايراني ، حاول

قانصوه الغورى سلطان المماليك أن يقى نفسه من هذا العدوان على منطقة

النفوذ المشتركة بينه وبين فارس ، فعقد حلفا مع شاه اسماعيل ، حتى

إذا خرج السلطان سليم فى حملة جديدة على الشاه سار قانصوه السنى

حلب ، متظاهرا بالرغبة فى اصلاح ذات البين ،^(٢) يعنى السلطان سليم

واسماعيل الصفوى ، ولكنه كان فى الواقع يسعى الى انجاد حليفه الفارسى

، ولكى يجعل مهمته ذات صفة سلمية اصطحب معه المتوكل ، الخليفة

بالاسم ، ورؤساء القضاة فى مملكته ،^(٣) تتقدمه الطبول والزمر ، وتدق أمانه

الكؤوس ، ومر الجيش حتى خارج المدينة على البسط المفروشة ، وعسكر

بالريدانية ، ثم رحل الى الشام فى اليوم الثانى والعشرين من شهر ربيع

عام ٩٢٢هـ^{١٥١٦م} وأستقبل السلطان فى مدن الشام استقبالا حافلا ، وقد انضم

(٤)

الى الجيش فى سوريا عدد كبير من السوريين ، والبدو ، ودخل دمشق فى

(١) قطب الدين النهروالى : المصدر السابق / ، الجزء الثالث ،

ص ٢٧٧ .

(٢) قدوى قلجى : المرجع السابق / ، ص ٣٦٩ .

(٣) فيليب حتى وآخرون : المرجع السابق / ٣ الجزء الثانى ، ص ٨٢٩ .

(٤) سلسلة التاريخ الاسلامى ، القسم الثالث ، ص ٢٥١ .

جمادى الأولى عام ٩٢٢ هـ - ١٥١٦ م وكان يحيط نفسه بمظاهر السبذخ

(١)

والفخامة التي دأب عليها أسلافه ، فنشر الأموال يمينا ويسارا .

وبعد قضاء السلطان سليم الشتاء في أدنة أرسل سنان باشا

بقوات تتكون من ٤٠ ألف إلى جانب الفرات وكان هذا السفر يقصد منه

للسفويين ، وكان السلطان سليم يعرف اتفاق المماليك مع الصفويين

لذلك أرسل السلطان سليم إلى المماليك هدايا وذلك ليفسد العلاقة بين

الصفويين والمماليك ، ولكن عند ما علم السلطان سليم بمجيء الغوري إلى

حلب ، غضب كثيرا وسأل العلماء فيما يفعله لأنه كان يذهب لمحاربة الكفار ،

وقرر العلماء الحرب على المماليك وعلى هذه الفتوى أمر السلطان سليم

(٢)

اجتماع الجيش ، وكان السلطان الغوري يتوجس شرا من استعدادات السلطان

سليم ، وبث العيون في كل مكان ليأتوه بالأخبار ، وبينما الغوري بحلب إذ

قدم عليه سفير السلطان سليم ، فأمر بالقبض عليهما وكبلهما بالقيود وألقاهما

(٣)

في السجن وبعد أيام أخلى سبيلهما وطيب خاطرهما ورد هما إلى بلادهما ،

(١) عبدالعزيز نوار : المرجع السابق / ص ٨٨ .

(٢) Ismail Hakki Uzuncarsili : *Ibid* ، P. 270

(٣) اسماعيل سرهنك : المرجع السابق / الجزء الأول ،

ثم أرسل السلطان الغورى سفارة الى السلطان سليم يعرض فيها التوسط الى الصلح ، وما كان من السلطان سليم الا أن رده هذه السفارة وقال له :
” قل لأستاذك يلاقينا على مرج دابق “^(١) .

وأرسل له رسالة يلومه على أفعاله ، ويظهر له عدم خوفه منه مهما فعل ، وهذه نص ترجمة الرسالة من التركية : ” قانصوه الغورى أصلح الله شأنه ، ليكن معلوما لدىك عند ما يصلك هذا الفرمان ، أنه قد بات واضحا جليا بعون الله كل ما قمت به من فتنة وفساد ، فقد ارتكبت في الوقت الحاضر ذنبا بمكرك وخذيعتك وحيلتك وجهالتك ، وتأمرت مع بعض الأشخاص وأرسلتهم الى ، ولقد كانت دليلا على رغبتك في اظهار الشهامة والعظمة ، ولم تكن أعمالا لا ثقة من أعمال العقل للحظة واحدة ، وعلى هذا ردت اليك ثانية هؤلاء الأشخاص الذين قبضت عليهم بعد أن وقفت على أحوالهم جميعا ، لكي يطلعوك على حقيقة الأحوال والأوضاع التي وقفوا على حقيقتها بعد فحص وتدقيق ، لأننا لا نخاف مكر أى شخص وخذاعه بعون الله وتقديره ، ولا نخفى على أحد شيئا من أحوالنا ، وعلى هذا فان كانت لديك ذرة من

(١) محمد بن احمد بن ايام الخنفي : المصدر السابق / ،

الحمية وقد ر من الرجولة ونصيب من الفتوة ، فلا تنزوى فى زاوية الخوف ،
واستعد أنت وجميع أعوانك وأنصارك ، وإذا ظهر أمامك أى موقف يسهل
عليك اتخاذ ، فلا تتوان فى السعى اليه ، والسلام على من اتبع الهدى ^(١) .

وقد استشاط غضبا مما سمعه من رسوله ومن الرسالة التى أرسلها
اليه السلطان سليم .

١٥١٦م

وفى يوم الجمعة ثالث عشرة من رجب سنة ٩٢٢هـ ورد مرسوم
مؤرخ من السلطان الغورى وفيه أنه عزم على التوجه الى ملاقاته ملك الروم
سليم خان ، وأنه يسأل الدعاء من أهل دمشق له ، وأن ملك الروم قد
جهز عساكر كثيرة من الأرمن وغيرهم له ، فاجتمع قضاة دمشق ، والشيخ
عبد النبى ، ومن يلون به ، فى جامع بنى أمية بعد صلاتها المقصورة ، وكذا
يوم السبت والأحد ، وقرأوا سورة الأنعام ، ودعوا للسلطان وعسكره ^(٢) .

٩٢٢هـ

وفى ٢٤ أغسطس ١٥١٦م تقابل الجيشان فى مرج دابق ، وكان فى
الجناح الأيمن فى الجيش العثمانى زينل باشا ، وفى الجناح الأيسر سنان

(١) الوثيقة محفوظة بمكتبة طوبقو سراى باستانبول تحت رقم ١٠٩٩

(٢) شمس الدين محمد بن طولون : المصـدر

السابق / ، القسم الثانى ، ص ٢٣ .

باشا الصغير وكان السلطان سليم في المركز مع الفرسان ورماة القنابل ،
وكان في الجناح الأيمن من الجيش المملوكي خير بيك وفي الجناح الأيسر
سيباى نائب السلطنة في الشام ، وبدأت المعركة الحاسمة وكان الغوري
مستعدا لها بل انه كان يرتب بنفسه صفوف قواته ، وبرز الغوري في الميدان
متمطيا صهوة جواده ، وعلى يمينه الخليفة المتوكل وحوله طائفة من الأشراف ،
وكانت خطة السلطان سليم في المعركة هي أنه غطى مقدمة الجيش بسستار
حصين من العربات لثتخطم عليها حدة هجمات فرسان المماليك ، وغطى
جناحيه بالمدفعية الثقيلة التي لم يكن لدى المماليك ما يماثلها ، لأنهم
كفرسان احتقروا استخدام الأسلحة النارية ، وكان للمدفعية عامل كبير في
هذا الانتصار على جيش المماليك الذي كان مسلحا بالدرع والسيوف والسهام
والعدة والعتاد ، وقد أثر ذلك على سير المعركة ، إذ أن المماليك ثبطت
عزيمتهم عن القتال ، وبعدئذ قتل الأمير سودون ، كما قتل ملك الأمراء
سيباى ، نائب الشام ، فانهزم جانب كبير من العسكر في مينة المماليك ، ثم
انهزم خير بيك نائب حلب فتحطمت الميسرة ، وصار الغوري واقفا تحت الصنجد

(١) Ismail Hakki Uzuncarsili: Osmanli tarihi, P. 272.

(٢) محمد عبد المنعم السيد الراقد : المرجع السابق / ص ١٦٠ .

(٣) Fisher: The middle east A History, page : 205

في نفر قليل من المماليك ، ينادى لوقف تيار الفرار : " يا أغوات ! هذا وقت المروءة ، هذا وقت النجدة ، يا أغوات الشجاعة ، صبر ساعة ! " ، ولكن لم يستمع اليه أحد ، وصاروا ينسحبون من حوله وهو يقول للفقراء أدعوا الله تبارك وتعالى بالنصر ، فهذا وقت دعاؤكم ، وانطلقت في قلبه جمرة نار لا تطفأ ، حينئذ خشي الأمير تمتاز الزرد كاش على السلطان ، فشق طريقه اليه وأخذ العلم السلطاني فطواه وأخفاه خشية أن يستولى عليه العثمانيون أو يعلموا مكان السلطان ، وقال للغوري : يا مولانا السلطان ! ان عسكر ابن عثمان أدركنا ، فاتح بنفسك وادخل الى حلب ، ف وقعت هذه العبارة (١) في قلبه وقع الصاعقة ، وأصيب في الحال بفالج أبطل شقه وأرخص حنكه ، وطلب شربة ماء ، فأتوه بكأس شرب منها ولوى عنان فرسه ليهرب ، ولكنه سقط عن فرسه بعد خطوات ، فأقام نحو درجة ، وخرجت روحه ، ومات ، وقيل فقئت (٢) مرارته ، وانهزم المماليك وسقط كبيرهم قتيلا ، وذلك بسبب تفوق مدفعيية (٣) الترك .

لذلك تعتبر موقعة " مرج دابق " من المواقع الحاسمة

(١) محمد بن احمد بن اياس الحنفى : المصدر السابق / - ،

الجزء الثالث ، ص ٤٧ .

(٢) جلال يحيى : مصر الحديثة ، ص ٧٩ .

(٣) امين سعيد : المراجع السابق / ص ٣٢

في التاريخ لما ترتب عليها من النتائج الخطيرة ، فهي لم تكن مجرد
انتصار حربي موعى ، ولكنه انتصار حاسم قرّر مصير دولة المماليك ،
وأحلّ مكانها الدولة العثمانية في زعامة العالم الاسلامي .^(١)

(١) مصطفى رمضان : المراجع السابق / ص ٣٣ .

ب - مصر ١٢٢٣هـ / ١٥١٢م ، انضمام الحجاز ، اعلان لقب السلطان "حامي الحرمين الشريفين"
"أهمية طاعة السويين البحرية"

بعد فشل مصر في اول محاولة ايجابية وراء البحر الاحمر امام
٩١٥هـ

ديون عام ١٥٢٩م ، رأت الدولة العثمانية ان ذلك يقتضى فتح مصر ذلك

الفتح الذى ثان في اعتبارهم الخطوة الأساسية لتكوين الجبهة الاسلامية ،

ثم تأمين البحر الأحمر ، " لعمل حزام الأمن حول الحرمين الشريفين " (١)

وبعد ضم السلطان سليم الشام لم يذهب الى مصر مباشرة ، بل

جلس فترة لتنظيم الجيش واعطى العربان نقودا كثيرة ليكونوا مستريحين ،

(٢)

وعفا عن العلماء والأمراء الملتجئين اليه ، وبعد مكوث السلطان سليم بالشام

ثلاثة أشهر ونصف قام يريد البلاد المصرية ، فافتتح مسيرته لقدم شمسار

(٣)

وافتح غزة وطبرية وقرية الجراكسة الى مصر وولوا الأديار وجعلوا الدوا دار

طومان باي سلطانا ولقبوه بالأشرف واجتمعوا عليه وألقوا مقاليد سلطنتهم

(٤)

اليه وصاروا بين يديه .

ولما علم السلطان سليم بتنصيب طومان باي سلطانا على مصر ، رغب

في عقد معاهدة صلح مع السلطان الجديد لمصر ، فأرسل اليه ، وهو في

(١) محمد البحراوى : المرجع السابق / ص ٨٧ .

، ص ٨٧ .

273

(٢) Ismail Hakki uzuncar sili : Osmanli tarihi, p.

(٣) ابو محمد مصطفى بن السيد حسن بن السيد سنان الهاشمي الشهير

بالجنابي : المرجع السابق / ، ص ٣٥٩ .

(٤) قطب الدين النهروالى : المصدر السابق / ، الجزء

الثالث ، ص ٢٨٠

دمشق كتابا يطلب منه فيه الاعتراف بالسيادة العثمانية على مصر ، على
أن يكون طومان باي نائبا عن السلطان سليم في حكم البلاد حتى مدينة
غزة ، لكن طومان باي رفض طلبات السلطان سليم ، وأخذ يستعد بكل
قواه للجولة القادمة ، فاشترى قدرا من البنادق والمدافع من جمهورية
البندقية ، لأن التجربة دلت على أنها كانت من أهم عوامل ظفر العثمانيين
في موقعة مرج دابق ، وعزم على ملاقات العثمانيين خارج القاهرة بقواته
التي بلغت قرابة الأربعين ألفا ، على أن تلحق به النجادات فيما بعد ،
وأن يتولى فريق من المماليك تحصين القاهرة لحمايتها ، إذا منى طومان
باي بهزيمة .^(٢)

ومن سورية زحف السلطان سليم جنوبا نحو مصر ، وعبر صحراء سيناء^(٣)
بسرعة وذلك في مدة خمسة أيام من ١١ - ١٦ يناير ١٥١٧ م ، ووصل إلى
شواطئ النيل " وكانت قد هطلت تلك السنة أمطار غزيرة سهلت على الجيش
العثماني اجتياز الصحراء " .^(٥)

-
- (١) السيد رجب حراز : المرجع السابق / ص ١٤
(٢) سلسلة التاريخ الاسلامي : القسم الثالث ، ص ٢٦٥ .
(٣) فيليب حتى وآخرون : المرجع السابق " الجزء الثاني " ص ٨٣٠
(٤) Stanford show : Osmanli imparator lugu ve
الجزء الاول ، modern turkiye, p . 128,
(٥) جمال الدين الشيال : المرجع السابق / ص ٤٠

وأشيع أن السلطان سليم قسم عسكره الى فرقتين ، فرقة تجىء من
على الدرب السلطاني ، وفرقة تجىء من على التيه من مكان جاء منه
القاصد ، فلما بلغ طومان باي هذا الخبر أرسل أخصر الأمراء وضموا
(١)
مشورة في ذلك .

١٥١٦م
ولما كان يوم الخميس التاسع والعشرين من ذي الحجة سنة ٩٢٢هـ
زحف عسكر ابن عثمان ووصل أوائله الى الجبل الأحمر ، فلما بلغ السلطان
طومان باي ذلك زعق النفير في الوطاق ونادى للعسكر بالخروج الى قتال
عسكر ابن عثمان ، فركبت الأمراء المقدمون ودقوا الطبول حرباً ، وأقبل
عسكر ابن عثمان .

(٢)
وتلاقى الجيشان في أوائل الريدانية ، فكان بين الفريقين وقعة
مهولة ، ثم ان العثمانية تحابوا وجاءوا ، ثم انقسموا فرقتين ، فرقة
جاءت من تحت الجبل الأحمر ، وتلاقت للعسكر عند الوطاق بالريدانية ،
وقت الغداة ، فلما وقف الصفان ماج عسكر بني عثمان كموج بحر عمان ،

(١) محمد بن احمد بن اياس الحنفى : المصدر السابق / ،

الجزء الخامس ، ص ١٣٦ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٤٥ .

فرتبه وزيره الأعظم سنان باشا في ميمنة العسكر ، ويونس باشا في الميسرة ،
وأصطف الجيشان ، وزحف العسكر المصري على سنان باشا في الميمنة ،
(١)
ورموا عليه بالمكاحل والسبقيات .

وقد ظن طومان باي أن الجيش العثماني يقابله مجتمعاً ، فعبأ
جنداً ، كله في القلب ، ولكن العثمانيين كانوا أكثر خبرة بفنون الحروب
وأسالهم ، فما كادت المعركة تنشب حتى قسموا جيشهم الى ثلاث فرق ،
فرقة لمواجهة المماليك في الريدانية ، وفرقة سارت تحت الجبل الأحمر ،
وأحاطت بهم من اليمين الى الخلف ، والفرقة الثالثة سارت الى بـولا ق^(٢)
وأحاطت بهم من الشمال ، وقد أسر المماليك سنان باشا أعظم القواد والوزراء
في معسكر السلطان سليم ، وقتله طومان باي بيده ، ظناً منه أنه السلطان
سليم لما كان يبدو عليه من المهابة ، غير أن جناحي الجيش العثماني قد
أطبقا على المماليك وأحاطا الجند بهم ، وتحير المماليك من خطة السلطان
سليم ولكنهم قاوموا واستمرت الحرب الى بعد عصر اليوم الثاني ، وذلك بعد
(٣)
حرب كبيرة اذ قاتل جان بردي الغزالي على قوات علي بيك ومحمد باشا ،

(١) شمس الدين محمد بن طولون : مفاكهة الخلان في حوادث

الزمان ، القسم الثاني ، ص ٤٥ .

(٢) سلسلة التاريخ الاسلامي : القسم الثالث ، ص ٢٦٨ .

(٣) Ismail Hakki Uzuncarsili: Osmanli, P. 276

وأشدت الحرب ، صار مثل يوم يغشاه العذاب من فوقهم ومن تحسست
أرجلهم ، وفي ثلاثة أيام يستمر القتال من الصباح الى العشاء حتى قتلوا
جميع الجراكسة ، ومن انضم اليهم من العربان ، وأسفرت النتيجة عن
موت خمسة وعشرين ألف جندي ، ثم تقدم سليم الى القاهرة ، وفي
البداية لم تكن هناك أى مقاومة ، لكن بعد ذلك قام المماليك باحتلالها
وقاموا الجيش العثماني مقاومة شديدة وأقيمت المعارك في الشوارع وتحول
كل بيت الى حصن منيع ومكث السلطان سليم ثلاثة أيام محاولا الاستيلاء
على القاهرة ولقي ٨٠٠ جندي مملوكي مصرعهم ، حيث أنهم كانوا
محاصرين ، واستولى عليها بعد عدة أيام من القتال وأصبح السلطان
سليم الآن سلطانا يحكم من الدانوب الى النيل وأصبحت الدولة العثمانية
معروفة في كل مكان .^(١)

لذلك تعتبر معركة الريدانية اصعب من معركة مرج دابق لأن جبهة
الريدانية كانت مجهزة بمائتي قنبلة كان قد أخذت من الفرنج وبقسوات

(١) شمس الدين محمد بن طولون : المصذر السابق /
القسم الثاني ، ص ٤٧ .

(٢) Lord Eversley: The turkish empire its growth
and decay P. II6

(٣) محمد بن خليفة بن حمد بن موسى النبهاني الطائي : المرجع
السابق / الجزء التاسع ، ص ٢٦١ .

تتراوح بين عشرين الى خمسين الفا ، وأخذ طومان باى من الأجانب
قنابل وأدوات رمى القنابل ، وكانت تمتد جبهة طومان باى من شمال
شرقى القاهرة من جبل المقطم ومن اليسار كانت تمتد جبهته الى النيل ،
وكان يوجد فى الجناح الأيمن من الجيش العثمانى مصطفى باشا وفى
الجناح الأيسر سنان باشا الصغير وكان سنان باشا الصغير يقف فى
مكان سليم فى مركز الحرب ، وكان لخطة السلطان سليم نجاح كبير حيث
رأى أن التعرض من الجبهة يوجب اتلاق كثير من الجيش ، لذلك رأى أنه
لا بد من الهجوم بطريقة غير مباشرة وذلك من جنبهم ووراءهم ، ولو أقسم
الهجوم من جهة اليسار لكان يلزم عبور النيل وهذا لا يمكن الآن ، ولذلك
قرر الهجوم من الجناح الأيمن وذلك بالالتفاف حول جبل المقطم ،
وبذلك انهزم العدو من الجنب والوراء بدون استطاعة استعمال قنابل
(١)
ثميرة .

وتعزى الهزيمة التى منى بها المماليك فى هذه الموقعة الى تفوق

(٢)

المدفعية العثمانية .

Sydney nettleton fisher: The middle East a =
History, P.-205 .

Ismail Hakki Uzuncarsili : Osmanli tarihi, P. (١)
275.

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد الثانى عشر ، ص ١٢٥ .

وبعد ضم السلطان سليم القاهرة نقل مكان جيشه من بركة الحج الى
الريمانية ومنها الى موقع بولاق حيث كان الخطر في القاهرة لم يخته ، لذلك
لم يسكن هناك ، وهجم طومان باي بعسائر تقدر بعشرة آلاف شخص الى
مكان السلطان سليم في ٩٢٣ هـ وكان قد^{١٥١٢/} وصل الى مسامع العثمانيين خبر
هجوم طومان باي ولذلك لم يوفق طومان باي في هذا الهجوم ، ولم تتمكن
القوات العثمانية من القبض على طومان باي الذي كان قد هرب بلباس
امراة وكان معه سبعة أشخاص الى أطراف الصعيد ، والتجأ بعض رؤساء
المماليك الذين يثسوا من النجاح الى السلطان سليم وطلبوا العفو . وكان
بينهم جان بردى الغزالي .^(١)

ولما فرط طومان باي انطلق الى الدلتا متجها ناحية " تروجة " فلقبه
أحد رؤساء العرب من مشايخ البحيرة عند بلدة " البوطة " وهو حسن بن
مرعى .^(٢)

ويقال أنه ابن بقر والراجح أنه حسن ابن بقر حيث ذكر لنا أبو محمد
مصطفى بن السيد سنان الماشي الشهير بالجنابي في مخطوطة علم الزاخر

(١) Ismail Hakki Uzuncarsili : *ibid* , P. 277 .

(٢) سلسلة التاريخ الاسلامي : القسم الثالث . ص ٢٨٠ .

فى علم الأوائل والأواخر ، عند ما انهزم طومان باى بالكلية التجأ الى ابن
بقر ، وكتب السلطان سليم الى ابن بقر يطلب منه طومان باى فأرسله اليه
وقربه اليه السلطان سليم ^(١) .

ولما أحضر طومان باى بين يدى السلطان سليم " كان عليه مثل
لبس وأقام هناك أياما وهو بوطاق ابن عثمان ، حيث أذن له بالحضور فى
الاجتماعات التى كان يعقد ها السلطان للنظر فى أمر البلاد ، وكان يسأله
فى كثير من المسائل المتعلقة بها ويخارجها وإدارتها واستمر على ذلك
عشرة أيام ، فلما وردت الأخبار الى القاهرة صار طائفة من الناس تكذب ^(٢)
فأقام السلطان طومان باى فى الوطاق عند ابن عثمان وهو فى الحديد الى
يوم الاثنين ثانى وعشرين ربيع الأول عام ٩٢٣ هـ ، وكان ذلك اليوم الخميس
١٥١٧ / م ، وهو يوم فطر النصارى وعيد هم الأكبر ، فعدها بالسلطان طومان باى من
برأية الى يولاق ، فطلعوا به من هناك وهو راكب على اكديش وهو فى
الحديد ، وكان أشيع أن ابن عثمان يرسل طومان باى الى مكة ولا يقتله ، فلما
بلغ ابن عثمان أن الناس لا تصدق بمسك طومان باى فخلق من ذلك وعدى

(١) ابو محمد مصطفى بن السيد حسن العاشى الشهير بالجنايى :

المرجع السابق / ، ص ٣٥٩ .

(٢) عمرضا كطالة: العالم الاسلامى ، الجزء الثانى ، ص ١١٨ .

به ، فلما طلع من بولاق شق من المعس وقد امه نحو أربع مائة عثمانى ورماة
بالنقط ، فطلع من على سوق مرجوش وشق من القاهرة ، فجعل يسلم على
الناس بطول الطريق حتى وصل الى باب زويلة ، فلما أتى الى باب زويلة
أنزلوه من على الفرس وأرخوا له الحبال ، فلما تحقق أنه يشق وقف على
أقدامه على باب زويلة ، وتم شقه على باب زويلة وقت الظهر يوم الاثنين^(١)
حادي عشر من ربيع الآخرة لعام ٩٢٣ هـ ١٥١٢ م^(٢) .

وبعد أن استتب الأمور للسلطان سليم في القاهرة ، كتب لابنه
الأمير سليمان رسالة الفتوح يخبره فيها بما حدث في المعارك التي دارت
بينه وبين الغوري في مرج دابق وبينه وبين طومان باي في الريدانية وفي
داخل مدينة القاهرة ، ويذكر له كيف هرب طومان باي الى الصعيد ، وكيف
تم القبض عليه وشقه ، وفيما يلي نص الرسالة : " ولدي العزيز سليمان شاه
طال بقاء ونال مناء ، ليكون معلوما لديك عندما يصلك هذا الفرمان السلطاني
، أن الغوري قد خذل وقهر وهزم في الحرب في مكان يدعى مرج دابق

(١) محمد بن أحمد بن إياس الحنفى : المصدر السابق /

، الجزء الخامس ، ص ١٢٥ .

(٢) شمس الدين محمد بن طولون : المصدر السابق /

" القسم الثاني ، ص ٦٠ .

١٥١٦م
بالقرب من حلب في أواخر رجب من العام الماضي ٩٢٢ هـ ، وانتصر
جيش الاسلام بعناية الله تعالى ، وهزمت طائفة المماليك ، وقطعت
رأس الغورى ، وبعد أن ألقيت تحت سنيك حصان السلطان قســد
طومان باي سيء الحظ مصر ومعه بقية السيوف ، واعتلى عرش مصر ،
ووصلت الى مصر بجيش كبير في السابع والعشرين من ذى الحجة من عام
١٥١٦م
٩٢٢ هـ ، واستقرت في مكان يسمى الخانكة في ضواحي مصر ، وفي اليوم
التالي حاولت دخول نفس المدينة " القاهرة " من ناحية بركة الحاج
وجبل المقطم ، علم من الأشخاص المأسورين أن الكفار الأولاء المقهورين
أحضروا رجال مدفعية ليقتدوا ، وفي اليوم التالي وهو الخميس التاسع
والعشرين من الشهر المذكور ، عهدت الى وزيرى الأقدم سنان باشا
الهزير مع البكوات والأمراء بالجناح الأيمن للجيش ، وتولى وزيرى الأكرم
يونس باشا وسائر البكوات والأمراء الجناح الأيسر ، وقامت بعض المناوشات ،
فاشتعلت نار الحرب ، وأظهر الرجال من كل جانب براعة في ميدان وتقدموا
وأطلقوا المدافع والبنادق في كل اتجاه ، وهاجم سنان باشا الجناح
الأيسر للعدو بمدافع جناحه ببسالة ودمره ، فهزم جيش الضلال وانكسر ،
وجرح ذراع طومان باي جرحا بالغا بمشيتة الله تعالى أثناء تقدمه ،
وتشتت الخصم عديم الأصل من طعنات السيوف ، وفي النهاية أدار وجهه

وولى هاربا ، وعندما وصل الى مسامع أهل الايمان قول الله " ألا ان حزب
الله هم الغالبون " تمسك جنود الجراكسة بأذيال الفرار ^(١) .

وقد سكن السلطان سليم في مصر ثمانية أشهر وذلك حتى اكتمل
عام ٩٢١هـ ^(٢) وقابل الزائرين الذين جاؤا لتهنئته من شيوخ عربان .

وبعد أن دخل السلطان سليم القاهرة وجد بعض القضاة ورجال
الدين والعلم من الحجاز ، وكان الغورى قد اعتقلهم بعد الاضطرابات
التي حدثت في الحجاز ضد الحكم المصرى فأفرج عنهم ، فأشاروا عليه بأن
يكتب الى شريف مكة الشريف بركات يدعوه الى قبول السيادة العثمانية
واعلان الدعوة للسلطان سليم ، وتعهدها بأن يكتبوا للشريف بركات في هذا
المعنى ، وبالفعل أثمرت هذه الحركة ذلك أن الشريف بركات وجد من
الحكمة قبول السيادة العثمانية ، فهو يواجه الخطر البرتغالى ، وفي حاجة
الى مساعدة دولة اسلامية كبيرة ، وعلى كل حال فالحجاز يجب أن يكون سالما
مع الدولة الحاكمة في مصر ليستفيد من الأوقاف المحبوسة على الحرمين الشريفين
وفقراء مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ثم ان دخول الحجاز تحت السيادة
العثمانية لن يغير من نظام الحكم القائم في الحجاز نفسه بل ربما يؤدي الى

(١) انظر الرسالة في تاريخ السلطان سليم لاسحاق بن ابراهيم مخطوط في دار

الكتب المصرية تحت رقم ٧١ تاريخ تركى مترجم ، تاريخ النسخة ١١٢٣هـ .

(٢) p.278 ، 161d ، Ismail Hakki Uzuncarsili :

تقوية مركز الشريف بركات أمام خصومه في الشرافة ، وقبل الشريف بركات
(١)
العرض العثماني ، لأنه وجد من الحكمة الاستجابة وقبول السيادة
العثمانية الجديدة ، وذلك لحاجته أولا الى مساندة دولة اسلامية
كالدولة العثمانية في مواجهة الخطر البرتغالي في البحر الاحمر ، للاستفادة
ثانيا من العون المالي الذي تعد به مصر أهل الحجاز ومن جهة ثالثة ،
فلربما احتفظ العثمانيون بنظام الشرافة المتبع في حكم الحجاز ، مما قد
يؤدي الى تقوية مركز الشريف بركات أمام منافسيه وخصومه .
(٢)

وكان الأشراف يرون أن من يحكم في القاهرة هو صاحب الدولة
العامة الاسلامية التي يجب أن يعمل كل المسلمين تحت رايتها ، فكان
طبيعيا أن يتطلع الشريف مكة " ابو البركات " الى موافقة صريحة من السلطان
سليم الأول عليه شريفا حاكما في مكة وملحقاتها .
(٣)

لذلك أرسل الشريف بركات الشريف مكة ، وفدا على رأسه ابنه ابو نمى
محمد ، وكان وقتذاك في الثانية عشرة من عمره وأستقبله السلطان بعد تقديم

(١) محمد انيس / المرجع السابق / ، ص ١٢٩ .

(٢) السيد رجب حراز : المرجع السابق / ، ص ١٦ .

(٣) عبد العزيز نوار : المرجع السابق / ، ص ٩٥ .

التهانى له ، وفروض الولاء للسلطان سليم ، الى جانب مفاتيح الحرمين الشريفين ، اشارة الى خضوع الحجاز للسيادة العثمانية ، وبعض الآثار النبوية الشريفة التي حملها الى السلطان سليم والتي لا تزال محفوظة حتى اليوم في جناح الأمانات المقدسة بمتحف طويقو سراى باستانبول وهى : - سيف النبى صلى الله عليه وسلم وقوساه ، وسيف الصحابة رضوان الله عليهم ، والبيرق الشريف الذى يعتز من أهم الأمانات المقدسة ، ويطلق عليه العثمانيون " سنجق شريف " ، ورسالة الرسول صلى الله عليه وسلم التى بعث بها الى العقوقم عظيم القبط التى كتبت سنة ٦٢٧م ، وأثر قدم النبى صلى الله عليه وسلم على المرمر ، وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وهى عبارة عن جزء من إحدى أسنان النبى كسرت أثناء معركة أحد ، وشعرة من لحية النبى صلى الله عليه وسلم ، ومحفظة الحجر الأسود من الذهب وأخرى من الفضة ، ونسخة من القرآن الكريم بخط سيدنا عثمان ابن عفان مكتوبة على رق غزال وعليها قطرات من الدم من أثر طعنة السيف التى تلقاها سيدنا عثمان عندما كان يقرأ فيها ، واقفال كثيرة للكعبة ،

(١) جلبى وحاجى خليفة نامريه : تحفة الكبار فى أسفار

(١)
وثلاثة مرازيب وقول فيها من السلطان سليم بالاكرام ، وخلع عليه وعلى والده
، وكتب له حكما سلطانيا باستقرار مولانا الشريف بركات على الحرميين
الشرفين والأقطار الحجازية ويندر ^(٢) جده المعمور ، حيث تنص الرسالة مايلي :
” وبعد فقد وردت المطايع الطيبة ، مقرونة بالتطيب يطيب النية الخالصة
وصعدت المناوذة الفايزة بفيوض صفاء العقيدة المتخلصة الى موارد أبوابنا ،
من مقام الشريفى الأشرفى ، السيد الشريف ، زين الدين بركات ، بسن
السيد الشريف محمد ، فاستسعدت بسعادة مطالعتنا الشريفة ، وتيمنست
من ملاطفتنا اللطيفة ، وفهم انعطافكم الى الامثال بالأمر المعطوف على
أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، فهذا هو الأمر المرمى من مرايا أحاسن
اخلاصكم المرضية والمروى من مزايا محاسن وفاكم الرضية ، فادام الله الجنب
العالى ، لما وصل الى مواقفنا الرفيعة ، وقبل لدى عتبتنا المنيعة ، أمرنا
بأن يتلقى كمال الالتفات ، وأن يتلقى بالتقاء غاية المراعات من موايد عواطفنا
، وبعد أن راعيناه بالرعاية الكاملة الوافرة ، تلاطمت فى حقه أمواج بحار
عناياتنا الزاخرة ، فشرفناه بتشاريف الخلع الحليقة ، وأجزناه اجازة معاندة

(١) تم مشاهدة هذا الآثار النبوية أثناء رحلتى العلمية الى استانبول .

(٢) محمد البحراوى : المرجع السابق /

بكثرة التصدقات العالية ورسمنا له بأن يكون قاعد أمارتكم العتيقة وناييا
فى مقام اياالتكم على الطريقة الأنيقة ، كما كان فوض اليه المقر الشريفى ،
سالفا وأمرناه بأن يكون أميرا بمكة المشرفة المنورة المطهرة ونواحيها
وضواحيها وتوابعها ، ولواحقها المعطرات ولكل موضع كان الجناب
الكريم حاكما وضابطا فيه بمراسم السلاطين القديمة وأصدرنا من بابنا
العالى وموقفنا المتعالى منشورا شريفا ومرسوما رصيفا متضمنا بما فيه مسن
المضمون المنظوم ، كاللؤلؤ المكنون على ما قرر فى كتابنا الكريم وخطابنا
القويمة فأوصله الله الى المواصل المستقر وأنزله الى منازل المقر المحترم
مع السلام البدنية والروحانية ، بالعنايات الربانية وهمتنا السلطانية . انشاء
الله تعالى .
(١)

(١) أنظر الوثيقة بمكتبة طويقو سراى باستانبول تحت رقم ٤١٥ .

فلما عاد أبو نعي الى مكة قرئت المراسيم الشريفة بالحطيم^(١) ، والمرسلة
من السلطان سليم على الناس ، هخطب باسم السلطان سليم في المسجد
الحرام ، وقبض على حسين الكردي وقتل غرقا ، والحقيقة أن تصرف الشريف
بركات كان يتفق ومصلحة بلاد ، المهددة بخطر الغزو البرتغالي ، والمحتاجة
لعون العثمانيين المادي والعسكري ، فضلا عن أن مسلك الشريف بركات قد
وطد علاقته بالعثمانيين وأدى الى تقوية مركز الشريف أمام خصومه المنافسين^(٢)
له على اماره مكة .

بذلك ضم الحجاز للدولة العثمانية تلقائيا ، لأن الحجاز كان يتبع مصر
تبعية تلقائية وهي تبعية تمثل د راسة طريقة في العلاقات بين البلدين ، ففي
أغلب مراحل التاريخ كان لمصر نوع من السيادة على الحجاز ترجع أساسا الى
أن الحجاز كان منطقة حيوية بالنسبة لمصر سواء من الناحية الدفاعية أو من
الناحية الهجومية ، فمن الثابت أن كل سياسة دفاعية أو هجومية للدول القائمة
في مصر تتخذ مجالها في شمال البحر الاحمر وجنوب بلاد الشام ، غسيرا أن

(١) محمد البحراوى : المرجع السابق /

ص ١٤٧ .

(٢) محمد كمال الدسوقي : المرجع السابق /

ص ٤٢٣ .

لسيادة مصر التاريخية على الحجاز عوامل أخرى الى جانب الاعتبارات
(١)

العسكرية ، منها الحماية التي توفرها له مصر ، والعون الذي تمده به ،
فمثلا في الأموال والغلال التي ترسلها لفقراء مكة والمدينة ، والمرتبات
والهدايا للأشراف ، كان يتبع مصر تبعية تلقائية ، بمعنى أنه لم يكن
يرتبط بدولة معينة في مصر بل كان يرتبط بمصر ذاتها ، بصرف النظر عن
الحكومة أو الدولة القائمة فيها .
(٢)

وانفرد الحجاز دون سائر الولايات العثمانية بعدة امتيازات كان
في مقدمتها إعفاؤه من تقديم جزية سنوية للدولة العثمانية بل على العكس
كان يتلقى الحجاز كل عام اعتمادات مالية ضخمة من مصر وكانت عبارة عن حصيلة
الأوقاف الموقوفة على الحرمين الشريفين وفقراء مكة المكرمة والمدينة المنورة ،
وكانت هذه الأوقاف عبارة عن أراضي الزراعية وغيرها من العقارات الثابتة
التي أوقفها أهل البذل من المصريين زلفى الى الله ، وكانت أموال الحجاز
يطلق عليها الصرة ، ولذلك كانت علاقة اقليم الحجاز بمصر أقوى من علاقته
بالولايات العثمانية الأخرى بل ان الباشا العثماني في مصر كان يعتبر

(١) محمد أنيس / المرجع السابق / ص ١٢٧ .

(٢) السيد رجب حراز : المرجع السابق /

في كثير من فترات التاريخ مسئولاً عن الحالة السياسية والاقتصادية في
(١)

أقليم الحجاز •

ويبرز الطابع الديني للدولة في اهتمامها الكبير بأقليم الحجاز
منذ أن غدا ولاية عثمانية ، فكانت تبعية الحجاز للدولة قد أضفت عليها
مركزاً دينياً مرموقاً في جميع أرجاء العالم الإسلامي على أساس أن هذه
الولاية تضم أهم الأماكن المقدسة الإسلامية على وجه الأرض ، وتجلس
هذا الاهتمام في عدة امتيازات قررها السلطان سليم الأول وهو لا يزال
في القاهرة لولاية الحجاز دون سائر الولايات العثمانية ، وسار هذا
النهج السلاطيني العثمانيون الذين تربعوا على عرش الدولة من بعده ،
وعملوا على دعم هذه الامتيازات بحيث أصبح في حكم الاستحالة المساس
بها ، وكان من بين هذه الامتيازات الإعفاء الضريبي ، فكان الحجاز
لا يقدم جزية سنوية للدولة على الرغم من أن السلطان كان يحرس على
فرض هذا الالتزام على معظم الولايات العثمانية ، وقد أمر السلطان سليم
(٢)

بزيادة الاعتمادات المالية المخصصة للحجاز •

(١) فائق بكر الصواف : المرجع السابق /

ص ٤٥ •

(٢) عبد العزيز الشداوي : المرجع السابق /

الجزء الأول ص ٦٤ •

واهتم السلطان سليم الأول بأرض الحجاز اهتماما كبيرا فكان أول من
أقرّ حب الصدقة لفقراء مكة المكرمة ، ووصلت بالفعل الى جدة في العام
التالى لضم الحجاز مراكب قادمة من السويس تحمل سبعة آلاف أردب قمح ،
(١)
وزعت كلها على فقراء مكة .

وساير العثمانيون الظروف في الحجاز واقروها وكانت علاقتهم بأشراف
الحجاز علاقة طيبة ذات نتائج مفيدة ، وقد غمر السلاطين العثمانيون
الحجاز ومكة المكرمة على الأخص بكثير من عطفهم وحسن سياستهم ، وكان
كل منهم لا يتردد في اقرار الشرف على امارته وارسال الخلع والهدايا اليه ،
وترتيب رواتب كثيرة لكثير منهم وارسال آلاف الأردب من الحب لأهل الحرمين
الشرفيين ، ومن الواضح كذلك ، أن قرب الحجاز للدولة بالنسبة لليمن ثم
توفر العاطفة الدينية ، كان لذلك تأثير بعيد المدى في تكييف هذه السياسة
حتى نعم الحجاز بسلام لم يعهده من زمن طويل ، وقامت سلطة العثمانيين
هناك لا بالجاه والنفوذ ، ولكن باتباع وسائل ادارية حسنة جعلت الجازيين
يألفون هذه السلطة الجديدة ، حتى بدأ تاريخ الحجاز في أيام العثمانيين
(٢)
الأول عصرا فريدا .

(١) محمد كمال الدسوقي : المرجع السابق / ص ٤٢٤ .

(٢) محمد البحراوى : المرجع السابق /

استبقى العثمانيون في ولاية الحجاز النظام المعروف باسم
نظام الشرافة وكان معمولاً به في هذا الاقليم من قبل ، ومقتضى هذا
النظام يتولى الحكم أحد الأشراف وهم الذين ينتمون الى اسرة الرسول
صلوات الله وسلامه عليه ، ومقره مكة المكرمة ويلقب باسم شريف مكة
وأمرها ، وكان من عادة العثمانيين تجنب ادخال تغييرات جذرية في
في البلاد التي يتم فتحها واستبقاء الأنظمة السائدة الا اذا كانت
هذه الأنظمة تتعارض مع مبدأ السيادة السياسية للدولة العثمانية أو مع
المذهب الديني وهو المذهب السني ، وكان العثمانيون سنيين
يعتقدون المذهب الحنفي ، ولما كان شريف مكة وأمرها قد أعلن دخول
الحجاز تحت السيادة العثمانية وأعلن ولاءه وطاعته للسلاطان العثماني
فقد أبقي العثمانيون على نظام الشرافة واستحدثوا بجانبه نظاماً مدنياً
جديداً فأنشأوا في ثغر جدة صنجقية يقيم فيها والي كانت رتبته في أغلب
الأحيان صنجق وفي أحيان أخرى باشا .^(١)

وتمتع الحجاز بفضل نظام الشرافة بقدر كبير من الاستقلال
الذاتي ابان العصر العثماني الأول ، وصار الأشراف يعتمدون في

(١) فائق، بكر الصواف : المرجع السابق /

عيشهم على القاهرة ، اذ كانت الدولة العثمانية ترسل اليهم كل سنة مقداراً محدداً من المال قرّرتّه وأعتبرته من ملتزمات مصر السنوية ، وقد استمرت مصر العثمانية ترسل بانتظام المبالغ المقررة والأموال والغلال الموقوفة على الحرمين الشريفين وعلى اهل مكة المكرمة والمدينة المنورة .^(١)

وأصبحت الدولة العثمانية تضم بين أقاليمها العربية ، منذ حكم السلطان سليم الأول الأماكن المقدسة الاسلامية في الحجاز وعلى رأسها المسجد الحرام حيث الكعبة الشريفة ، والمسجد النبوي الشريف مشوي رسول الله صلوات الله وسلامه عليه في المدينة المنورة ، مما أضفى على الدولة زعامة دينية في العالم الاسلامي ، وأضيفت الى ألقاب كل سلطان من سلاطين الدولة العثمانية لقب " حامي الحرمين الشريفين " تأكيداً للزعامة الدينية للدولة على العالم الاسلامي السني ، وكان مما أضفى على الدولة الطابع الديني الاسلامي الراسخ والتميز أنها كانت حريضة الحرس كله على الالتزام بتطبيق مبادئ الشريعة الاسلامية تطبيقاً دقيقاً في تصرفاتها واقامة الشعائر الاسلامية واحترام التقاليد الدينية ، وأنها أنشأت منذ زمن مبكر ، الهيئة الدينية الاسلامية الحاكمة وجعلت لها

(١) السيد رجب حراز: المرجع السابق / ص ٤٩

(١)

اختصاصات واسعة ورصدت لها موارد مالية ضخمة *

وأول من لقب حامى الحرمين الشريفين هو السلطان سليم خان ،

من سلاطين آل عثمان ، فانه لما دخلت البلاد العربية ومنها الحجاز

فى حكمه وتحت سلطته خوطب بلقب حامى حمى الحرمين الشريفين ، وهو ^(٢)

لقب أضفى عليه احتراماً كبيراً فى العالمين الاسلامى والمسيحى ، ^(٣) " لذلك

يمكن أن نقول أن السلطان سليم لم يلقب نفسه حامى حمى الحرمين

الشريفين لأهل الحجاز فقط ولكن يريد من ذلك أن يعلن للبابوية أنه

هو حامى الحرمين الشريفين وأنه قادر باذن الله تعالى على رد كيدهم

فى نحرهم وهذا ما نجده عند ما جاءت البرتغال بهدف صليبي لتهديد

الأماكن المقدسة ، لكن الدولة العثمانية وقفت أمام هذا التهديد واثبتت

أنها حامية حمى الحرمين الشريفين * "

ثم ان السلطان سليم وجد شرفاً كبيراً فى أن يطلق عليه حامى حمى

الحرمين الشريفين ولهذا نراه بمجرد دخوله القاهرة ، يفكر بضم الحجاز

(١) عبدالعزيز الشناوى : المرجع السابق /

الجزء الأول ، ص ٢٢ .

(٢) محمد طاهر بن عبد القادر الكردى : المرجع السابق /

ص ٥ .

(٣) دائرة المعارف الاسلامية : المجلد الثانى عشر ، ص ١٢٦ .

الى دولته ليكسبها شرفا وعلوا ، هذا فضلا عما أدركه السلطان سليم من أهمية الحجاز لمصر من الناحية الدفاعية ، ومن الناحية الهجومية ، على حد سواء خاصة وأساطيل البرتغال قد حققت عدة انتصارات على أساطيل المماليك ، وبدأت تهدد المسلمين عامة ، في بحر العرب والبحر الأحمر ،
(١)
والمحيط الهندي على حد سواء .

ومما هو جدير بالذكر أن الدعاء للسلطان سليم في مساجد مصر في خطبة الجمعة جاء خلوا من لقب خليفة ولكنه جاء مؤكدا للقب حامسي
(٢)
حى الحرمين الشريفين ، وقد ترجم له بعض الخطباء فقال : وأنصر اللهم السلطان بن السلطان ، مالك البحرين والبحرين ، وكأشهر الجيشين ، وسلطان العراقين ، وحامى الحرمين الشريفين ، الملك المظفر سليم شاه ، اللهم أنصره نصرا عزيزا ، وافتح له فتحا مبينا ، يا مالك الدنيا والآخرة
(٣)
، يا رب العالمين .

وقبل شق قناة السويس كان كل من البحر المتوسط والبحر الأحمر ،

(١) د . محمد كمال الدسوقي : المرجع السابق / ص ٤٢٢ .

(٢) د . فائق بكر الصواف : المرجع السابق / ص ٤١

(٣) محمد بن أحمد بن إياض الحنفى : المصدر السابق /

عبارة عن بحر شبه مغلق ، ولكنه الآن ليس كذلك ،

يحيطه اليابس ولا يرتبط بالبحار والمحيطات الا عن طريق ممر ملاحى طبيعى

، وهنا تكمن الصفة الاستراتيجية التى ينفرد بها اختناق السويس عن بقية

(١)

نقاط الاختناق ، فهو بمثابة مفتاح للحركة بين البحار الشرقية والغربية .

وتعتبر قاعدة السويس ذات أهمية كبيرة اذ تمكنت دولة المماليك فى

(٢)

مصر من اعداد اسطولها فى " السويس " ، وكانوا يجيئون بالأدوات لانشاء

السفن من الأناضول وكان قد أهدى بايزيد الثانى الى سلطان المماليك

أدوات الانشاء التى ستنشأ فى السويس وأعطى أمر انشاء الأسطول الى خادم

سليمان وأمر قبطان باشا ان يأتى بالأخشاب من الأناضول وبواسطة صالح

ريس أوتى بالأخشاب من الاسكندرية الى السويس ، وأنشأ فى ترسانة السويس

(٣)

سفنًا مختلفة الأحجام تتكون من ٧٦ سفينة ، وتجلت روح الوحدة الاسلامية

فى ذلك الوقت حيث كان العثماني يعمل بجانب المملوكى والقاهرى جميعا

(١) محمود توفيق محمود : الجغرافيا السياسية للمدخل الجنوبى للبحر

الاحمر ، ص ٢٠ .

(٢) السيد مصطفى سالم : المرجع السابق / ص ٧٩ .

(٣) Ismail Hakki Uzuncarsili: Ibid P.380

تحت قيادة سلمان الرئيس العثماني الذي أشرف بنفسه على إنشاء الأساطيل الجديدة ، وبلغ عدد المجاهدين العثمانيين الذين تطوعوا للعمل في الأسطول المملوكي ألفي مجاهد .^(١)

وفي عام ١٥٠٥ م " ٩١١ هـ " أبحرت من السويس حملة بحرية مصرية من خمسين سفينة ، صحبتها جماعة من النجارين والبنائين لتحصين ميناء جدة وإنشاء الأبراج اللازمة للدفاع عنها إذا داهمها البرتغاليون ، وفي نفس الوقت كان أسطول البوكيرك قد غادر المياه الهندية وأستولى على جزيرة سوقطرة وأغار على عدن وعبر باب المندب بقصد الاتصال بملك الحبشة للتحالف معه ضد المسلمين ، ثم حاول الوصول الى جدة فعلم أن الأسطول المصري بها فسراع بالانسحاب من البحر الأحمر .^(٢)

وحاول السلطان سليم العثماني بعد دخوله مصر إرسال قوة بحرية الى المحيط الهندي ، لحماية البحر الأحمر والخليج العربي من نشاط البرتغاليين ، وأنشأ لهذا الغرض ترسانة في السويس وعهد الى كبير وزرائه ، ابراهيم باشا بتنظيمها وأرسل السلطات في عام ١٥٢٥ م قطعاً بحرية الى

(١) غسان على رمال : المرجع السابق /

ص ١٥٤ .

(٢) أنور عبد العليم : المرجع السابق / ص ١٣٧ .

اليمن لبسط النفوذ العثماني عليها ، وبعد دخول العراق تحت سيطرة
الحكم العثماني نقلت الأخشاب لبناء أسطول كبير للقيام باغارة بحريسة
(١)
على المراكز البرتغالية في المحيط الهندي .

وفي عهد السلطان سليم الاول أسست حملة بحرية في السويس
لمحاربة البرتغاليين ولكن لم تتمكن هذه الحملة من الخروج وذلك لوفاة
(٢)
السلطان سليم الأول .

وكانت السويس هي ميناء انطلاق الحملات البحرية العثمانية
ضد البرتغاليين ، ومن أهم موانئ مصر على البحر الأحمر في العصر
العثماني وتقع مدينة السويس على الجانب الغربي لخليج السويس وقد
قامت على انقاض مدينة القلزم القديمة وقد غلب على سكان السويس عنصر
التجارة ، وقد اسندت الى قبودان " أى قائد بحرى " .

ونظرا لأهمية موقع السويس من مصر بالنسبة لحدودها الشرقية
وكونها معبرا للحجاج في طريقهم للأراض المقدسة واعتبارها من أهم

(١) الشاطر بصيلي عبد الجليل : المرجع السابق / ص ١٣٤ .

(٢) Cengiz Orhonlu: *Ibid* , p. 6.

(٣) عبد العزيز نوار : المرجع السابق / ص ١١٤ .

جمارك مصر ، أقيمت فيها قلعة مسلحة أختصت بحراسة حدود مصر الشرقية ، واحتل ميناء السويس مكانا هاما بين موانئ مصر العثمانية لوقوعه على رأس الطريق التجارى الهام بين بلاد الشرق وأوروبا وهو طريق البحر الأحمر وبالرغم من كل الظروف المؤثرة فى تجارة المرور بمصر مثل اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح ظل ميناء السويس يحكم وقوعه على رأس البحر الأحمر مركز هام للتجارة بين أوروبا والشرق .^(١)

وفى عام ١٢٢٩ هـ / ١٨٢٣ م أمر السلطان سليم العثمانى واليه بعصر بإنشاء أسطول قوى فى السويس وإرسال حملة بحرية من السويس لمحاربة البرتغاليين وأرغامهم على إعادة الطريق التجارى الى مصر .^(٢)

وكان اتخاذ العثمانيين من السويس قاعدة لحملاتهم الموجهة ضد البرتغاليين ، يرجع الى أن السويس كانت ملائمة لأن تكون قاعدة العثمانيين فى الجنوب ، فالسويس أقرب الى الأستانة من البصرة ، فضلا عن أن الطريق البحرى الى مصر وإلى الهند عبر مصر أكثر ملائمة للعثمانيين من الطريق

(١) أمين سعيد : الخليج العربى فى تاريخه السياسى ونهضته

الحديث ، ص ١١١ .

(٢) محمد ابيد العقيلى : تاريخ المخلّاف السليمانى ، الجزء الأول ، ص ٢٩١ .

البرى عبر العراق الى الهند ثم ان امكانيات السويس كميناء كانت أكثر وضوحا من امكانيات البصرة ، وكانت امكانية انطلاق الأسطول العثماني الى المحيط الهندي عبر البحر الاحمر أكثر وضوحا من امكانية الخليج العربي في هذا الصدد ، خاصة وأنه لم تكن على ضفاف البحر الأحمر أية دولة معادية بعكس الحال في الخليج العربي حيث تطل عليه الدولة الايرانية ذات العلاقات الودية بالبرتغاليين فكانت كل هذه العوامل سببا في أن يتخذ العثمانيون من السويس قاعدة بحرية للانطلاق الى المحيط الهندي .
(١)

وقام العثمانيون باعداد حملة بحرية ثانية في السويس ففي سنة ٩٣٧ هـ الموافق ١٥٣١ م أرسل السلطان سليمان في ذلك العام أمره الى والى مصر حينئذ هو سليمان باشا الخادم ببناء ثمانين سفينة مسن مختلفة الأنواع والأحجام ، كما أرسل اليه من استانبول المهبط والأخشاب اللازمة لبناء هذه السفن ، وصدرت الأوامر الى سليمان باشا الخادم والى مصر بأن يعد حملة كبيرة بحرية ضد البرتغاليين وان يتخذ من السويس

(١) عبد العزيز نوار : المرجع السابق /

(٢) السيد مصطفى سالم : المرجع السابق / ص ١٣٨ .

قاعدة لانطلاق حملته لأن السويس فعلا كانت هي الميناء الوحيد والمناسب

٩٥٢ هـ

لمواجهة تلك المسئولية الكبيرة خاصة وأن البصرة حتى عام ١٥٤٦ م لم

تكن قد وقعت تحت الحكم المباشر العثماني ، وحتى بعد أن استولى

٩٥٢ هـ

العثمانيون على البصرة في عام ١٥٤٦ م ظلت السويس في العهد العثماني

هي القاعدة العسكرية التي تخرج منها الحملات البحرية الموجهة ضد

(١)

العدوان البرتغالي .

(١) عبد العزيز نوار : المرجع السابق / ص ١٣٩ .

ج — عدد ن ٩٤٥ هـ / ١٥٣٨ م ، البحر الاحمر منطقة محرمة :

لانت بلاد اليمن أول أجزاء شبه الجزيرة العربية حظا من عناية
المخاطرين والمستكشفين الأجانب ومن جانب الهيئات والبعثات الحكومية
المنظمة ، التي كانت توفدها بعض بلاد أوروبا الغربية لعدة اسباب منها : —
أن بلاد اليمن كانت أقرب مناطق شبه الجزيرة العربية الى خطوط الكشف
الجغرافية لوقوعها في الركن الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة ، كما أن
خصوصية أرضها واعتدال مناخها جعلها أسهل ريادة عن غيرها من أجزاء
شبه الجزيرة ، التي تتميز بالوعورة الصخرية وقسوة المسافات الرملية —
الصحراوية ، التي يمكن أن تبتلع الغرباء من غير العارفين بدروبها ومدقاتها
(١)
وأماكن آبارها .

وتعتبر مدينة عدن من أهم ثغور اليمن ومن أعظم المراكز التجارية في
المحيط الهندي وقد وصفها الإدريسي بأنها فرضة لما يرد من مراكب الصين
والهند وكرمان وفارس وعمان ، وقال عنها أبو الفدا أنها " بلدة حط واقلاع
لمراكب الهند وهي بلدة تجارة ، أما الادريسي فذكر أنها مرسى البحريين
" بحر الهند وحر القلزم " ومنها تسافر مراكب الهند والسند والصين واليهما

(١) حسين أمين : المرجع السابق /

تجلب بضائع هذه الأقاليم ، ووصفها ابن بطوطة بأنها مرسى بلاد اليمن على ساحل البحر الأعظم " المحيط الهندي " والجبال تحفبها ولا تدخل اليها الا من جانب واحد ، وهى مدينة كبيرة ومرسى أهل الهند تاتى اليها المراكب العظيمة وتجار الهند ساكنون بها ، أما ماركو بولو فقال بأنها ميناء ممتاز ، تقصدها السفن القادمة من الهند محملة بالتوابل والعطور ويشترىها التجار لنقلها الى الاسكندرية ، فيفرغونها من السفن الواردة بها ، ويوزعون حمولتها على السفن الأقل حجما مما يستخدم فى البحر الأحمر^(١)

وهى واقعة فى الركن الجنوبى الغربى للجزيرة العربية وهى شبه جزيرة من صخور بركانية يبلغ ارتفاعها فى المتوسط حوالى ١٧٧٦ قدما فوق سطح البحر ، وطولها حوالى خمسة أميال من الشرق الى الغرب وثلاثة أميال من الشاطئ الشمالى الى الرأس عدن وهى أقصى نقطة فى الجنوب وتتصل شبه جزيرة عدن بالجزيرة العربية بواسطة رقبة من أرض رملية منخفضة نسبيا ، وقد بنيت مدينة عدن على الشاطئ الشرقى لشبه الجزيرة فى

(١) محمد عبد العال احمد . المرجع السابق /

موضع يحتمل أنه فوهة بركان خامل تحيط به صخور شاهقة تكون حاجزا طبيعيا ، ولذا تبدو المدينة بين آكام آخذة بعضها برقاب بعض من جميع الجهات ، إلا من جهة البحر ، ورأس عدن الداخلة في البحر عبارة عن بركان قديم ترتفع رأسه الى ٣٣٥ مترا فوق سطح البحر ، ولما كانت عدن (١) شغرا مهما من الناحية العسكرية لموقعها الجغرافي بين البحر الأحمر والمحيط الهندي ، ومع ما كان لها — وتشاركها " المخا " من سواحل اليمن — أهمية تجارية ، فقد اتجهت أنظار البرتغاليين اليها والى جاراتها الأخرى من موانئ اليمن ، ففي سنة ٩٠٨ هـ / ١٥٠٣ م أرسل البرتغاليون سفنهم من ناحية الهند فأغارت على شواطئ جزيرة العرب ، ونهبوا في غاراتهم هذه سبعه مراكب ، وقتلوا أهلها ، وتكرر منهم هذا الصنع بعد ذلك ، الأمر الذي أثار نائرة الجراكسة بحصر فجردوا حملة بحرية لمطاردة بهم مؤلفة من عدة سفن ، فمرت بعدن ورسد بقربها ، وكان والى عدن من قبل الظافر عامر الأمير مرجان الظافري وبعد ذلك توجهوا لمطاردة البرتغال نحو الهند . (٢)

(١) محمد البحراوى : المرجع السابق /

(٢) صالح الحامد : تاريخ حضرموت الجزء الثانى ، ص ٥٧٥ .

وكانت أنباء عد ن تصل البرتغاليين بواسطة بحارة لسفن الملابارية
الهندية ، والتي كان البرتغاليون رواها ، هذا وقد حمل البرتغاليون
على تكرار محاولاتهم الاستيلاء على عد ن معرفتهم بفشل الأسطول المملوكي
فى أخذ عد ن ، كذلك معرفتهم بأنباء مفصلة عن الأضرار البالغة التي لحقت
بحامية عد ن وتحصيناتها الدفاعية ، إضافة الى محاولة اغتنام هذه الفرصة
للاستيلاء عليها (١) .

وكان البرتغاليون قد وطدوا سلطانهم على ساحل الهند الغربى
ثم تطلعوا الى الخليج العربى والبحر الأحمر فقاد الحملة البرتغالية الى
جنوب شبه الجزيرة العربية والبحر الأحمر الاميرال البرتغالى الفونسو
البوكيرك ^{buquerque} Al Fonso de Al واستطاع أن يقفل خليج عد ن فى
عام ١٥٠٧م ويستولى على عمان وهرموز ، ويدين هذا الملاح بفتوحاته لمنطقة
عد ن والخليج العربى الى خارطة بحرية عربية من عمل ريان عرس يدعى عمر
ويقول فى مذكراته Commentarios " ان ملاحا مسلما وقع فى الأسر عند
جزيرة سوقطرة وكان ريانا عظيما ذا معرفة جيدة بهذا الساحل قد أعطاه
أعطى البوكيرك " مرشدا للطرق البحرية مبينة عليه جميع موانى مملكة هرموز

(١) غسان على رمال : المرجع السابق /

(١)
وهو من وضع ريان آخر يدعى عمر .

٩١٩هـ

واتجه البوكيرك الى عدن في فبراير سنة ١٥١٣م على رأس حملة بحرية تتألف من عشرين سفينة ومن ألف وسبعمئة جندي برتغاليين ، وذلك بالإضافة الى حوالي ثمانمائة من الهنود من ساحل ملبار ، وقد بدأ الهجوم على عدن في ١٦ محرم سنة ٩١٩هـ " ٢٤ مارس ١٥١٣م " فأسرع الأهالي بإبلاغ الأمر الى الأمير مرجان حاكم عدن فأسرع بدوره بإرسال الخبر الى السلطان عامر بن عبد الوهاب الظاهري الذي كان يواصل حروبه الداخلية ، وفي مد سيطرته الى شمال اليمن .

ان ظهور البرتغاليين في المحيط الهندي قد قسم تاريخ عدن الى قسمين ، في أولها كانت عدن في مهبط أخطار متلاحقة من البراءة من الداخل فقط ، وفي ثانيهما أضيف الى هذه الأخطار خطر جديد هو تهديد عدن من البحر كذلك على أيدي هؤلاء الأجانب البرتغاليين . . . وبذلك أصبح من الواضح أن القوة التي قد رلها أن توجد في عدن ، وأن تتصدى للقوى الجديدة في المحيط الهندي ، كان لزاما عليها أن تنظم

(١) أنور عبد العليم : المرجع السابق / ص ١٣٦ .

(٢) السيد مصطفى سالم : المرجع السابق / ص ٧١ .

الى الامام والى الخلف ، وأن تواجه خطرين متقابلين ، أو على حد
تعبير السياسيين المعاصرين أن تحارب في ميدانين ، حيث كان^(١)
الظاهريون في اليمن اشد ما يكونون انشغالا بالتصدي للظالمين في
العرش خصوصا في عهد الظافر عامر آخر سلاطين بني طاهر ، كما ازدادت
ثورات القبائل وتزايدت مطامع القوى الزيدية ، وقام بعض سلاطين هذه
الدولة المتهاوية الى محالفة أعداء العرب المسلمين امساكا لما بقي من
رمتهم ، وقد اتسم موقف هؤلاء الظاهريين الأواخر بالعداء السافر للبحرية
المصرية التي كانت تخوض المعارك مع الخوار البرتغالي^(٢) .

ولما علم السلطان قانصوه الغوري " ١٥٠١ - ١٥١٦ م " من دولة
المماليك الشراكسة وقام المماليك بادعاء زائف وذلك بأنهم هم المسئولين عن
مواجهة البرتغال في المحيط الهندي وفي البحار المجاورة ، وفي البداية
كانت جهودهم متركزة على الساحل الافريقي وعلى الدفاع عن ساحل البحر
الأحمر ، وفي الوقت نفسه كانوا يبذلون جهد عظيم ليؤكدوا تأمين الحجاز

(١) محمد البحراوى : المرجع السابق /

ص ٢٠٥ .

(٢) حسن احمد محمود : المرجع السابق /

ص ٢١٢ .

والمدن المقدسة وكانوا يشجعون العمليات الصغيرة التي يقوم بها قطاع
(١)
الطرق على طول الساحل الجنوبي .

فعندما علم السلطان قانصوه الغورى من دولة المماليك الشراكسة
فى مصر أن البرتغاليين يتطلعون الى احتلال الجنوب العربى للتحكم فى
الطرق التجارية البحرية الى الهند والشرق الأقصى ، فأوفد القائد البحرى
٩٢١ هـ
حسين الكردى عام ١٥١٥ م لتعقب القوات البرتغالية ، وقد وصلت القوات
القوات المصرية الى جزيرة " كمران " فاحتلتها بعد أن أخلاها البرتغاليون
، ويضيف المؤرخون فى بيان الأسباب التى أدت الى قيام هذه الحملة
(٢)
المصرية هى أن الامام المتوكل يحى شرف الدين ، كتب الى الأمير حسين
رئيس الأجناد المصرية يستصرخه على آل طاهر ويستنجد به على الملك الظافر ،
فلما وصل الفقيه صلاح الدين رسول الامام شرف الدين للأمير حسين الكردى
قابلهم بالقبول وقرأ كتاب الامام ثم عرض الكتاب على أرباب دولته ، وأحزاب
صولته ، واستمد منهم الراى فى جواب الامام ، وقال رجل من أصحابه ذوى
الجاه وأرباب الفهم لا تجب على الامام ، حتى توجه رسولا الى هذا السلطان

(١) Kinross: The ottoman centuries, The rise and fall of the turkish empire , P. 132 .

(٢) محمود كمال المحامى : اليمن بشماله وجنوبه تاريخه وعلاقاته الدولية ،

الذى نسب اليه الزيف والطغيان ، وتستمدد الاعانة فى قتال الفرنج
الغابرة فى البحر ، فان أمدنا فهو عادل ناصح ، وان تلكا عن النصرة
فى منابذة الكفار ، علمنا أنه من الأشرار " فاختار من أصحابه رجلين
من اهل العقل الوافر وأصبحهما كتابا الى الملك الظافر فلما وصل حضرة
السلطان عامر ، وقرأ الكتاب الصادق ، وكان الملك الظافر شديد الميل
الى قول الأمير على بن محمد البعداني ، فطلبه وعرض عليه الكتاب
وسأله ما يحسن من الجواب ، فأرى نقض ما تقدم من المقال ، وطلب
الرسولين الى بين يديه وقال لهما اذهبا فهذا غاية الخطاب ، ونهاية
(١)
الجواب " .

وبعد رفض السلطان عامر بن عبد الوهاب امداد الجيش المملوكى
بما يريد ، لم يعد هناك تردد من قبل قائد حسين الكردي فسعى
غزو أملاك السلطان ، لا سيما وأنهم قد وجدوا لهم مؤيدين من أعداء
الدولة الطاهرية ، فنجد أن امام الزيدية العدو والدود للسلطان
عامر الامام المتوكل على الله يحى شرف الدين عند ما علم بوصول المماليك

(١) عيسى بن لطف الله بن المطهر : روح الروح فيما حدث
بعد المائة التاسعة فى اليمن من الفتن والغتوح ، ص ١١ .

الجراكسة الى جزيرة كمران ، أرسل لقائد هم يطلب منه العون والمساعدة العسكرية ضد السلطان عامر ، فلبى القائد حسين ما طلبه ، كما نجد أيضا أن الشريف عز الدين بن احمد بن دريب حاكم جازان وصديق السلطان عامر يد العون لحسين الكردي ، وأيضا حاكم مدينة اللحية الفقيه أبو بكر (١) بن مقبول الزيلعي ، حيث خلع عليه فتعهد له بتأمين الميرة وتسهيل نزولهم الى بلد ، والتقدم معه لغزو بلاد السلطان عامر ، وكان لدى السلطان عامر جيش قوى وإنما لم تعرف الأسلحة النارية آنذاك في اليمن وفي أول معركة أطلق الجراكسة قذائف مدافعهم ورصاص بنادقهم انهزم السلطان وجيشه وتعقبهم الغزاة الى أن احتلوا مدينة زيد ، وكان احتلالهم مدينة زيد في عشر جمادى الأولى سنة ٩٢٢ هـ ، ثم سار الى عدن في الأسطول ومنعه سلمان الريس بعد أن ولى على مدينة زيد الأمير " برسباى " فتتبع (٢) برسباى عامرا وذويه ، وأخذ في أهبة الحرب والقتال ، فتحرك عامر وأولاده وأخوه عبد الملك فجمعوا العساكر وحصنوا البلاد ، واجتمعوا في ثغر فخرج الأمير برسباى بمن معه من الترك فتوجهوا الى تعز لمحاربة عامر وذويه ، وكان وصولهم الى مدينة تعز صباح يوم الجمعة ، سادس شهر صفر ، سنة

(١) عبد الله حامد الحبيد : المرجع السابق ، ص ١٦٩ .

(٢) محمد بن احمد العقيلي : المرجع السابق ، الجزء الاول ،

ثلاث وعشرين وتسعمائة ، فلما ترأى الجمعان أحسن السلطان عامر بالفدر
من بعض جماعته ، فولى من غير حرب ولا قتال ، الى جهة آب وجبله ،
ودخل بربسباى بمن معه الى " تعز " ، ثم استتاب الأمير بربسباى فى
تعز وأعمالها الأمير " آقباى " وخرج بمن معه من العسكر الى جهة
المقرانة ، ولما وصل بربسباى الى المقرانة توجه الى قتال " بنى عمار " ،
وأقام على المقرانة نائبا عنه الأمير اسكندر مملوك الأمير حسين ، وخسرج
الى بلاد بنى عمار بمن معه من العسكر ، فلم ينل منهم شيئا ، وجمع
الجموع وتوجه لأخذ صنعاء ، فلما سمع عامر بن عبد الوهاب بانهبزاه من
بنى عمار ، استخفه الفرج ، وطمع فى قتاله ، وتوجه بمن معه من العسكر ،
فلما علموا بوصولهم قصدوه قبل أن يحط الأحمال ، وكان عامر وعسكره منذ
ثلاثة أيام ، يطردون الخيل خلف عدوهم وهم فى غاية التعب ، وكانت
وقعة عظيمة ، أستشهد فيها الملك الظافر صلاح الدين عامر بن عبد الوهاب
وأخوه عبد الملك وتشتت الباقيون ، وأسر أولاده ، وبذلك انقرضت دولته ،
وانتهى ملكه ، وذلك فى يوم الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الآخرة
(١)
سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة •

X X X

(١) قطب الدين محمد بن احمد النهرالى : المصيد ر السبايق /
ص ٢٨ •

بعد قتل السلطان عامرين عبد الوهاب تولى الحكم عامرين
عبد الملك سنة ٩٢٤ هـ - ١٥١٨ م وكان قد أفلت من أسر الماليك
على يد بنى حبيش ، غير أنه لم يستمر فى الحكم وذلك بسبب موته
المفاجئ سنة ٩٢٥ هـ - ١٥١٦ م فتولى بعده السلطة احمد بن محمد
ابن عامر فتحمل عبء الدفاع عن أملاك الدولة الطاهرية وتخليصها من
يد الغزاة الجراكسة فنراه يقوم بحملة على مدينة تعزز ، بعد أن ضمن
الجنود والأسلحة من حاتم عدن مرجان الطاهري ، وعندما اقترب
من العدو وخرج اليه بجيشه ودارت معركة رهيفة بين الطرفين كاد النصر
يتم فيها للسلطان لولا أنه كانت هناك خيانة مدبرة بين الغزاة وقائد القوات
العدنية وسببها توقفت قوات الأخير عن القتال مما جعل القوات المعادية
تكر عليهم وتهزمهم ونتيجة لذلك انهزمت بقية قوات السلطان فعاد
أدراجه من حيث أتى ، وتبعاً لذلك تفرغت قواته ^(١) ، وهرب بقية الجنود
منهم مكسورين ، فهلك من هلك ، ووصل الباقون الى مدينة زييد ،
وولوا عليهم " أسكندر الجركسى " واستمر الأمير اسكندر والياً على زييد
وحواليتها ، بمن بقى معه من العسكر ، وهذا يسمونه المخضرم ، لأنه لحق
دولة الجراكسة وأول دولة اللوند من الأروام ^(٢) .

(١) عبد الله حامد الحبيد : المرجع السابق / ، ص ١٢٥ .

(٢) قطب الدين محمد بن احمد النهروالى : المصدر السابق /

وأرسل السلطان سليم الأول حكماً سلطانياً إلى أسكندر بأن يكون
والياً على اليمن من قبله ، فأطاع أسكندر وأظهر الشعار العثماني ،
وتزى بزى الأروام ، وصارت الخطبة باسم السلطان سليم العثماني ،
وصار والياً على زبيد وحواليها ، ويسمى أسكندر المخضرم لأنه تولى أمر
اليمن في عهد ين متلاحقين عهد الجراكسة ثم عهد العثمانيين .^(١)

وعقب مقتل أسكندر المخضرم استولى كمال التركي على زبيد ، وقد
قتله حسين الكردي وجماعته ، ثم جاء بعده الناخوذة أحمد الجركسي
وفي عهد اشتد الصراع بينه وبين الأئمة الزيدية ، وقد استطاع الناخوذة
أن ينتصر على المطهر بن شرف الدين في معركة زبيد ، وبقي الناخوذة
حتى سنة ٩٤٥ هـ - ١٩٣٨ م عندما انتهى سلطان الجراكسة باليمن
كان في منطقة تهامة وزبيد حتى تعز ولم يمتد حكمهم إلى صنعاء إلا فترة
قصيرة ، وكان سلطان الأئمة آنذاك يغمر منطقة الشمال .^(٢)

ولما انتقلت مصر إلى حوزة العثمانيين ، فتحوا باب المفاوضات مع
الزاموريين مقابل قوط ومع ملك كامباي المسلم ، وهما العاهلان الهند يان

(١) محمد البحراوي : المرجع السابق /

، ص ١٤٨ .

(٢) أحمد شلبي : المرجع السابق ، الجزء

السابع ، ص ٤٢٩ .

اللذان تأثرت مصالحهم بسبب عدوان البرتغاليين ، وتمكن من عقد اتفاق يقضى بالعمل المشترك ضد الأعداء — فلما أن عقدت المعاهدة أصدر السلطان مرسوما الى سليمان باشا الخادم والى مصر : " عليك يا بيك البكوات " بكلمة بك " بمصر سليمان باشا ، أن تقوم فور تسليمك أوامرنا هذه بتجهيز حقيقتك وحاجاتك واعداد العدة بالسويس للجهاد فى الله ، حتى اذا تهيأ لك اعداد أسطول وتزويده بالعتاد والميرة والذخيرة وجمع جيش كاف ، فعليك أن تخرج الى الهند وتستولى وتحافظ على تلك الأجزاء ، فانك اذا قطعت الطرق وحاصرت السبيل المؤدية الى مكة والمدينة تجنبت سوء ما فعل البرتغاليون وأزلت رايقتهم من البحر " (١)

وبعد صدور الأوامر الى والى مصر سليمان باشا ببناء أسطول جديد فى السويس بدأ العمل فى بناء هذا الأسطول عام ١٥٣٧ م وانتهى فى ربيع العام التالى ، وكان الأسطول يتكون من أربعة وسبعين أو ثمانين سفينة من مختلف الأنواع والأحجام ، ومن عشرين ألف جندي من مصر والشام ، وكانت مهمة الحفلة مقاومة البرتغاليين فى الهند وتقديس المساعدة للقوى الاسلامية هناك (٢) ، حيث أنه فى عام ٩٤٤ هـ — ١٥٣٨ م

(١) ك ٥٠٠ بانكار : المرجع السابق / ، ص ٥٠ .

(٢) محمد بن خليفة بن حمد بن موسى النبهاني الطائى : المرجع السابق /

، الجزء السادس ، ص ١٠٦ .

السيد رجب حراز : محاضرات فى تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ١٩ .

استغاث بهاد ر حاكم كجرات من بلاد الهند بالسلطان سليمان القانوني
لتعدياته أساطيل البرتغال على بلادهم قائلا : إنها مستمرة على
العبث بالسواحل الهندية داثبة السطو على كل سفينة لمنع المواصلات
التجارية التي كان بينها وبين الديار المصرية^(١).

وفي أواخر سنة أربع وأربعين وتسعمائة وصل سليمان باشا وزير
السلطان سليمان في استعداد عظيم في نحو مائة من الفريان والبرشات
وغيرهما وتركب من ٧٠٠٠ ينكشاري و ٢٠٠٠٠ عسكري وذلك في ٣٠ محرم^(٢)
عام ٩٤٥ هـ الموافق ٢٨ حزيران عام ١٥٣٨ م وبعد أسبوع وصلوا إلى جدة
وفي طريقهم مروا بكر وندل نام ثم إلى ميناء تور حيث وصلت ٣٠ سفينة
ثم وصلت الباقية مع سليمان باشا وجلسوا يوما واحدا في ميناء تور ثم
في الصباح تحركوا كلهم حيث شوا مدة خمسة أيام في البحر ووصلوا إلى
جدة وجلسوا فيها يومين ثم ذهب إلى جزيرة كمران ، ووصل سليمان^(٣)
باشا كمران ، فلما ألقى من كمران مراحله وحط بها كاهله ، طمع عامر بن

(١) سعاد ماهر : المرجع السابق / ، ص ١٢٧

(٢) زين الدين المعبري : المرجع السابق /

، ص ٤٥ .

(٣) Halusi Yavuz : Yemen' de Osmanli Hakimiyyeti

داود في نصرته على الامام شرف الدين وظن أنه المنقذ ، فكاتبه على يد شخص من الأورام يقال له فرحان ، وكان داهية ، وتوجه اليه سليمان باشا بمراكبه ، فلما بلغ بندر عدن ، طلب الاذن من عامر في دخول العساكر الى البندر لقضاء حوائجهم وأعراضهم ، وكان سليمان باشا قد أودع فرحان لدخول المدينة ، فلما دخلها فرحان ، دخل على عامر بن داود في داره ، وقبض على جماعة من أصحابه وأرسل بهم الى الباشا وهو في البندر .
(١)

وكانت حملة سليمان باشا الخادم أول حملة رئيسية الى اليمن والى الهند ، ولذلك فهي معتبرة بداية للجهود العثمانى الحقيقى فى هذا الميدان ، وتم فى وقت قصير بناء ثمانين سفينة مزودة بكل ما يلزم لرحلة طويلة ، واستحضرت المواد الأولية اللازمة لبناء هذا الأسطول على عشرين سفينة حملتها من أسطنبول حتى الاسكندرية ثم نقلت الى السويس .

وكانت عدن فى حوزة عامر بن داود الظاهري ، الذى كان يعتبر^(٢)

(١) عيسى بن لطف الله بن المطهر المخطوطة السابقة /

ص ٣٧ .

(٢) محمد البخزاوى : المرجع السابق /

ص ١٥١ .

(١)
آخر زعماء بني داود بعد ن ، ولم يبق في يده من مملكته أسلافه بنى
طاهر الا قلعة عدن ، من سائر ممالك اليمن ، وكان شابا كريما جوادا
حليما ، فلما بلغه وصول سليمان باشا ، للغزو في سبيل الله ، وقطع
جادة الأفرنج عن الاضرار بعباد الله ، فتح له باب عدن ، وأمر أن
تزين ، وجمع له من البلاد ، ما أراد من الأزواد ، وتوجه هو ووزيره
للسلام عليه ، فمجرد أن رأى سليمان باشا باب عدن قد فتح ، أمر
عسكره بدخول عدن ، وأخذها فلما وصل اليه عامر البسه ومن معه
خلعا ، ثم أمر بصلبهم على الصاري ، في القراب الذي هو فيه ، ونهب
العسكر داره ، واستتاب في البلاد بهرام بك ، سنجقا كبيرا ، ونائبا
أميرا ، ورتب لديه عسكرا وكتب على باب عدن انه افتتح هذه البلاد في
(٢)
سنة خمس وأربعين وتسعمائة .

ثم بعد ذلك صارت الخطبة في البلاد تدعو للعثمانيين بالرحمة
لما لاقوه من معاملة حسنة من العثمانيين وأيضا لأنه خلصهم من حكم
عامر بن عبد الوهاب وكان ذلك في ١٣ ربيع الأول عام ٩٤٥ هـ الموافق

(١) أحمد حسين شرف الدين : المرجع السابق ، ص ٢٦٥ .
(٢) قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي : المصدر السابق /

(١)

٩ أغسطس ١٥٣٨ م /

وكان الأمير أحمد صاحب زيد آنذاك من جملة اللوند الذين استولوا على تلك الديار فأعطاه سليمان باشا الخادم الأمان وطلبه إلى عنده وقتله وولى موضعه أميراً ممن كان معه وأسفرت سفرته عن أخذ زيد وعدن^(٢) ، حيث لما استقر سليمان باشا في محل بالقرب من زيد أمر جماعة من دهاة أصحابه يسعون في الصلح بينه وبين أحمد الناخوة أمير الجراكسة ، وفي خلال ذلك يفسدون أصحابه بالترغيب والترهيب فمال اليهم من الجراكسة رجل يسمى سنان ، في عدة من الشجعان ، وتسلموا إلى الباشا سليمان ، فعلم الناخوة أن مدينة زيد مأخوذة ، ولم يجد بدا من الخروج إلى سليمان بعد أن طلب منه الأمان ، فأمنه وبذل له عهداً ، ثم خرج الناخوة للاتفاق بسليمان ، فأمر سليمان طائفة من جنده أن يلقوا الناخوة قبل أن يصل إليه فيقتلوه ، ففعلوا وقتلوا الناخوة ومن خرج معه واستولى سليمان على زيد ، وقتل بقية من فيه من الجراكسة ، وانقطعت ولاية هذه الطائفة الجركسية ، من

Hulusi Yavuz : Yemen' De Osmanli Hakimiyeti (١)

" 1617 - 1571 " Page , 46

(٢) قطب الدين النهروالي : المصدر السابق / الجزء الثالث

، ص ٣٠١ .

الجزيرة اليمنية ، ولما استقر الباشا سليمان في زبيد بعد أن ملك عدن ،
قيل له : " انك لا تنفع بهذين المحليين ، حتى تملك تعز وما يليه — من
البلاد " فكتب سليمان الى الامام شرف الدين كتابا يذكر فيه تحقيق وصوله
الى اليمن ، فأجاب عليه الامام ، بعدم الاسعاد الى ما أراد ^(١) .

وكتب القائد سليمان باشا الخادم الى الامام كتابا يخقق فيه وصوله
الى جهة اليمن ، وفتح له زبيد وعدن ، وذكر أن الذي أوجب قتله لصاحب
عدن أنه بلغه أنه قد كان وقع بينه وبين الأفرنج حديث على أنه يسلم اليهم
عدن ، وأيضاً هذا رداً على أن الدولة العثمانية مثلة في حملة سليمان ^(٢)
باشا الخادم لم تعمل شيئاً يدل على الفدره ، ولم تكن تعلم بقيام هذا
العمل وهو شقيق الملك عامر بن عبد الوهاب الا حفاظاً على اليمن لأن الملك
عامر بن عبد الوهاب كان يريد البرتغاليين في اليمن .

١٥٣٩ /
وفي سنة ٩٤٦ هـ تحرك جنود العثمانيين الذين في زبيد على تعز ،
بقيادة الأمير مصطفى عرة ، وهو الذي استخلفه الباشا سليمان على زبيد

(١) يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي : غاية الأمان في أخبار

القطر اليمني ، القسم الثاني ، ص ٦٨٥ .

(٢) عيسى بن لطف الله بن المطهر : المرجع السابق /

ص ٣٨ .

حال عزمه منها الى الديار المصرية ، فحاصروا تعز وفيها من أعيان
أصحاب الامام السيد صلاح الدين بن فخر الدين ، والأمير حسين
بن الصياد .

ولما بلغ الامام تحرك جنود العثمانيين على تعز ، بادرت بتجهيز
الفقيه يحيى النصيري ، وعزز بولده شمس الدين ، فوقف النصيري في
التعكر حتى وصل اليه شمس الدين ثم تقدم الى قريب تعز ، والجنود
محاصرون لمن فيها ، وقد قتل منهم عدة بالدافع والبنادق ، لأن أهل
اليمن كانوا لا يعرفون " البندقيات " ولا " المدافع " بحيث أن
العثمانيين في أول حربهم مع عسكر اليمن ، رموا بمدفع في جمع كبير ،
يفوقون الألوف ، فراعهم ذلك ، وخافوا منه وانهمزوا .
(٢)

ولما برزت الأوامر الشريفة بتعيين سليمان باشا الى البلاد
الهندية لافتتاح ممالكها من أيدي ظلمة الرعية أحياء لسنة الجهاد وقطع
دابر الكفر وأهل الفساد وأستبشر بذلك كل مسلم وصار فرحاً مسروراً ،
(٣)

-
- (١) يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي : غاية الأمان في
أخبار القطر اليمني ، القسم الثاني ، ص ٦٨٥ .
- (٢) قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي :
ص ٢١ .
- (٣) محمد البحراوي : المرجع السابق /
ص ١٦٠ .

حيث كان البرتغاليون يرتكبون الفظائع في تلك الأصقاع ، فاستجار مجهود
ملك كجرات في الهند بالسلطان سليمان فعاخيه ، بل بادرا إلى توجيه
أوامره إلى أمير أمراء مصر سليمان باشا كي يضع حدا لتعديات البرتغال .
(١)

وأقرب سليمان باشا من الشاطئ الهندى وأنزل من معه من
الجنود اليكجيرية والمدافع ، وبدأ بالاستيلاء على حصون البرتغال
الأممية بعد عدة مناوشات ثم أمر بالهجوم على حصن ديو ، فرد البرتغال
بقوة ، وفقد في تلك المعركة أربع مائة من رجاله ، وبينما كان يستعد
لهجوم آخر بلغه خبر مجيء الدونانمة البرتغالية ، فأنزل جنوده إلى
السفن في الحال وترك للأعداء مدافعه ، ثم سار نحو ساحل كجرات ، ولكن
(٢)
الرياح تعاكسه إلى أن وصل إلى مدخل خليج كوتسن .

وبعد فشل سليمان باشا في الهند ، عاد إلى مخا ، وأرسل إلى
الناخوذة أحمد يخلعه ومرسوم فيه الأمان ، وأن يكون نائب السلطان
باليمن ، فلما وصل إليه المرسوم ، استشار أخصاءه ، فكلهم أشاروا عليه
(٣)

-
- (١) السير جون هامرتن : المرجع السابق ، ص ١٤١ .
(٢) محمد ماهر : المرجع السابق / ، ص ١٣٨ .
(٣) محمد البحراوى : المرجع السابق /

بعد المواجهة ، وقالوا له : انه لم يكن عنده شيء من الخيل ، ونحن
عندنا سبعمائة حصان ، ومعنا نحو ألف عبد أسود ، فان قاتلنا قاتلناه ،
وركب اليه لملاقاته ، هو وخاصة عبيده وكانوا نحو الخمسمائة ، ووصل
اليه طائعا ، لابساً خلعتة ، هو وولده ، فلما دخل عليه أمر بقتله ففى
الحال ، فتشتت عبيده ، فنادى فيهم مناد : من أراد من العبيد السود
العلوفة السلطانية عند الوزير فليأت ، فاجتمعوا بأسرهم ، ودخل معهم
من ليس منهم ، طمعا فى العلوفة ، وأدخلوا حوشا كبيرا له باب واحد ،
وصاروا يخرجونهم اثنين اثنين ، ويكتب اسمهما الكاتب بحضوره ، ويبرز
بهما الى خارج الباب ، فيرى رقابهما ، ولم يشعر بهما أحد منهم
ممن داخل الحوش ، ولم يعلموا ما يفعل بهما عند الباب الى أن قتل
(١)
الجميع .

وهكذا استمر الأتراك " العثمانيون " فى محاربة اليمانيين زمنا
فى معارك تزيد على الثمانين معركة حتى كانت معركة " شعوب " شمال
صنعاء عام " ٩٧٥ هـ - ١٥٦٨ م " التى كانت الفاصلة بانتصار اليمانيين

(١) قطب الدين محمد بن احمد النهروالى : المصدر السابق /

(١)
على الاتراك وواصل المطهر حملته الى " تعز - وعدن " ، حيث
صادق ذلك . وفاة المرحوم السلطان سليمان خان فأظهر العصيان
هو ولفيفه من العربان وجنّز أميراً من أمراءه يقال له علي بن شـويع
وجمع عليه العربان قطعوا الطريق على مراد باشا في محطة ذمار وهو
غافل من عصيانهم وكان قاصداً من تعز الى صنعاء وهي محصورة بالعربان
الزيديين فعدوا عليه الخيل وخلوا من الطعام بالكلية وكلما أرسل من
طائفته من يأتيه بالغلل والميرة قطعوا عليه الطريق وقتلوه ، فلما زاد به
هذا الأمر فطن لعصيان العربان رجع مراد باشا ، وسلك وادي خبّان
وهو محل وعربين جبليين عاليين في غياق الوعورة والصعوبة عسر المسلك
كثير المهلك ، ثم أوى الى مسجد يقال له مـزح ، فوصل اليهم شيخ
مـزح وكان له ثأر قديم عند الأروام كان سليمان باشا صلب أباه لـمـا
افتتح عدن فصاح وأثاراه وقتل مراد باشا وأرسل برأسه الى المطهر .
(٢)

لقد ظل الصراع مستمراً بين العثمانيين والأتعة الزيدية في عهد
امامة " المطهر " بن شرف الدين " ١٥٥٨ - ١٥٧٣ م " وكانت حروب
٩٦٦هـ / ٩٨١هـ

(١) عبد الله أحمد النور : المرجع السابق / ، ص ٣٢٢ .

(٢) قطب الدين النهروالي : المصدر السابق / ، الجزء

الثالث ، ص ٣٢٤ .

الإمام الزيدى " المطهر " مع القوات التركية التى أقبلت بقيادة سنان
باشا خروبا لم يسبق لها مثيل فى تاريخ اليمن ، حيث جهز سنان باشا
(١)
حملتين أحدهما برية ، والأخرى بحرية لإعادة فتح عدن ، ذلك الفتح
الذى سماه النهروانى الفتح الثانى ، وكانت الحملة البحرية بقيسادة
الأمير خير الدين القبطان المعروف بقوت أوغلى ، وكان على دراية كبيرة
بالحرب البحرية واحتلال الحصون ، أما الحملة البرية فقد كانت تحت
قيادة الأمير حمى ، وأول شهرته نجاحه فى تأديب عربان مصر ، وكان كاشفا
بها ، وسارت الحملة البرية وأخضعت فى طريقها جيزان ، ثم استولت على
(٢)
تمز وقلعتها الحصينة ، وفرضت حصارا بريا وبحريا على عدن مما أدى
الى سقوطها فى أيدي العثمانيين ، ولم يلبث أن وجه سنان باشا أنظاره
صوب منطقة وسط الهضبة اليمنية ، ورغم وعورة هذه المنطقة ومناوشات
اليمنيين ومهاجمتهم مؤخره للجيش العثمانى الزاحف ، فقد استطاع سنان
باشا أن يستولى على معظم جهات وسط الهضبة ، ثم دخل صنعاء ، ولم

(١) محمود كمال المحامى : المرجع السابق /

، ص ٢١٠ .

(٢) محمد البحر اوى : المرجع السابق /

، ص ١٢٢ .

يعد أمام سنان باشا لاختضاع اليمن للسيطرة العثمانية سوى المنطقة الشمالية الجبلية ، ولكن المقاومة اليمنية العنيفة بزعامة الامام المطهر ابن شرف الدين ، واضطرار القائد العثماني الى توزيع جيوشه على الأقاليم اليمنية المختلفة ، وعدم ارسال امدادات من مصر الى اليمن ، كل ذلك كان من العوامل التي أرغمت سنان باشا على عقد الصلح أخيراً مع الامام المطهر ، على أساس اعتراف المطهر بالسيادة العثمانية وقبوله وجود حامية عثمانية رمزية في صعدة .
(١)

فلما تم الفتح الخاقاني العثماني ، في القطر اليمني ، عاد الوزير المعظم سنان باشا الى بلد الله المكرم ، وحج حجة الاسلام ، وزار المزارات والمشاهد العظام ، وصادف الحج الأكبر وكانت الوقفة الشريفة يوم الجمعة ، وأثر ببلد الله الحرام ، أنواع الخيرات والانعام ، وأحسن الى أهل الحرمين الشريفين ومن حضر فيهما من حجاج الأنام ، وقابل شرفاء مكة المشرفة .
(٢)

-
- (١) السيد رجب حراز : محاضرات تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ٢١ .
(٢) قطب الدين النهروالي : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ، الجزء الثالث ، ص ٣٦٥ .

وبعد استيلاء العثمانيين على عدن وضمها للدولة العثمانية نستطيع

أن نبين الحقائق التالية :-

أولا : نجاح العثمانيين في السيطرة على البحر الأحمر وتأمينه وبذلك

أصبحوا هم المهيمنين على السواحل الشرقية والغربية للبحر

الأحمر .

ثانيا : أن العثمانيين اعتمدوا على البحر الأحمر والنشاط في مياهه في سبيل

السيطرة عليه وعلى سواحل وموانيه ، وكان ذلك على نقىض سياسة

الدولة المملوكية التي فضلت الاستناد الى اليابس .

ثالثا : أنه في الوقت الذي كان فيه العثمانيون يقومون بتنفيذ سياستهم في

البحر الأحمر ، كان البرتغاليون عاجزين تماما عن عمل أى شئ

إزاء التوغل العثماني وانتشاره على سواحل البحر الأحمر بعد ما

(١)

سيطروا على عدن .

والبحر الأحمر عبارة عن حوض ضيق ، شريطي الشكل ، تبلغ مساحته

٤٥٥٦٨ كيلو متر مربع ، ويبلغ طوله حوالي ١٩٢٠ كيلو متر من السويس الى

(١) غسان على رمال : المرجع السابق /

باب المندب ، بينما يبلغ متوسط عرضه ٢٧٢ كيلو مترا ، ويضيق البحر الأحمر كلما اتجهنا شمالا أو جنوبا ، حيث يزداد ضغط اليابس على الماء الى حد الاختناق عند الأطراف ويتمثل الاختناق جنوبا في بـباب المندب الذى يبلغ اتساعه ٢١ كيلوا مترا فى حين يبلغ متوسط عمقه ٦٣ مترا وعلى هذا فان البحر الأحمر من البحار ذات الامتداد الطولى الكبير ، ولذا تتميز سواحله بالظول بالنسبة للمساحة حيث أن كل كيلومتر من الساحل تقابله ١٤٨ كيلو مترا مربعا من مساحة المسطح المائى ، وبهذا يتعدد شكل البحر الأحمر عن الشكل الحوضى المعلوم المندمج ويفتقد بالتالى ما يمكن أن نسميه بالملاحة فى العمق فكلما طال الساحل بالنسبة للمساحة فان ذلك يعنى زيادة امكانية السيطرة على المجرى الملاحي من المواقع الساحلية الحاكمة ، الأمر الذى يحد من حرية الحركة والمناورة فى البحر الأحمر بعيدا عن تطفل الساحل ، وتزداد سيطرة المواقع على مياه البحر الأحمر كلما اتجهنا شمالا أو جنوبا ، حيث يزداد (١)
ضغط اليابس على الماء .

وكان البرتغاليون قد اجتهدوا على الدخول فى البحر الأحمر

(١) محمود توفيق محمود : المرجع السابق

تماما بعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح عام ١٤٩٨م وكان عامة الناس يدعون أن التجارة الشرقية كلها كانت في أيدي البرتغاليين ولكن هذا ليس صحيحا ، لأن العثمانيين منعوا البرتغاليين من تأسيس مراكز تجارية في البحر الأحمر ، ونجد في قوائم مربيانا بالتوابل التي كانت تأتي إلى مرفأ طور وكانت تحفظ في أيدي أميين التوابل ومنه كانت تساق إلى القاهرة والاسكندرية ، وهناك طريق آخر ينتقل تجارة التوابل إلى شعب البحر الأبيض وكانت السفن تحمل التجارة إلى مرفأ جدة ومن هناك كانت تساق بالجمال إلى سوريا بالبر .^(١)

وأشتطاع العثمانيون أن يحافظوا على البحر الأحمر بحيرة إسلامية رغم أن البرتغاليين كانت لهم مراكز توين لسفنهم قرية جدا من البحر الأحمر في الخليج العربي ، ولا شك أن البرتغاليين استغلوا نفوذهم في الخليج العربي لتدوير طريق التجارة المار في البحر الأحمر عن طريق مهاجمة المراكز البحرية العثمانية المطلة عليه ، وممارسة أعمال القرصنة عند مدخله وعلى سواحل جنوب شبه الجزيرة العربية .

ولمواجهة خطر تلك المحاولات التي قام بها البرتغاليون للسيطرة

على تجارة السلع الشرقية ، قام العثمانيون بعدة جهود لمراقبة
النشاط التجارى البرتغالى فى المحيط الهندى ، ولفك الحصار
الذى فرضه البرتغاليون على طرق التجارة المارة عبر الخليج العربى
والبحر الأحمر ^(١) ، وذلك باتخاذ عدن - وهى البوابة الكبرى للبحر
الأحمر - خط دفاع وقاعدة عسكرية لضرب المراكز البرتغالية وباحكام
السيطرة على البحر الأحمر ، وزيادة نشاط الترسانة البحرية فى السويس
فى بناء سفن حربية جديدة وعديدة ، وتنفيذ لهذا المخطط العسكرى
قررت الدولة ، كاجراء أمن داخلى وخارجى ، اغلاق البحر الأحمر فى
وجه السفن البرتغالية وغيرها من سفن الأوربيين الذين وفدوا إلى
الشرق ، من التوغل فى هذا البحر أبعد من الموانئ اليمنية ، وبالتحديد
أبعد من ميناء " المخا " ، ولقد نجح العثمانيون منذ ذلك الحين ،
ومن خلال سياستهم البحرية السابقة فى البحر الأحمر ، فى وضع أسس
تقليد جديد وهو تحديد نطاق توغل السفن الأوربية فى البحر الأحمر ،

(١) نوال حمزه صيرفى : المرجع السابق /

، ص ١٦٦ .

(٢) عبدالعزيز الشناوى : المرجع السابق /

، الجزء الثانى ، ص ٦٩٩ .

وقد استمر هذا التقليد مرعياً من جانب العثمانيين طوال القرنين السابع عشر والثامن عشر — حيث منعوا السفن التجارية الأجنبية بالتردد على ميناء " مخا " والاشتغال به ، بل جعلوا السفن العربية تنقل البضائع من ميناء " مخا " الى باقى موانئ البحر الأحمر حتى موانئ مصر ، وقد نجح العثمانيون فى الدفاع عن سواحل البحر الأحمر ، وفى تحديد النشاط البحرى الأوربى فى هذا البحر ، وفى المحافظة على صفة هذا البحر باعتبارها بحيرة اسلامية .^(١)

وكانت حجة الدولة أو ذريعتها فى هذا المنع أن أهم الأماكن الاسلامية المقدسة فى العالم على الاطلاق تقع فى الحجاز ، وتطل على سواحل هذا الاقليم على مياه البحر الأحمر فيجب أن تكون الملاحة فيه مقصورة على السفن الاسلامية ، وظلت الدولة حريصة على تطبيق هذا المبدأ حتى القرن الثامن عشر الميلادى ، ومما هو جدير بالذكر أن المسلمين بعامة والمؤرخين العرب بخاصة كانوا يطلقون على البحر الأحمر بحر الحجاز قبل أن تصبح الدولة العثمانية صاحبة السيادة على معظم الأقاليم الستة تطل على ساحليه ، وكان مرد هذه التسمية الى أن البحر الأحمر هو

(١) السيد مصطفى سالم : المرجع السابق ، ص ٤٢٥ .

الطريق البحرى المؤدى الى بلاد الحجاز حيث يأتى اليها المسلمون
(١)
من كل فج عميق لأداء الحج والعمرة .

وأيضا رأى العثمانيون أنه اذا كان لابد من جعل البحر الأحمر
منطقة محرمة من دخول المراكب المسيحية فيه لابد من ضم اليمن بصفة
عامة وعدن بصفة خاصة قاعدة لا ارتكاز ضد البرتغاليين فى المحيط الهندي
(٢)
والسيطرة فى البحر الأحمر .

وكانت استراتيجية الاستيلاء على عدن تابعة أساسا من عوامل مهمة
وهى :

أولا : الموقع الجغرافى : فذلك أن وجود عدن على الساحل الجنوبي
للجزيرة العربية قد حباها بعدد من المميزات مثل كونها ميناء
طبيعيا ممتازا ، وبغارة عن حائط من صخور نارية ورمال قاحلة ،
وخشية العثمانيين من وقوعها فى أيدي البرتغاليين والتي كانت
بالنسبة لهم قاعدة مناسبة وقرية لاغلاق البحر الأحمر نهائيا .

(١) عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها

، الجزء الأول ، ص ٢١ .

(٢) محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربى ، ص ١٣٠ .

وزاد من أجراء العثمانيين على تدعيم حزام الأمن التقارب ما بين
إيران والبرتغال ، ولعل هذا العامل من أكثر العوامل فعالية في سبيل
توجيه العثمانيين أنظارهم الى عدن والاستيلاء عليها ، لأن ذلك يعنى
أن الأساطيل العثمانية بإمكانها التحرك من عدن والدخول الى الخليج
العربى لاغلاقه ومن ثم افساد أية محاولة قد يوم بها هذان الطرفان .
(١)

وهذا الأسلوب قد أفاد أقطار الوطن العربى ومنع الدول الاستعمارية
الأوروبية من تحقيق أطماعها في العالم العربى .
(٢)

(١) غسان على رمال : الفرج - الشيخ السبق /

، ص ٢٤١ .

(٢) رأفت الشيخ : في تاريخ العرب الحديث ، ص ٣٦ .

د - بيلريكية الحبش "مصوع وسواكن :

في مطلع القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى بدأ
البرتغاليون يتسللون الى الحبشة لمساعدة أباطرتها لتقف في وجه الاسلام
في الوقت الذى كان فيه الشعب الحبشى قد تذوق سماحة الدين الاسلامى
الذى لم يمس فيه اليسر والسهولة ووجد فيه الانفكاك من عبودية الكنيسة التى
فرضتها لنفسها عليه .

وفي ذلك الوقت دخل رجال الجزويت البرتغاليون الى الحبشة
بدعوى التبشير بين المسيح ، ومن ورائهم الجيوش الجرارة المزودة
(١)
بأحسن ما عرف في ذلك الوقت من الأسلحة ، حيث كان البرتغاليون على
مراسلة دائمة مع الحبشة بمناسبة كونها على الدين المسيحى ومن غايات
القسيسين البرتغاليين هو تأسيس علاقة مع هذه الدولة المسيحية وكانت
هذه الدولة أشبه بشئ خيالى لدى البرتغاليين ، وكانت مهمة بدروكو فلها م
(٢)
"Covilham" فقد وصل الى داخل الحبشة حيث استقبله الامبراطور استقبالا
حسنا واقطعه مساحة من الأرض وأسبغ عليه القاب الشرف ، ولكنه لم يسمح له
بالعودة فتزوج من حبشية وأتقن لغات الحبشة وعاداتها وكانت لهذه المعلومات

(١) أبو احمد الأثيرى : المرجع السابق /

، ص ٤٣ .

Cengiz Orhonlu: 1674, P. 22

(٢)

فائدة كبرى بعد ذلك بثلاثين سنة ، عندما وصل الى سلاط امبراطور

(١)

الجيشة وفد ملك البرتغال .

وكان لوصول دى كوفلهام أشهره البالغ فى البلاط الحبشى ،
اذ تمكن الملك الكسند ر بذلك من تحقيق حلمه وحلم أجداده
فى رؤية دولة مسيحية تسعى الى تحقيق روابط سياسية معه
، بعد قرون طويلة من العيش بجوار دول اسلامية تحيط بها كالسوار
بالمعصم ، وباجتماعه مع دى كوفلهام كانت الفكرة الصليبية قد
اختمرت فى أذهانه ، خاصة فى وقت كان فيه الكسند ر يواصل اعتداءاته
الوحشية ضد مسلمى الطراز بعد أن أخذ يمعن فى تدبير مساجدهم
ومنازلهم ، لهذا قادته تلك النعرة الى فكرة شن حروب صليبية جديدة
بالتعاون مع البرتغال ، فأرسل دى كوفلهام الى ملك البرتغال ، ومعه
رسائل يناشده فيها العمل على مهاجمة مصر الا أن اصطدام دى كوفلهام
وجنوده مع سكان بعض المدن فى طريقه جعله يرجع الى مركز الملك فى
شوا انتظارا لفرصة أخرى .

(٢)

(١) فتحى غيث : المرجع السابق ، ص ١٤٥ .

(٢) غسان على رمال : المرجع السابق /

وعند ما وصلت الى الحبشة أخبار الانتصار البرتغالى على الأسطول

٩١٠ هـ /

الملوكى ، قامت الملكة هيلانة الوصيعة على ابنها الملك لبنا د نقل " ١٥٠٨

٩٤٦ هـ .

— ١٥٤٠ م " بمحاولة توطيد العلاقات مع الامارات الاسلامية فيسلى

الحبشة ، لفتح طرق التجارة وهو الأمر الذى كان السبب الرئيسى

فى المشاحنات بين هذه الامارات والحبشة ، وأرسلت الملكة هيلانة

البعوث الى البلدان التى يهيمها الأمر ، ومنها مصر ، غير أن هذه

المساعى لم تكلل بالنجاح ، فاتجهت الملكة هيلانة نحو الغرب ، وأرسلت

مبعوثها " ماثيو " الى نائب ملك البرتغال الفونسو البوكيرك الذى

٩١٨ هـ /

(١)

تقابل معه فى ميناء دبيل الهندى ، وذلك فى أواخر سنة ١٥١٢ م والذى

سرسرورا لاجتماعه برسول يوحنا ملك الحبشة ، واهتم البوكيرك

بمسأله عن الطريق الذى سلكه حتى وصل اليه فذكر له أنه جاء اليه

عن طريق زيلع ، وفى لشبونه استقبل الملك عمانويل ماثيو بالحفاوة

والاكرام ، وسلمه ماثيو رسالة الملكة " Helene " ولم تنس

الملكة فى بعثتها أن تؤكد اخلاص الاحباش للكاتوليكية ، وكانت

(١) الشاطر بصيلى عبد الجليل : المرجع السابق /

حركة بارعة منها أن تشير على الملك بإرسال ارسالية كاثوليكية كأنها تريد سلخ
كنيسة الحبشة عن كنيسة الاسكندرية وربطها بكنيسة روما كجزء من
الرغبة في الارتباط بأوروبا ، وإما ان ذلك كان مجرد مناورة منها
لتشجيع الملك على مد يده اليها ، والتحالف معها ضد القوى الاسلامية
ولما عرض الملك الأمر على المجلس للملكى الأعلى استطاع الحصول على الموافقة على
اجابة عروض الحبشة وامدادها بالمعونة العسكرية ضد المسلمين .^(١)

وقد نجح ماثيوس في مهمته الى حد كبير فقد عاد الى الحبشة ومعه
أول سفارة دبلوماسية برتغالية الى أباطرة الحبشة ، وكان دافع
الامبراطورة هيلينا الحقيقى لارشال ماثيوس الى البرتغاليين هو أملها في
الحصول على مساعدة هؤلاء لوقف النشاط الاسلامى المعادى حول
ممتلكاتها وخاصة على يد ملوك مملكة عدل الذين تمكنوا من الاستيلاء
على اقليم هرر ، كما سيطروا على طرق الحبشة الى البحر الأحمر .^(٢)

غير أن تدخل الاستعمار الغربى في شؤون الحبشة باسم

(١) محمد البحراوى : المرجع السابق /

، ص ٦٤ .

(٢) السيد مصطفى سالم : المرجع السابق / ، ص ٦٨

المساعدة لحرب الاسلام قد كلف الأحباش فيما بعد ثمنا غاليا حيث
أخذ البرتغاليون يتدخلون في شؤون الملك ويشعلون نار الحرب
والفتن والقتال الداخلية ويلتمسون سرا من الحكومة إرسال حملة
للاستيلاء على الحبشة وطرده الأسرة الحاكمة منها .^(١)

وقد شارك ماثيو في العودة ، وقد برتغالي برئاسة مبعوث
يدعى دورات جالفان Duarte Galvan كلف بحمل هدايا ورسالة
شخصية الى ملك الحبشة ليناد نجل وقد أرسلوا جميعا الى هناك
تحت قيادة لوبو سواريز Lopo Soares الذي استلم منصب نائب
ملك الهند عقب وفاة البوكيرك ، وتجلت المهمة لهذه البعثة في إبرام
نوع من المعاهدة مع الحبشة ، ومن ناحية أخرى تنص على تقديم
المساعدات للحبشة ضد المسلمين ، وفي عام ١٥١٧م فشل لوبو سواريز
في انزال البعثة كما هو مقرر في د هلاك Dalaca ، ولم تتمكن البعثة
من الوصول الى الحبشة الا في عام ١٥٢٠م ، حيث أوصلها نائب الملك
الجديد لوبيز دي سكويرا sequeyra Lopez de الذي كوّن بعثة
جديدة بقيادة رودريجو لوما Rodrigode Lima عقب

(١) أبو احمد الأثيوبي : الاسلام الجريح في الحبشة ، ص ٤٣ .

(١)

وفاته دى جالفان فى جزيرة كمران •

وتوجه الأسطول البرتغالى الى مصوع ، وأستصحب القائد البرتغالى معه رسول الحبشة ماشيو الأرمينى بعد غياب دام أحد عشر عاما ، حيث تم انزاله مع المبعوث البرتغالى دى ليما فى قرية أركيكو التابعة للحبشة ، والتي تقع على بعد فرسخ واحد من مصوع ، وواصل القائد البرتغالى ديبجو لوبيز دى سكويرا رحلته شمالا فى البحر الأحمر بهدف الوصول الى جدة ، ولكن يبد وأنه لم يستطع الوصول اليها ، وأنه اضطر الى العودة جنوبا —
(٢)
بسبب الرياح التي لم يتمكن بسببها من مواصلة حملته •

وقد وصلت الحملة البرتغالية التي طلبها الامبراطور لينا د نجل قبل وفاته الى ميناء مصوع وكان لوصولها صدى كبير فى البلاد ، وكانت تتكون من
(٣)
٤٥٠ من المحاربين المسلحين بالأسلحة والمدفعية •

(١) غسان على رمال : المرجع السابق •

(٢) محمد عبد العال احمد : المرجع السابق / ص ٢١٢ •

(٣) فتحى غيث : الاسلام والحبشة عبر التاريخ ، ص ٣٥٥ •

وحدث أمر أدى إلى استئناف المحادثات بين البرتغاليين والحبشة
، ذلك أن لينا دنجل حصل على خارطة موضح عليها موقع كل من أسبانيا
والبرتغال ، أما ذلك الأمر فهو أن الامبراطور كشف لأفراد البعثة مدى صغر
حجم البرتغال ، والتي كان يغالى في قوتها وكبر مساحتها أفراد البعثة ،
وأظهر لهم بعض الشك في مقدرتهم على طرد العثمانيين من البحر الأحمر ،
ولعلاج هذا الموقف اقترح الامبراطور أن يحتفظ ملك فرنسا بقوات عسكرية
في سواكن وأن يحتل ملك أسبانيا زيلع ، وتتخذ البرتغال من مصـوع
قاعدة لها ، وهؤلاء جميعا عن طريق قواعدهم في البحر الأحمر سيتمكنون
من حماية البحر الأحمر والاستيلاء على جدة ومكة والقاهرة والأراضى المقدسة ،
الا أن السفير البرتغالى غضب لذلك واندفع في حماس يدفع عن بنى قومه ،
وأنهم قادرون اكتساح العالم الاسلامى ، وعلى الرغم من عدم تسجيل
(١)
خطة الامبراطور الجديدة ، ونقلها بالتالى الى ملك البرتغال ، فإن
الخطاب الذى أرسله لينا دنجل الى الملك البرتغالى يظهر مدى حرص
الأحباش على معاداة المسلمين وطلب في الخطاب كذلك أن يقوم الأب

(١) غسان على رمال : المرجع السابق /

الفاريز بنشر المسيحية في مصوع ودهلك وزيلع ، وطلب تزويده بغنيين
(١)
مهرة في صناعة الأسلحة اللازمة لجيشه .

وكان من نتيجة اعانة البرتغاليين ملكة الحبشة "Helene" أن
تشدد العثمانيون مع قوافل الحج المسيحية الى بيت المقدس ،
وصمموا على غزو الحبشة ومنع الأوربيين من نشر نفوذهم على الشاطئ
الغربي للبحر الأحمر ، حتى لا يسيطروا بالتالي على التجارة بينه
وبين الهند ، فأسرعوا الى التحالف مع المسلمين في عدل وأمدوهم
بالأسلحة النارية ، وأرسلوا الى الامام احمد بن ابراهيم مدافع من
زبيد ، وأمدوه شريف مكة بعدد من المجاهدين العرب .
(٢)

وكان أحمد بن ابراهيم يراقب الأحوال السياسية في الحبشة وأدرك
قوة ليناد نجل بسبب المساعدات ، ورأى أحمد بن ابراهيم أنه اذا
تأخر في عدم مواجعتهم سيذهب من يديه الأماكن التي صممت من
قبل ولذلك أرسل الى العثمانيين رسالة يطلب فيها المساعدة

(١) السيد مصطفى سالم : المرجع السابق / ص ١٠٨ .

(٢) محمد البحراوي : المرجع السابق / ٦٢ .

(١)
وهذه المراسلة تمت بواسطة موظفين في زبيد في اليمن .

وكان أمرا طبيعيا أن تلتحم القوى الإسلامية داخل حوض البحر
الأحمر لمواجهة ذلك الخطر الصليبي الذي اتخذ من السواحل الغربية
للبحر الأحمر مجالا لنشاطه لتهديد العالم الإسلامي .
(٢)

وقد أدرك العثمانيون خطر تحالف البرتغاليين مع الأبحاش
ووجدوا أن البرتغاليين يلقون في بلاد الحبشة نجاحا سريعا ،
فلجأوا الى الاتفاق مع العدليين وأمدوهم بالأسلحة النارية ،
ووجد العثمانيون الفرصة سانحة لقيام أحمد بن إبراهيم ملك
عدل ، يساعد الباشا العثماني حاكم زبيد الذي أرسل الأسلحة
والمدافع اليه ، وزحف أحمد جرائي على قلب بلاد الحبشة فتحرك
وغزا الجلا وسائر الشعوب التي تجاوز مدينة هرر ، ثم وصل
الى هرر ، التي تعتبر أصلا مدينة إسلامية وتقع الى الشرق
(٣)

(١) Cengiz Orhonlu: Habes Eyaleti, P. 24

(٢) غسان على رمان : المرجع السابق /

، ص ٢٨٦ .

(٢) عبد المجيد عابدين : بين الحبشة والعرب ، ص ١٩١ .

من الحبشة ، حيث تشغل المنطقة المنخفضة بين البحر الأحمر والمرفعات
الغربية ، ويعود الفضل في ظهورها الى هجرات عربية من حضرموت
واليمن نزلت هذه المنطقة حيث حملوا اليها الاسلام في القرون
الأولى للهجرة ، وكان موقعها ذا أهمية بالنسبة للأحباش ، اذ يعتبر
كمنفذ وسوق لتصريف منتجات الحبشة واستيراد ما تحتاجه من
جهة أخرى ، لهذا لم يكن من الغريب أن يداوم الأحباش غاراتهم ،
ودور هرر في الجهاد الاسلامي ضد الأحباش والبرتغاليين فيما
بعد هو أحد ادوار ثلاث حيث احتلت هرر الدور الأخير بعد أن
سبقتها كل من عدل وأوقات ، ولكنها تميزت عن غيرها بمميزات
جعلتها صاحبة الكلمة لمدة طويلة أوشكت معها الحبشة أن تصبح
مملكة اسلامية بين ليلة وضحاها لولا الاستشهاد المفاجئ
لزعيمها احمد بن ابراهيم ، ومن تلك المميزات انه نتيجة لأن هرر
أصبحت القاعدة الاسلامية الرئيسية فقد أصبح الأحباش عندئذ
يعيدون عن قواعدهم فوق الهضبة الحبشية ، كذلك اتصال هرر
بقبائل " عفار " " Afar " والصومال في وقت ازداد فيه الحما
الديني الذي دفع المسلمين الى الزحف الى الداخل ، وأخيرا
هناك عامل مهم وهو أن هرر بدأت دور الهجوم وارسال

الحملات بعد أن كان من قبلها يتخذ دور الدفاع في مركزه وما صحبه
(١)
من كروفر.

وأخذت الدولة العثمانية ترأسل جيرانها من الجنوب
وأكثر هذه المراسلات بين المسلمين في الحبشة ، وكان هناك
في الحبشة نزاع بين المسلمين والمسيحيين ، فرأت الدولة العثمانية
أنه لا بد من وضع حد لهذا النزاع وخاصة أنه بين المسلمين ،
وكذلك رأيت الدولة البرتغال أنه لا بد من وضع حد لهذا النزاع
وخاصة وأنهم كانوا يرون في الحبشة أنها هي الدولة التي يبحثون
عنها ، وفي مصادرها الحبشة يذكر أن أحمد بن إبراهيم أصبح
سلطانا وقام بتحويلات في إدارة الدولة ، وهجم على مملكة الحبشة
وضم السواحل من زيلع إلى مصوع وأصبح هناك سيطرة تامة وكان
ملك الحبشة يرأسل البرتغاليين دوما وطلب من البرتغاليين
مساعدته على محاربة العثمانيين ، وفي سنة أربع وثلاثين وتسعمائة
(٢)

(١) غسان على رمال : المرجع السابق / ص ٢٢٦ .

أخذ الامام احمد مدينة هسر من بلاد الحبشة وضعف عن
مقاومته سلطانها وكان من ولد سعد الدين ولم يزل أمر الامام
بعد تعظم حتى صار الى ما صار اليه وأستفتح كثيرا من بلاد
الحبشة وقهر الكفار وواظب على الجهاد في سبيل الله ، وضم
(١)
فتاجار وأيالات دوارو ، وشوا وإيالات أمهرا ولاستا وفي عام
٩٤١ هـ
١٥٣٥ م ضم أتراب تجرا ، وألتجأ ملك الحبشة الى الكنيسة ، وكان
أحمد المجاهد يداوم فتوحاته ، وتحقق انتشار الاسلام في تلك الأماكن
(٢)
، وكان من المتوقع أن تستمر القوات الاسلامية بمساعدة الكتائب العثمانية
في طريقها نحو مراكز الأحباش الأخيرة الا أنه لم يحدث من ذلك شيء
بسبب نشوب الخلاف بين الامام القرين والقوات العثمانية ، ذلك أن
الامام أحمد وعقب انتصاره الساحق على الأحباش والبرتغاليين ظن أن
الأمور قد استتببت له بذلك الانتصار ، وأنه قادر فيما بعد على تحقيق
أهدافه ضد الحلف المسيحي ، دون أن يدرك مدى تأثير

(١) عبد القادر العبيدروس : النور السائر عن

أخبار القرن العاشر .

(٢) Cengiz Orhonlu: *ibid* . , Page 25 .

تلك الاشتباكات السابقة على مركزه وما تعرضت له قواته من انهك ، وفى الوقت نفسه خشى الامام أنه فى حالة قضائه على الامبراطورية الحبشية سيواجه مشاكل أخرى مع القوات العثمانية التى وقفت الى جانبه طيلة فترة حروبه ، وهذا ما جعله فى خوف دائم منهم ، لهذا قام باعادة معظم حملة البنادق العثمانيين الى زيد باستثناء مائتى جندي استبقاهم الى جانبه ، وبذلك فقد الامام أحمد ركنا هاما كان يعينه فى حربه ، وما لبثت الأمور أن تعقدت أكثر مما سبق حينما رفض الامام أحمد قبول الامدادات العسكرية التى كان يبعث بها العثمانيون من قواعدهم على سواحل اليمن ، وهذا بدوره ما أدى بالفعل الى زيادة التعاون بين الأبحاش والبرتغاليين فى حين وقف الامام أحمد بمفرده فى مواجهةهم ، وكانت خاتمة المطاف هو نجاح احدى الكتائب البرتغالية فى الوصول الى مركز الامام أحمد ، حيث أطلقوا جميعهم الرصاص عليه فاستشهد .^(١)

ولقد كانت الحروب التى امتدت عدة قرون بين الاسلام

(١) ابراهيم حسن : الامام أحمد بن ابراهيم القرين ، ص ١٩٣ .

والمسيحية في بلاد الحبشة التي انتهت بهذه الغزوة الكبيرة ففى عهد الامام أحمد ، قد اتخذت طابعا من القسوة والوحشية ، فلقد رجعت جيوش المسيحيين كلما أتحت لهم الفرص عند دخول بلاد المسلمين أن يخبروا المساجد ويحرقوا المصاحف وأماكن العبادة ولم تقف جيوش المسلمين صامدة أمام هذا الغزو المسيحي بل طاردت أثناء زحفها رجال الدين المسيحي وخربت الكنائس ، ولم تكن جيوش البرتغاليين بخير من هذين المتحاربين فقد عملت على تحطيم المساجد منذ دخولها مصوع في طريقها الى داخل البلاد .^(٢)

وما أن بدأ العقد السادس من القرن السادس عشر الميلادى حتى كان البرتغاليون أكثر تحمسا من ذي قبل لنشر مذهبهم الكاثوليكي توطئة لبسط النفوذ الرسمي لهم على الهضبة الحبشية ، وصاحب ذلك ظهور عاملين مهمين كان لهما الأثر الفعال في تكاتف النشاط العثماني على السواحل الحبشية

(١) أبو أحمد الأيوبي : المرجع السابق / ، ص ٤٣ .

(٢) فتحي غيث : المرجع السابق ، ص ١٥٧ .

وأول هذه العوامل هو انتفاضة جديدة لهرر التي اتحدت مرة أخرى تحت راية نور بن الوزير مجاهد ابن أخت الامام أحمد الذي صمم على ضرورة متابعة الجهاد ضد الأحباش ، أما العامل الثانى فهو تدخل البابوية الى جانب البرتغاليين فى المعركة الدائرة داخل البحر الأحمر ، فكان بذلك على العثمانيين أن يواجهوا العالم المسيحى بأسره عن طريق البابوية التى عمدت هى الأخرى الى ارسال بعثاتها أو التدخل لدى البرتغاليين فى اختيار أفراد البعثات الكاثوليكية فى محاولة لفصل الكنيسة الحبشية عن الكنيسة المصرية وربطها بالكنيسة الكاثوليكية* (١)

ويلاحظ أن التحالف البرتغالى الحبشى كان يحمل بين طياته منذ البداية عوامل ضعفه وانهيائه ، ويرجع هذا أساسا الى اختلاف وجهتى نظر الطرفين فى حقيقة هذا التحالف وفى الغرض منه ، وكان الاختلاف المذهبى بين الحبشة الأرثوذكسية والبرتغال الكاثوليكية المواجهة التى اختلفت خلفها الاختلافات الأخرى التى أدت فى النهاية الى تحطيم هذا التحالف ، وكانت وجهة نظر امبراطورة الحبشة فى الاتصال بالبرتغاليين وفى تشجيعهم على ارسال السفراء والخبراء والقساوسة

(١) Jones & Monroe: History of Ethiopia, P. 89 .

الى الحبشة ، هي أن يساعدوهم في تطوير بلادهم وفي الوقوف أمام
(١)
الامارات الاسلامية الحبشية المجاورة لهم لحرب الاسلام ، أما وجهة
نظر البرتغاليين فكانت تتمثل في اتخاذ الحبشة قاعدة لهم عند
مدخل البحر الأحمر الجنوبي ، لذلك عمل البرتغاليون على أن
يتحول الأحباش المسيحيون الى المذهب الكاثوليكي حتى تزداد بذلك
سيطرتهم على الحبشة ، وقد اتضحت أغراض البرتغاليين بعد
ذلك فعمل الأحباش على التخلص منهم وعلى محاربتهم وطردهم نهائيا
من الحبشة .

وصلت التطورات ما بين الأحباش والبرتغاليين لدرجة سيئة
للاخيرة وذلك عندما قام مينا سيمع الأحباش من دخول الكنائس الكاثوليكية
، وطلب من المبشرين البرتغاليين مغادرة البلاد ، ومنعهم من
نشر عقيدتهم أو الظهور في الكنائس ، كما منع زوجات البرتغاليين
الحبشيات من اعتناق مذاهب أزواجهن ، وبذلك أصبحت البلاد
(٢)
على شفا حرب أهلية .

-
- (١) أبو أحمد الأثيوبي : الاسلام الجريح في الحبشة ، ص ٤٣ .
السيد مصطفى سالم : المرجع السابق / ص ١٠٨ .
(٢) محمد البحراوي : المرجع السابق / ص ٩٧ .

وتمكن العثمانيون من بسط نفوذهم على الساحل الشرقى الأفريقى
وساعدهم على ذلك قيام الخلاف فى الحبشة ، اذا انقسمت الحبشة
الى قسمين : قسم يؤيد الكنيسة الغربية وآخر يؤيد الكنيسة
الشرقية ، ودخلت الحبشة فى حرب أهلية طويلة .^(١)

ولم يقف نجاح العثمانيين فى ذلك الوقت عند حدود الميدان
الحبشى الداخلى ، بل نجحوا بحربا أيضا فى قطع الاتصال
بين الأحباش والبرتغاليين فقد قامت السفن العثمانية بعدد
بمهاجمة خمس سفن برتغالية وأجبرتها على الفرار ، وذلك قبل وصولها
الى ميناء " مصوع " لتقديم الامدادات اللازمة للحملة البرتغالية فى الحبشة ،
وقد ازدادت أوضاع البرتغاليين فى الحبشة سوءا بعد ذلك ، فقد
قرر نائب ملك البرتغال منع أية محاولة للاتصال بالبرتغاليين الذين
فى الحبشة نظرا لخطورة النشاط البحرى العثمانى حول السواحل الحبشية
وقتذاك ، وهكذا يتضح مدى ما أظهره العثمانيون من نشاط بحرى بعدد
فتحهم لليمن مباشرة ، ويلاحظ أنه بالرغم مما اتسم به هذا النشاط من
قوة وحيوية فقد كان فى مجمله دفاعا عن النفس أكثر منه هجوما

(١) محمد أنيس : المرجع السابق / ، ص ١٣٣ .

على البرتغاليين كما كان الحال بالنسبة لحملة سليمان باشا الخادم
على الهند ، وقد نجح العثمانيون في ذلك الوقت في تأكيد وجودهم
في حوض البحر الأحمر باعتبارهم قوة بحرية ذات وزن كبير ، ففضوا على
مساعدة البرتغاليين للنجاح في داخل الحبشة .^(١)

وبغضل حملة البرتغاليين نستطيع القول أنها كانت خاتمة الحملات
البحرية التي دخلت البحر الأحمر في سبيل مهاجمة المراكز
العثمانية داخل البحر ذاته بعد ما اقتنع البرتغاليون باستحالة
مهاجمة تلك المراكز وليس معنى ذلك أنه امتنع البرتغاليون نهائياً
عن دخول البحر الأحمر ، وإنما أصبح دخولهم فيما بعد مرتبطاً
بفكرة معينة ، وهي إرسال البعثات الكاثوليكية إلى الحبشة ومحاولة
أن تكون هناك اتصالات دائمة بالبعثات الكاثوليكية في الحبشة للاطلاع
على سير أعمالها .

أما على نطاق العلاقات بين العثمانيين والأحباش فقد بدأت
في اتخاذ طابعاً يختلف عن السابق بعض الشيء ، فالعثمانيون

(١) السيد مصطفى سالم : المرجع السابق / ، ص ٤٠٤ .

أدركوا أن ميدان عملهم الحيوى لمراقبة الأوضاع داخل الهضبة الحبشية
انما يأتى نتيجة نشوب النزاعات الأهلية داخل الهضبة الحبشية ،
وما يلاذى ذلك الى ظهور ثوار يلجأون الى القيادة العثمانية فى سبيل
(١)
مد هم بالسلاح والعتاد ، خاصة بعدما دخلت هرردور الاحتضار
والانهيار التام بعدما كانت الساعد الأيمن لنشاط القيسادة
العثمانية داخل الأراضى الحبشية ، أما الأحباش فهم وان كانوا فى
السابق يعملون على طرد العثمانيين من حدودهم الشرقية وقصر
نفوذهم على الساحل الحبشى ، فانهم الآن أصبحوا يركزون على محاولة
اخراج العثمانيين أيضا من السواحل الحبشية ، خاصة بعد ما
(٢)
اطمأنوا على حدودهم مع هرردور التى قضت الحروب السابقة عليها نهائيا .

وكانت سياسة العثمانيين بالنسبة للحبشة ترمى الى حصار الأحباش
وتحطيم أى تحالف ايجابى بينهم وبين البرتغاليين ، الشىء الذى لو تم
لعرّض مركز العثمانيين فى البحر الأحمر لخطر عظيم ولذلك حدث تقارب

(١) غسان على رمال : المرجع السابق /

، ص ٣١٨ .

(٢) السيد رجب حراز : أرتريا الحديثة ، ٣١ ، ٣٢ .

بينهم وبين المسلمين في عادل ، وأمد هم العثمانيون بالدافع
والأسلحة النارية ، وقوى العثمانيون مراكزهم على الساحل الغربي ،
وأضحى في كل مركز حاكم عثمانى ومعه قوة حربية كان ذلك في وقت
لم يعرف الأحباش فيه سوى السهم والقوس ، وأشعلها المسلمون حرباً
شعواء على الأحباش حتى سقطت معظم مدنها وسبوا منهم وقتلوا أعداداً
لا تحصى ، وهرب الملك وأتباعه وشرذوا في الجبال ، وقد تدعم نفوذ
العثمانيين في الحبشة على يد أزد مر باشا بعد عزله من اليمن ، بعد
أن كان نفوذ العثمانيين هناك لا يتعدى حدود نيابة " سواكن " وقد
لمس أزد مر باشا أثناء ولايته لليمن مدى أهمية النفوذ العثماني في
الحبشى بالنسبة للصراع الدائر بين العثمانيين والبرتغاليين في جنوب
البحر الأحمر ، كما لمس أيضاً مدى ضعف نيابة " سواكن " واضطراب
أحوالها أثناء عودته من اليمن ، وقد اهتم السلطان سليمان كثيراً
بمشروع أزد مر باشا الذي عرضه عليه عند مقابلته إليه ، والذي كان يقضى
بتدعيم النفوذ العثماني على ساحل الحبشة .^(٢)

(١) محمد البحراوى : المرجع السابق /

ص ٩٥ .

(٢) السيد مصطفى سالم : المرجع السابق / ص ٤١٣ .

وكان من أهم سياسة العثمانية في الجنوب هو تأسيس إيالة
الجبشة وذلك لعمل حزام الأمن ، ولأجل ذلك أمر السلطان سليمان
القانوني أزد مر باشا قيادة الجيش لفتح الجبشة ، وأعطى تحت أمره
ألف شخص لرمي النبال ومع هؤلاء أعطى ثلاثة آلاف شخص متطوعين
وتعتبر هذه الحملة الحملة الأولى على الجبشة ، ففي النصف الآخر
من عام ١٥٥٥ هـ استطاع أزد مر باشا من تسيير حملة إلى الجبشة وبدأ
العساكر ينزلون من البر ويواصلون نهر النيل إلى الجنوب والمرسلون
من البر كانوا فرسانا وكان لا يمكن نجاح هذه الحملة لأن الجبشة
كانت بعيدة ، وأيضا لأن الطبيعة كان لها دورها ، ولكن لما كان^(١)
غرض هذه الحملة إعلاء كلمة الله ، وإظهار عز الإسلام ، ونكسر ألوية الصليب
والأصنام ، توجه أزد مر باشا بعسكره برا إلى سواكن ، فمهد تلك البلاد ،
وأقام فيها سنة الجهاد ، ونفى بها القلاع ، وغزا عدة غزوات ، ظفر في
كثير منها ، وأُنكسر في بعضها ، وكانت سواكن قبلة يتوجه إليها الأمناء
من مصر ، فصارت من بعده لليكلريكية ، وكانت من قبل أطيب حالا
منها الآن ، اليكلريكية في الأكثر يظلمون ويغشون ، واستمر أزد مر باشا

(١) Cengiz Orhonlu : *ibid* , Page 31 .

(١)

في بلاد الحبشة ، مجاهدا في سبيل الله افتتح عدة من البلاد .

٩٦١هـ

وأسست ييلريدية الحبشة في ٦ يولية عام ١٥٥٥م وتغلب أزد مر

باشا على مشاكل كثيرة وتمكن من تجهيز حملة من ثلاث آلاف شخص ونقلهم

من السويس الى مرفأ سواكن ، وأخذت ايةالة الحبشة جزيرة د هلك وكان

يلزم لايةال الحبشة قضاة خصوصا في سواحل المسلمين الذين كانوا

يطبقون شرائع الاسلام ، وعين لايةالات الحبشة قاضي وهو عبد الوهاب

الذي يبقى في سواكن وعين أيضا للاشتغال بمسائل أموال الدولة شخصا

٩٦١هـ

سماه ناظر الأموال وهو أحمد بيك الذي عين في ١٧ نوفمبر عام ١٥٥٥م ،

٩٧١هـ

(٢)

وعين دفتر دارا في عام ١٥٦٥م في عهد خلف أزد مر باشا .

ومما ساعد على انتشار الاسلام في الحبشة كما حدث في المناطق

الأخرى من أفريقيا ، أن الحبش المسيحي كان يعتبر نفسه محاربا أو

راعيا ، ويحتقر التجارة والتجار ، لذلك سيطر المسلمون على التجارة

الداخلية والخارجية ، مما جعلهم يتميزون بالصفات التي تكتسب من

(١) قطب الدين محمد بن احمد الصهرالى : المصدر السابق /

ص ١٢٠ .

(٢) Cengiz Orhonlu : *ibid* , Page 37 .

الحركة والسفر والاتصال •

وقد ذكر الكا رديال " ما ساجاه " الذى أمضى خمسة وثلاثين عاما يعمل فى التبشير أو التنصير فى الحبشة " أن نفوذ الاسلام فى ختام هذا العهد قد وصل الى الحد الذى لو أتيح له وجود امام آخر مثل الامام أحمد ، ليرفع راية الرسول لتحولت جميع الدولة الى الاسلام " ويدل تصريح ماساجا هذا على مقدار ما وصل اليه نفوذ الاسلام فى ذلك الوقت ، ولكن الخطر جاء الى البلاد بعد ذلك من الخارج (١) •

(١) فتحى غيث : المرجع السابق / ، ص ١٨٥ •

الفصل الثالث

الخطر الصليبي الاستعماري في الخليج العربي

أ- البرتغاليون على الساحل الغربي للهند ، جوا
٩١٦ = ١٥١٠ م

ب- أهمية هرمز ، جهاد الرئيس حميد وعرب هرمز ، سقوطها في
أيدي البرتغاليين .

ج- تهديد البصرة ، جهاد راشد بت مقامس .

د- كفاح مقرن بن زامل في الأحساء .

هـ- موقف الصفويين الشيعة في إيران ، والمغل المسلمين
في الهند .

أ - البرتغاليون على الساحل الغربى للهند ، جوا ٩١٦هـ / ١٥١٠م :

لقد شهد القرن الخامس عشر الميلادى جهودا برتغالية متواصلة

من أجل الوصول الى الهند ، وكان أول تنويع لمجهودات البرتغاليين

البحرية على الساحل الغربى لأفريقية على يد الأمير هنرى الملاح الذى

٨١٨هـ (١)

استولى على سبته سنة ١٤١٥م من أيدى المسلمين حيث كانت طائفة منهم

يركبون من زقاق سبته فى البحر ويلجئون فى الظلمات ، ويمرون بموضع قريب

من " جبال القمر " بضم القاف وسكون الميم جمع أقمر ، أى أبيض ، وهى

مادة أصل بحر النيل ، ويصلون الى المشرق ويمرون بموضع قريب من

الساحل ، فى مضيق ، أحد جانبيه جبل ، والجنب الثانى بحر الظلمات ،

فى مكان كثير الأمواج ، لا تستقر به سفائنهم ، وتنكسر ، ولا ينجو منهم

أحد ، واستمروا على ذلك مدة ، وهم يهلكون فى ذلك المكان ، ولا يخلص

من طائفتهم أحد الى بحر الهند ، الى أن خلاص منهم غراب الى الهند

ومن الثابت أن بعثة من التجار البرتغال وعلى رأسهم الفونسودى

بايفا Al·fonso de paiva ويبرودى كوفيلهام pero de covilham

ذهبت الى مصر سراً ثم سافروا من القلزم الى عدن على أحدى المراكب

(١) السيد مصطفى سالم : المرجع السابق / ، ص ٤٧

(٢) قطب الدين محمد بن احمد النهروالى : المرجع السابق /

العربية ، ويقال انهم أخذوا مركبا عربيا من عدن بعد أن نظا مووا بالاسلام
ووصلوا الى الهند قبل فاسكودى جاما بعشر سنوات حيث زار كوفيلهام
قالقيوت وجوا Goa ومن هناك عاد الى سفالة على ساحل افريقيا الشرقى
" على خط عرض ٢٠ جنوبا " وعرف سربلاد التوابل فى هذه الرحلة التسمى
اهتم بجمع المعلومات عنها فى مصر قبل رحيله منها ، ويقال أن كوفيلهام هذا
كان خبيرا بأغلب لغات الشرق ، ولما عاد من رحلته الى الهند علم فى
مصر بموت صديقه دى با بقا ، والتقى فى القاهرة أيضا بيهوديين آخرين ،
هما الحاخام ابراهام دى بيا ويوسف لامبيجو وكانا هما الآخران فى مهمة
(١)
سرية خاصة بالبرتغال .

بدأ الغزو البرتغالى للبحار الشرقية ومنطقة الخليج العربى بوصول
طلائع الغزاة البرتغاليين تحت ستار الكشوف الجغرافية ، وكانت تحملهم
سفن مسلحة بقيادة فاسكودى جاما Vasco de Gama وألقت مراسيها
فى ثغر كاليكوت Calicut على الساحل الغربى للهند ، فى
٩٠٢ هـ
سنة ١٤٩٧م قام فاسكودى جاما برحلته المشهورة للوصول الى الهند عن
طريق رأسى الزوابع الذى اجتازه بارثليميود ياز ، فأبحر هذا من لشبونه فى

-
- (١) أنور عبد العليم : المرجع السابق / ، ص ١٢٤ .
(٢) عبد العزيز الشناوى : المرجع السابق / ، الجزء
الثانى ، ص ٦٩٦ .

٩٠٢ هـ

يونية ١٤٩٧ م وسار محاذيا للساحل الغربي الأفريقي حتى رأس الرجاء

الصالح ، ثم واصل حتى وصل الى موزمبيق ثم الى مباسرة وظل متجهًا

شرقًا حتى وصل الى الساحل الغربي لشبه جزيرة الهند في مكان يدعى

(١) ٩٠٣ هـ

" قاليقوت " وقد تم هذا في مايو سنة ١٤٩٨ م ، ثم وصل الى ميناء كاليكوت

على الشاطئ الجنوبي الغربي للهند في ٢٧ مايو ١٤٩٨ م وليس ثم ادنى

ريب أن وصوله يسجل نقطة تحول في تاريخ بلاد الهند .

وهكذا وصل البرتغاليون الى جزائر الأبايزر فأصبحت ميدانًا

لتجارتهم أمدا طويلا وانتهوا الى مليبار في الهند في سنة أربع وتسعمائة

من الهجرة (١٤٩٨ م " ودخلوا الى كاليكوت واشتغلوا بالتجارة وقالوا

لعمال السامري : ينبغي منع المسلمين من تجارتهم ومن السفر الى سر

العرب ، والفوائد الحاصلة منهم يحصل منا أضعافها ، وكان من أولسى

مقاصد فاسكودى جاما بطوافه بحر الهند محاربة السفن العربية ، بل

كان الغرض من تطوافه في هذا البحر أن يحارب الصليب الهلال في أقصى

بقاع المعمورة ، أو أن تحارب رومية مكة في مكان يبعد أكثر من ألف

(٢)

وخمسمائة فرسخ عن الميادين المألوفة لاقتتالهما .

(١) عبد الفتاح حسن ابو عليّة وآخر : المرجع السابق / ص ٦٤ .

ص ٦٤ .

(٢) ك . م . بانيكار : المرجع السابق / ص ١٩

(٣) محمد كرد علي : المرجع السابق / الجزء الاول ، ص ٣٤٠ .

٩٠٤ هـ

وفي أغسطس سنة ١٤٩٨ م وصل فاسكو دى جاما الى الهند عن طريق

٩٠٣ هـ

رأس الرجاء الصالح ، وكان قد أبحر من البرتغال في سنة ١٤٩٧ م وانتهت

٩٠٥ هـ (١)

رحلته التي تعتبر من أخطر الرحلات الى لشبونة في سبتمبر عام ١٤٩٩ م .

وغدت الاطماع البرتغالية أشد ضراوة عندما ولى فاسكو دى جاما

نائباً للملك وحاكماً للكلوة في شرق أفريقيا ، فقد بدأت العواجيه الصريحه

بين البرتغاليين على سواحل الهند ، وكان عليه امثالا لأمر حكومته أن

يغلق البحر الأحمر والخليج العربى لمنع وصول تجارة الشرق الى مصر

وضمن ألا تصل السفن المصريه الى الهند حتى تتمكن البحرية البرتغاليه

من أحكامها قبضتها على تجارة الهند .

وأعقب ذلك مهاجمة جاما هرمز واستيلائه على سفن عربية وقتل من بها

وترك بعض سفنه بالقرب من باب المندب لغلاق البحر الأحمر ، ومنع وصول

السفن اليه أو خروجها منه ، كما ترك بعض السفن أيضا عند جزر كوربا موريا

(٢)

للقيام بأعمال القرصنة ولا شك أن وصول فاسكو دى جاما الى الهند قد أعطى

البرتغاليين الفرصة الكبرى ، لتحقيق أهدافهم الصليبية وإن لم تكن جميعها ،

(١) ج . ج . لوريمر : المرجع السابق / ، ص ١١ .

(٢) حسن احمد محمود : المرجع السابق / ، ص ٢٢١ .

لقد رأوا القضاء على الاسلام في كل مكان ، مثلما قضاوا على المسلمين في
الاندلس وأعادوها نصرانية متعصبة تغلى حقدا على المسلمين ، فساروا
على نفس النهج في قتل وتعذيب المسلمين ، وهدم المساجد وتدمير
المدن الاسلامية ، وحرق السفن بمن عليها في عرض البحر ، وخسـ
البرتغاليون المسلمين فقط بهذه المعاملة الوحشية ، أما غير المسلمين
من الهنود وغيرهم ، فقد عاملوهم معاملة حسنة ولم يتعرضوا لهم بسوء ،
وذكر هذه الحقيقة زين الدين في كتابه وقرر أن عداوتهم كانت للمسلمين
(١)
فقط دون غيرهم .

حيث قال انهم كانوا يهزأون بالمسلمين ، ويظلمونهم ويعطلون حجهم ،
ويحرقون مساجدهم ، ومنها ما اتخذوه بيعا لهم ، يأخذون مراكبهم ،
وأموالهم ، ويطأون مصاحفهم وكتبهم بأرجلهم ويحرقونها بالنار ، ويهتكـ
حرمة المساجد ، ويحرضون على قبول قول الردة والسجود للصليبيين ، وإذا
سقط أسرى المسلمين رجالا كانوا أم نساء في أيدي البرتغاليين ينصرونهم
قصرا ، الى غير ذلك مما كانوا ينزلونه فيهم خاصة من العذاب ليخلوا لهم

(١) نوال حمزه صيرفي : المرجع السابق /

الجو في تلك الأصقاع ، ويقبضوا على زمام تجارة الهند ، ويطردوا عن أسواقها وموانئها المنافسين لهم ، والمعروف أن البرتغاليين جاءوا^(١) إلى المحيط الهندي وقلوبهم مليئة حقداً على المسلمين ، وفي عزمهم اقتلاع النفوذ الاسلامي من المنطقة بأكملها ، ومن ذلك أن الحملة البرتغالية الأولى عادت إلى البرتغال ، وحملت معها نماذج من السلع الآسيوية كما نقلت إلى الملك عمانوئيل أن سكان الملايو من المسيحيين على مذهب هرطقي وعلى ضوء هذه المعلومات الخاصة بالعقائد أراد الملك أن يجتذب إليه ملك الهند الذي كان يعرف بالساموري للعمل ضد المسلمين وقامت الحملة البرتغالية الثانية وكانت أكبر من الحملة الأولى مكونة من ثلاثة عشر مركباً وعليها ٥٠٠ رجل وأعطيت قيادتها إلى بدرو الفاريز كلبيرال وكانت الأوامر التي صدرت إليه أقامت محطات تجارية ، ووكالة أعمال في كاليكوت وأن ينزل القس في هذه الأماكن لتعريف الأهالي بالسيحية كما يعلمها البرتغاليون .

٩٠٦ هـ
وصل كابرال في شهر سبتمبر سنة ١٥٠٠ م إلى كاليكوت ومعه ستة
مراكب فقط ، وحاول إقامة محطة تجارية في هذه المدينة غير أن المسلمين لم يلبثوا أن دبروا حالة شغب محلية قتل فيها ٤٨ برتغاليا وخربت

(١) محمد كرد علي : المرجع السابق / ٤ ص ٣٤١ .

مستودعات المحطة التجارية البرتغالية الجديدة ، ثم أطلق البرتغال
نيران مدافعهم على المد ~~ينشرون~~ وتركوها وساروا
الى كوتسن الواقعة جنوب كاليكوت على ساحل ملبار ، وقد نجح كيرال^(١)
فى استغلال الخلاف القائم بين كوتسن وكنا نور وبين كاليكوت لاقامة
أول مركزين تجاريين للبرتغال على ساحل ملبار فى كوشن وكنا نور ، السى
كانت كاليكوت تفرض عليها نوط من السيادة الاسمية ، وقد سارع حاكم
كوشن الى الترحيب بالبرتغاليين حتى يقوى جانبه أمام خصمه التقليدى
حاكم " كاليكوت " ، فقام هؤلاء بمساعدته فى التخلص من جميع مظاهر
تبعيته للسامرى ، وقد انتهت مساعدات البرتغاليين بعد ذلك لحاكم
" كوشن " الى تدعيم نفوذهم ، والى اقامة حصن قوى لهم فى كوشن ،
وهو أول حصن يقيم البرتغاليون فى الهند ، كما أدى هذا بدوره أيضا
الى نجاحهم فى شراء ما يحتاجونه من بضائع هندية ، وفى ار سال مندوبهم
الى الأقاليم الواقعة وراء ساحل " ملبار " لاقامة العلاقات معها ، وقد
دفعت الانتصارات الحربية والتجارية المتوالية ملك البرتغال الى اتخاذ
خطوة أكثر ايجابية ، وهى اقامة أول حكومة استعمارية برتغالية فى الهند .

(١) الشاظر بصيلى عبد الجليل . المرجع السابق /

ص ١٣٤

(٢) السيد مصطفى سالم : المرجع السابق / ص ٥١ .

وزاد نشاط البرتغاليين في نقل السلع الشرقية من الهند
الى البرتغال مباشرة ، كما نتج عن انتظام سفنهم الى الهند كل
عام ازدياد خطرهم على تجارة الشرق ، وذلك عندما عمل أمراء
البحر البرتغاليون على الحيلولة دون وصول السفن المصرية والعربية
الى الهند بعد أن أصدرت حكومة البرتغال الأوامر الى داجامبا
أن يضح جزءاً من أسطولها عند مدخل البحر الأحمر لغلاقه ، كما أنهم
تحكموا في الطريق المباشر بين مصر والهند عندما استولوا على جزيرة
(١)
سقطرة قرب مدخل البحر الأحمر عند القرن الأفريقي .

وسار البرتغاليون منذ وصلوا سواحل الهند على سياسة احتكارية
شديدة ، قوامها إنشاء مراكز تجارية مسلحة لهم على طول ذلك الساحل
ثم تكليف سفنهم الحربية بالتجوال في مياه الهند الإقليمية ، وعدم
السماح لأية سفينة تجارية لا تحمل موافقة السلطات البرتغالية بالملاحة
(٢)
في تلك البلاد .

ولما كان النشاط البرتغالي مع بداية القرن السادس عشر الميلادي

- (١) عبد الله حامد الحبيد : الممالك الحراسية في اليمن ص ١٦٦ .
(٢) إبراهيم أحمد العدوي : المرجع السابق / ص ٢١٢ .

قد تركّز في السواحل الهندية باعتبارها المصادر الأساسية لبعض مصاد
الشرق ذات الطلب في أوروبا ، كان من الطبيعي أن يكثر البرتغاليون من
انشاء المراكز البرية والبحرية ، فكان الى جانب جوا مراكز في كوشن وكنانور
ودابول وديو وسها تكال وسيلان ، وكلها مراكز ذات ثقل تنطلق منها
الدوريات لاعتراض كافة السفن التجارية الاسلامية التي كانت تهجدون اذن
(١)
من القيادة البرتغالية .

بعد أن استقر الانفرنج في كشي وكننور وتمكنوا من استغلالها ومن
تبعهم بالسفر في البحر صالحين لهم اخذين أوراقهم معهم لكل مركب
علامة وعينوا لكل ورقة مالا معلوما لرعاتهم يعطيهم اياه أصحاب المراكب
عند السفر وأرادوا ذلك فائدة لهم ليوافقوهم على ذلك فان وجد الانفرنج
مركبا ليس فيه ورقتهم أخذوا المركب وما فيه ومن فيه والسامري ورعاياه
وأتباعهم كانوا محاربين لهم وصرف السامري في محاربتهم أموالا كثيرة حتى
(٢)
ضعف السامري ورعاياه .

(١) غسان علي رمال / المرجع السابق /

ص ٢١٩

(٢) زين الدين المعبري : تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين ص

٩٠٨ هـ

وفي سنة ١٥٠٢ م قام فاسكو دى جاما برحلة ثانية الى الشرق وكان
غرضه من هذه الرحلة القضاء على سلطة الزامرين والانتقام ثانية من
العرب المسلمين أصحاب النفوذ التجارى فى السواحل الهندية الغربية ،
ورأى ملك البرتغال عمانويل السعيد أن سيادة البحار الشرقية ملك للبرتغال
، وعليهم السيطرة على كل الموانئ التجارية فى المنطقة وضرب جميع القوى
السياسية المعارضة للبرتغال ، وفى رحلة " دى جاما " هذه تمكن من عقد
معاهدات تجارية لدولة البرتغال مع كل من أمراء المناطق الهندية الواقعة
على السواحل الغربية ، وعندما عاد الى بلاده سنة ١٥٠٣ م كان قد ترك
أسطولاً برتغالياً فى مياه الهند .^(١)

٩١١ هـ

وفي سنة ١٥٠٥ م أرسل الملك أمانويل فرانسيسكو دى أليبيدا
Francisco d'Almeida الى الهند ليكون أول نائب للملك فيها ومنحه
سلطة كاملة لخوض الحرب وعقد المعاهدات باسمه فكان أول سياسى يدرك
المقومات الأساسية للقوة فى بلاد الهند ، وعلى أساس انتصاراته بنيت أسس
الامبراطورية البرتغالية .

وكان يؤمن بأن البرتغال ستضعف قوتها وتبددها اذا لم تحاول

(١) عبد الفتاح حسن ابو عليّة وآخر: المرجع السابق / ، ص ٦٦ .

(١) الاحتفاظ بقواعد برية أكبر مما تدعو اليه الضرورة القصوى .

وكان فرانسيسكو الميدا أول أمير للبحر وحاكم الممتلكات الهندية

البرتغالية وهو أول من تولى منصب نائب الملك في الهند من عام

٩١١ - ٩١٥ هـ

١٥٠٥ - ١٥٠٩ م ، ويعتقد بأنه ليس للبرتغال امكانيات بشرية لاقامة

مستعمرات بعيدة عن الهند ، ولذلك يجب الاعتماد على السيطرة

البحرية وهذه السيطرة كفيلة بالقضاء على التجارة العربية . (٢)

حل لتحقيق هدف البرتغال الاستعماري هو في السيطرة على مدخل

البحر الأحمر والخليج العربي ، ورأى أن يؤسس وكالات في الهند (٣)

للمحافظة على مجرد علاقات تجارية مع تلك البلاد ، غير أن هذه الآراء لم

يأخذ بها خلفه الفونسو دي البوكيرك الذي أُلِّق نحو الشرق للمرة الثانية

٩١٢ هـ

سنة ١٥٠٦ م ليحل محل الميديا حيث سبق له أن قام بسفرة قبل هذه

٩٠٩ هـ (٤)

إلى آسيا سنة ١٥٠٣ م .

(١) السير جون هامرتن : تاريخ العالم ، ص ٢٨٩ .

(٢) صلاح العقاد : المرجع السابق / ، ص ١٦ .

(٣) خالد المعزى : المرجع السابق / ، ص ٢٥ .

(٤) السير أرنولد ويلسون : المرجع السابق / ، ص ٢٠٤ .

وكان الممالك يتضررون من تجولات البرتغاليين في البحار
الشرقية وكان البرتغاليون قد استقروا في الهند وكانوا يريدون أن يكون
طريق التجارة بين الهند وأوربا من طريق أفريقيا وبعد ضم البرتغاليون
٩١٢ هـ
عدن في عام ١٥٠٢ م وسقطرة وهرمز وحققوا بذلك طلبهم حيث أرادوا
أن يكون طريق التجارة من طريق أفريقيا (١).

ان الدولة المملوكية كانت أضعف من مواجهة دولة البرتغال
البحرية الناشئة ، كما كانت أعجز عن القضاء على قوتها البحرية ، إذ
أن دولة الممالك لم تكن دولة بحرية شأن البرتغال ، بل كان الممالك
فرسانا وليسوا بحارة ، هذا في الوقت الذي كان الصراع بين الدولتين
يدور رجا في البحار فقد يدل السلطان قانصوه الغوري جهده ، لاعداد
حملة بحرية لارسالها الى الهند ومواجهة البرتغاليين هناك .

وكان استنجاد الأمراء الهنود المسلمين بالغوري من الموامل
التي شجعت على ارسال هذه الحملة . لذلك فقد كان على السلطان
(٢)

(١) Stanford show:Osmanli imprarator lugu ve
modern turkiye

الجزء الأول ، ص ١٢٢

(٢) السيد رجب حراز : المرجع السابق / ،
ص ٩ .

المملوكى أن يندل قصارى جهده فى بناء أسطول حربى يستطيع بسـه
الصمود أمام البرتغاليين ، فبدأ الغورى فعلا فى بناء أسطوله سنة
٩١١هـ / ١٥٠٦م فى ترسانة السويس ، وتم بناء الأسطول فى سنة ١٥٠٨م
(١) ٩١٣هـ
، وكان يتكون من نحو خمسين سفينة مسلحة بالمدافع والأسلحة
النارية تحت إمرة سلمان الرئيس وأسند القيادة العامة لحسين الكردى
من كبار قواده بعد أن ولاه نيابة مدينة " جدة " ، فوصل جدة وحصنها
بسرور قوى ، سخر فى بنايته الأهالى الى أن أتمه ثم توجه بالأسطول الى
الهند (٢) ، يقصد تحطيم الحصار البحرى البرتغالى وذلك بالتعاون مع
القوى الوطنية فى الهند التى كانت تقاوم النفوذ البرتغالى تحت زعامة
ملك قاليقوت .

وأستطاع الأسطول المملوكى أن يحرز انتصارات مبداًمية ولكنه هزم
هزيمة ساحقة فى أوائل سنة ١٥٠٩م فى معركة ديو ، حيث توجه الأمير
حسين الكردى الى بندر الديو بسبب الفرنج الذين ظهروا فى البحر

-
- (١) محمد أنيس : المرجع السابق / ، ص ١٢٢ .
(٢) محمد بن احمد العقيلي : المرجع السابق / ، ص ٢٧٩ .
(٣) محمد أنيس : المرجع السابق / ، ص ١٢٢ .

(١)

وأوسعوه نهبا وأخذوا كل سفينة غصبا ، وكان لتلك المهزيمة التي تمت فى
موقعة ديوبين نائب الملك فى الهند فرانسكو دا الميدا وحسين الكردي
أثر بالغ فى المحيط الهندى أو فى مصر ، لقد استقرت السيادة البرتغالية
، وأصبح الأسطول البرتغالى قادرا على حمل الجنود الى أى جهة أرادوا
طالما أنه لم تعد هناك أى قوة بحرية تستطيع اعتراض وحداتهم البحرية
عقب تدوير الأسطول المصرى فى موقعة ديوبين ، وهذا بالتالى ما قسّاد
البرتغاليين نحو تحقيق الكثير من الانتصارات سواء فى البر أو فى البحر
وفى أماكن متفرقة من المحيط الهندى ، كذلك فقد أعطى ذلك الانتصار
للبرتغاليين الفرصة من جديد لمضاعفة جهودهم فى سبيل فرض حصار
قوى على مدخل البحر الأحمر لمنع السفن من الدخول والخروج اليه ،
وأخيرا هناك عامل مهم ، وهو أن الطريق الآن أصبح مفتوحا وميسرا
للبرتغاليين للدخول الى البحر الأحمر ، وهو الأمر الذى جعل
الكردي يتراجع مسرعا خوفا من تعقبه وبالتالي مهاجمة الأماكن المقدسة ،
إلا أن كثيرا من جنود الكردي من المماليك لجأوا الى بلاط شاه مملكة

(١) عيسى بن لطف الله بن المطهر: المصيد السابِق /

بيجاپور الإسلامية حيث أمد هم سلطانها بالمواد اللازمة لصناعة السفن
وتمكنت بذلك تلك الفئات المختلفة من انشاء سفن حربية أزعجت البرتغاليين
على امتداد ساحل الهند الغربي ، ولم يتمكن البرتغاليون من التخلص
من ذلك الخطر الا بعد استيلائهم على جوا عام ٩١٦ هـ - ١٥١٠ م ^(١) ، والتي
تقع في الطرف الأقصى من ممتلكات عادل شاه ، وأن فتح البرتغاليين لها
وتحصينهم اياها كانت مسائل ذات أهمية بالغة لامبراطورية فيجايانا جدار
الهند وكية في حملاتها على الاسلام وسرعان ما أدرك أباطرة فيجايانا جدار
أن جوا كانت بالنسبة لهم منفذا الى البحر ، وعن طريقها لا يستطيعون
الحصول على الأسلحة والعتاد الحربي فحسب ، بل على الخيول أيضا
التي كانت حاجتهم ماسة اليها لفرسانهم ، فالواقع اذن أن فتح جوا لهم
يؤد الى اقرار قدم البرتغاليين كقوة برية ببلاد الهند ، بل أدى فقط الى
انشاء مكان مناسب للعمليات الحربية بالمحيط الهندي .

وأبلغ البوكيرك مولا ، أنه عرض على السيف كل عرس بمدينة جسا ،
مرد فا ذلك بقوله " حيثما أمكنه العثور على عرس كان أفلاته من يد ، من

(١) غسان على رمال : المرجع السابق /

(١)
من المحال وأنه كان يملأ بهم المساجد ويضرم فيها النار * .

وتذهب المصادر إلى أن عمانويل الأول ملك البرتغال كان قد

زود "البوكيرك" برسالة ملكية سرية بتعيينه حاكما عاما للمستعمرات

٩١٥هـ (٢)

البرتغالية في الهند ونائبا للملك هناك عام ١٥٠٩م خلفا لفرانسيسكو

٩١٥هـ

دالميدا الذي استطاع أن يحرز نصرا على السفن المملوكية عام ١٥٠٩م .

وقد وضع البوكيرك نصب عينيه تنفيذ مجموعة من الأهداف وجد أنها

كفيلة بالسيطرة على مصادر التجارة ، وهي محاولة الحصول على مركز متوسط

على ساحل الهند الغربي للمراقبة عوضا عن كوتسن البعيدة ، وفي نفس

الوقت كقاعدة يستطيع بها أن يفرض سيطرته على البحار الهندية ولتنفيذ

هذا الهدف كان أمام البوكيرك الاختيار ما بين قاليقوط وجوا ، غير أن

الأحداث القديمة بين قاليقوط والبرتغاليين ، والتي تزعمت فيها قاليقوط

حركة المقاومة ضدهم ، إضافة إلى أوامر الملك عمانويل بضرورة الاستيلاء عليها

وجهت أنظار البوكيرك إليها ، لذا خرجت من لشبونة حملة أخرى بقيادة

(١) ك . م . بانيكار : المرجع السابق / ، ص ٤٦ .

(٢) بدر الدين عباس الخصوصي : دراسات في تاريخ الخليج العربي

الحديث والمعاصر ، ص ١٤ .

فير ناند وكوتينوا coutinno
Fernando للمشاركة في الاستيلاء على قاليقوت

، والقضاء على نفوذ الزاموريين وفي نفس الوقت تدعيم الموقف في المحيط
الهندي ، خاصة بعد ما بلغت الملك عمانويل أنباء الاستعدادات التي
كان يقوم بها السلطان الغوري في ميناء السويس ، وهاجم البرتغاليون
قاليقوت في محاولة للاستيلاء عليها ، غير أن مقاومة المدينة صمدت أمامهم

، وفشل هجومهم الذي قتل فيه القائد الجديد Coutinne ولكن
٩١٦هـ

البوكيرك ما لبث أن عوض تلك الهزيمة باستيلائه على جوا عام ١٥١٠م الذي
اتخذها مقرا رئيسيا للبرتغاليين في الهند عقب مقتل أميرها ، وأقام بها
الحصون القوية ، ثم نقل إليها مقر البرتغاليين في الهند لتوسط موقعها
على ساحل الهند الغربي وقد أثر سقوط " جوا " في أيدي البرتغاليين
في موقف باقي الممالك الهندية على الساحل الغربي للهند ، فقد وافقت
سلطنة كجرات عندئذ على أن يقيم البرتغاليون محطة تجارية وحصنا لهم
في " ديو " كما وافقت كاليكوت على عقد الصلح مع البرتغاليين ، وعلى إقامة
حصن لهم بها ، وأكمل البوكيرك خطته في السيطرة على المراكز التجارية

(١) غسان على رمال : المرجع السابق /

٩١٧هـ

الهامة بالاستيلاء على ميناء " ملقا " في مايو سنة ١٥١١م وكان هذا
الميناء حينئذ من أهم الموانئ التجارية ، في العالم ، فقد كانت
" ملقا " أهم مركز لتجميع منتجات جزر الهند الشرقية وغيرها من مناطق
الشرق الأقصى حتى الصين شرقا ، وكان البوكيرك يدرك جيدا أهمية
" ملقا " التجارية بالنسبة للعرب ، وذلك كما اتضح في خطاب طويل
له ألقاه أمام جنوده قبل الهجوم عليها ، فيبعد أن أثار حماس الجنود
ضد حكام ملقا المسلمين وتجارها ، قال : " واني على يقين لو أننا
انترعنا تجارة " ملقا " هذه من أيديهم لأصبحت كل من القاهرة ومكة
أشرا بعد عين " (١) .

وكان من رأى البوكيرك أن تأسيس امبراطورية ضخمة في الشرق
يعتمد أساسا على إقامة القلاع في المراكز التجارية لا لحماية التجارة فحسب
، ولكن للسيطرة على الحكام المحليين والزامهم بالاعتراف بالسيادة
البرتغالية كذلك ، وكان أول ما فعله البوكيرك هو نقل المقر الرئيسي
للبرتغاليين من " كنانور " على الطرف الجنوبي لشبه جزيرة الهند إلى
" جوا " على ساحل ملبار المطل على بحر العرب ، فدل بذلك على نيته

(١) السيد مصطفى سالم : المرجع السابق / ، ص ٦٧ .

(١)

ففي توجيه سياسته التوسعية نحو فارس وبلاد العرب •

وفي عهد دا البوكيرك وصل نفوذ البرتغال من الخليج العربي
الى الملايو ، واستطاع البرتغاليون أن يكون لهم سلطان ونفوذ سياسى
على ساحل الهند الغربى بالقرب من مدن الملقا وهرمز ، كما أنهم
استطاعوا بناء الحصون فى المراكز الاستراتيجية وصار بذلك لاسطولهم
نفوذ قوى على التجارة ، غير أن دا البوكيرك أغفل أن يجعل النشاط
(٢)

البرتغالى قائما على كفاية ذاتية من حيث المال والرجال •

وأشأ البوكيرك نحو خمسين قاعدة تشرف على ما لا يقل عن خمسة
عشر ألف ميل من الشواطىء ، وأتخذ جوا بالهند قاعدة رئيسية
(٣)

للامبراطورية البرتغالية فى الشرق •

وواصل البرتغاليون سياستهم فى الهند نحو تحصين مراكزهم
التجارية على ساحل ملبار مركزين فى الوقت نفسه على محاولة منع كافسة

(١) بدراالدين عباس الخصوصى : المرجع السابق /

• ص ١٨ •

(٢) الشاطر بصيلى عبدالجليل : المرجع السابق /

• ص ١٣٨ •

(٢) عبدالحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ، ص ١٩ •

السفن الاسلامية من محاولة الوصول الى قاليقوت وتغريغ بضائعها ، وقد حاول الزامورين حاكم قاليقوت توحيد راجات ساحل المليار تحت قيادته كمحاولة لمقاومة النفوذ البرتغالي غير أن محاولاته تلك باءت بالفشل تعرض بعدها لمقاومة النفوذ البرتغالي غير أن محاولاته تلك باءت بالفشل ، تعرض بعدها لمحاولة برتغالية للاستحواذ على مدينته ، غير أن مقاومة الزامورين حالت دون ذلك ، حيث انسحب البرتغاليين مغضين ذلك الفشل باحراق أجزاء من المدينة ، وحاول الزامورين مرة أخرى استعادة النفوذ التجارى فى المياه الهندية ، غير أن لوبو سواريز Lopo series القائد من لشبونة تمكن من تدوير أساطيل قاليقوت الحربية فى الميناء وما لبث بعد ذلك أن نشر نشاطه على كافة (١) الموانئ الهندية مدبرا ومخربا .

٩٢٢هـ

وفى عام ١٥١٦م أقلع لوبو سواريز الذى خلف البوكيرك فى منصب

نائب الملك من جوا الى البحر الاحمر للبحث عن أسطول السلطان الذى

(١) غسان على رمال : المرجع السابق/

قيل أنه كان يتأهب لمهاجمة الممتلكات البرتغالية في الهند ، ولدى وصوله
عدن رأى قائد المدينة نفسه ألا قبل له بالبرتغاليين فعرض عليه مفاتيح
القلعة وقد رفض سواريز هذا العرض على أمل أن يأخذ المدينة في يوم
ظن أنه سيكون أكثر ملاءمة ، ومضى إلى مقربة من جدة دون أن يجد أثر
لسفن السلطان .^(١)

كان تغفل البرتغاليين في الملاحة الهندية والعربية وسيطرتها
عليها عاملاً مؤثراً قويا في الشؤون السياسية في الهند فلذا قاومهم السلطان
محمود عند ما علم أن عددا كبيرا من البرتغاليين قد استوطنوا المناطق
الساحلية في كجرات وبنوون أن يشيدوا حصنا حصينا فيها وأتخذ القرارات
الحازمة للقضاء عليهم فأمر قائد إيازا أن يواجههم بأساطيله^(٢) .

وثان لابد من الدولة الفتية ألا وهي الدولة العثمانية أن تعمل على
طردهم البرتغاليين بعد أن شاخت الدولة المملوكية لذلك أصبحت الحوادث
والمعارك تتعلق مباشرة بالعثمانيين ، ونتيجة لوجود البرتغاليين في الهند

(١) السير أرنولد ويلسون : المرجع السابق / ، ص ٢١٧ .

(٢) عبد الله حامد الحبيد : المرجع السابق / ، ص ١٦٧ .

(١)

وتعذّبهم أهل الهند ، طلب سلطان كجرات مساعدة العثمانيين ، حيث
تعد اماره الكجرات ثانی امارات الهند الاسلامیة بعد دہلی ، ذلك
أنه فضلا عن خصب تربتها وما تحويه من ثروات طبیعیة هی ، أولا وقبل
كل شیء ، باب التجارة الهندیة الغربیة منذ القدم ومنفذها الى افريقية
وآسیا ، فمن شاطئها عند سورات وخليجها كمباى كانت تبحر السفن
بمنتجات الهند من توابل وثمار وعطور وسيوف ومنسوجات حریریة وقطنیة
وأحجار كريمة الى بلاد العرب والبحر الاحمر فتنتقل من بعد ذلك برا
الى موانئ البحر الابيض المتوسط لتحملها فلك أخرى من هناك الى ثغور
أوربا لهذا كان هذا الاقليم محط أنظار أغلب غزاة الهند حتى قبل عصر

(٢)

الاسكندر .

فی سنة ٩٤٣ هـ / ١٥٣٧ م ، استنجد حاکم دہلی فی الهند

بالسلطان سلیمان خان القانونی العثماني لتطهير ثغور الهند —

(٣)

البرتغالیين ، وحضر سفير من قبل صاحب " كجرات " بالهند يطلب

(١) Ismail Hakki Uzuncarsili: Osmanlı tarihi, P. 380 .

(٢) احمد الساداتی : تاریخ المسلمين فی شبه القارة الهندیة وحضارتهم

، الجزء الثاني ، ص ٢١٠ .

(٣) محمد سعید المسلم : المرجع السابق /

، ص ١٧١ .

من عظمة السلطان المساعدة ضد البرتغاليين الذين أغاروا على بلادهم
وأحتلوا هم ثغورها ، فأصدر السلطان أوامره إلى وزير مصر يومئذ " سليمان
باشا " بتجهيز عمارة بحرية بثغر السويس على البحر الأحمر لمحاربة
البرتغاليين " وفتح عدن " وبلاد اليمن حتى لا تستولى عليها البرتغال
أو أى دولة أوربية أخرى فتصير حجر عثرة في سبيل تقدم الدولة في جهات
الشرق وقاعدة لأعمال الدولة التي تحتلها ضد مصر .

فصدع سليمان باشا بأمره وشيّد عمارة بحرية مؤلفة من سبعين سفينة
في أقرب وقت وسلحها بالمدافع وسار بها عام " ٩٤٤ هـ — ٥٣٨ م " ومعه
عشرون ألف جندي وفتح " مدائن عدن ومسقط " وحاصر جزيرة " هرمز " .
عند مدخل خليج فارس ثم قصد سواحل الجوزرات وفتح أغلب الحصون التي
أقامها البرتغاليون هناك ، ولكن أخفق أمام ثغر " ديو " بعد أن حاصره
مدة ثم قفل راجعا بالغنائم وفتح في أيام السلطان سليمان باقى اقليم
(١)
اليمن وجبل ولاية عثمانية .

وتوقف أمام مرفأ عدن ، ودعا خادماً سليمان أمير عدن عنده وصلبه

في أعدة السفينة لأنه كان يقال أن أمير عدن كان يريد أن يعطى عدن
للبرتغاليين ثم بعد ذلك ضمت عدن بسهولة الى الدولة العثمانية وعيّن
لرئاسة عدن بعد فتحها بهرام بيك بسبب كون عدن من أهم المراكز
التجارية ومكانة استراتيجية كان العثمانيون يسيطرون في المحيط الهندي .^(١)

وبعد ضم العثمانيين عدن ذهب سليمان باشا الخادم الى هندستان
٩٤٤ هـ
واستغرق ذلك سبع عشرة يوما وفي ٤ أيلول عام ١٥٣٨ م وصل الى ميناء
ديو حيث حاصر ميناء ديو ، وكان مجيئه الى هندستان لمساعدة حاكم
كجرات محمود الثالث حيث أرسل الى العثمانيين يطلب منهم المساعدة
^(٢)
ضد البرتغاليين .

بعد أن قبض سليمان باشا على جزاك فشرع في حصر
^(٣)
ديو وكسر القلعة بالدافع العظام السلطانية ، وحاصر خادم سليمان
القلعة " ديو " ، وكان قد أتى بقنابل يقذفون بها بشدة ورغم محاصرتهم
القلعة عشرون يوما ، وبسبب مدافعه ومقاومة أهل القلعة لم يوفق خادم

(١) Cengiz orhonlu:Habes. Eyaleti, P. 15

(٢) Hulusi.Yavus:Yemen' De Osmanli Hakimiyeti"1617-(2)

(٣) زين الدين المعبرى : المرجع السابق / P. 146 " 1571

سليمان من اطاحتها ، وكان السبب الرئيسى فى عدم احتلال القلعة

هو مجيئ البرتغاليين ، حيث صدرت الأوامر من القيادة البرتغالية (١)

فى الهند بأن كل سفينة برتغالية تدخل موزمبيق فى افريقية الشرقية

عليها أن تضى الى ديو وتترك بعض رجالها لحماية القلعة التى حصنت (٢)

تماما ، وزودت بست سفن مسلحة لمقاومة هذا الغزو المرتقب .

وكان البرتغاليون بدوهم يقيمون فى حصونهم القوية فى جوا ود يو

على شاطئ الهند الغربى بعد أن خاضوا غمار معارك بحرية عنيفة ضد

سلاطين الكجرات المسلمين وأعوانهم من سلاطين الممالك المصرية

والعثمانيين .

ونتى عن انتصار هؤلاء المستعمرين أن اشتد خطرهم وتفاقم

طغيانهم فى مناطق الخليج العربى وبحر العرب والمحيط الهندى وعند

منافذ البحر الاحمر حتى اقتربوا من شواطئ الحجاز وراحوا يهددون

طرق التجارة الهندية (٣)

382

(١) Ismail Hakki Uzuncarsili: Osmanli tarihi, P.

(٢) غسان على رمال : المرجع السابق /

ص ٢٤٨ .

(٣) احمد الساداتى : المرجع السابق /

الجزء الثانى ، ص ٩٧ .

وكان السلطان سليم أبدى اهتماما كبيرا بطريق البحر الأحمر
التجارى والطرق البحرية التى تربط بين الشواطىء العربية وشواطىء
الهند والشرق الأقصى حتى أنه جهز فى عام ١٥١٩م أسطولاً غايته بسلاط
الهند لمحاربة البرتغاليين ومقره الاسكندرية كما أنه سعى لاجتذاب أمراء
جنوب الجزيرة العربية اليه ، وإذا كان السلطان سليم قد توفى ، فان ابنه
السلطان سليمان الأول واصل سياسة أبيه وسار فى نفس الاتجاه الذى رسمه
له والده ، فيذل جهودا كبيرة لاستزاع السيطرة من البرتغاليين فى بحار
الهند ولا سيما عند ما جاءت بعثات من ملوك الهند تطلب منه المساعدة
ضد الغزاة الأوروبيين (١)

وكان الخواجه صفر الملقب من سلطان الهند بخداوند خان ، ممولك
المرحوم سلمان القبطان موجودا اذ ذاك ، فلما بلغه توجه سليمان باشا الى
الهند لقتال الفرنج ، شمر مساعد الجد ، وضيق على الفرنج من جهة البحر ،
وهيأ العسكر لقتالهم معاضدة لسليمان باشا ، ومناصرة له على الكفـار
الملاحين ، فلما وصل نزل بموضع يقال له مظفر آباد " بقرب " الديـو
فأرسل اليه الخواجه صفر بأنواع التقادى والهدايا ، وأراد أن يأتى اليه

(١) محمد عبد المنعم السيد الراقى : المرجع السابـق /

فنصحه شخص من أصدقائه ، من جلساء سلطان كيخيا أخص الخواص لدى سليمان باشا فقال له : ان لك على حقا واجبا ، وان لي نصيحة ، أياها لك ، فأختلى معه ، وقال له : ان سليمان باشا ، فتاك ، وأنا أنصحك فلا تقابل ، فتخيل خنداوند خان من ذلك ، وعرف أنه متى وقع في يده لم يسلم منه ، واستمر يخدمه على بعد ، ويرسل اليه الهدايا ، وكلما طلبه الى عنده تعلل بنوع من الأعذار ، ثم ان السلطان محمود أرسل اليه خانا كبيرا ، وقال له : قم في خدمة سليمان باشا ، فلما رآه سليمان باشا احتقره ، ثم ان سليمان باشا أرسل جاويزا الى السلطان محمود معه قفطان وسيف مسقط ، فلما وصل اليه تعجب من فعله ، وطلب الجاويز ، وقال له : قل لأستاذك ان كان هذه الخلعة والسيف من عند السلطان سليمان فلبسها ، وان كان من عندك فليس من مرتبتك ارسال الخلعة اليها ورجع الجاويز وأخبره فامتلا غيظا ، وأضر السوء لأهل الهند ، وأضروا له السوء ، وأرسل السلطان محمود الى " خنداوند خان " يأمره بالحيلة في هروب سليمان باشا ، فزور كتابا بخط الفرنج ، مدعند كبيرهم " ورن دور " الذي في كوه الى كبير الفرنج في الديو ، فيه : أنا قد جمعنا الجموع ، وتهيأنا في ثلاثمائة غراب ، وخمسين برشة ، وأشاع " خنداوند خان " أنه أمسك قاصد الفرنج ، وأخذ كتبهم ، فأرسل سليمان باشا اليه يتحقق منه

هذا الخبر ، فأرسل اليه المكتوب الذي اصطنعه ، وقال : قد صح عندنا
من طريق البرصة ذلك أيضا ، وكان سليمان باشا خوافا ، ففرقت
عساكره ، وترك المدافع الكبار لخدائند خان وعاد الى اليمن^(١) .

(١) قطب الدين محمد بن احمد النهروالى : المصدر السابق /

ب- أهمية هرمز ، جهاد الرئيس حميد وعرب هرمز ، سقوطها في أيدي البرتغاليين :
.....

تقع جزيرة هرمز بين عدد من الجزر الأصغر حجما عند مدخل الخليج العربي بالقرب من الساحل الفارسي ، وترجع أهمية هرمز الى موقعها الاستراتيجي الهام ، الذي ساعد ها على التحكم في تجارة الخليج ، وتعتبر مملكة هرمز من أغرب الممالك التي ظهرت في التاريخ واستمرت لمدة قرنين من الزمان ، فقد تمكنت من أن تعد نفوذها الى مناطق عديدة على الساحلين العربي والفارسي القريبين منها بفضل ثروتها الكبيرة نتيجة اشتغالها بالتجارة .
(١)

٦٥٢ هـ / ١١٣ هـ

وكانت هرمز في الفترة من ١٣٣٠م حتى ١٥٠٢م تحت حكم ملوك كانوا في أغلب الأحيان لا يحكمون ، اذ تجسدت السلطة في أيدي وزراءهم ، وكانت هرمز تدبر الساحلين على خليج عمان وامتدت سلطتها حتى شملت عدة جزر كالبحرين مثلا وكانت ذات ثراء عريض بما تأخذه من الضرائب والجمارك والاتاوات في المنطقة المجاورة كما كانت تفرض الضرائب على السفن والقوارب البحرية التي تعمل في صيد اللؤلؤ .
(٢)

(١) السيد مصطفى سالم : المرجع السابق / ص ٤٨ .

(٢) عبد العزيز عبد الغني ابراهيم : المرجع السابق /

وزاد في أهمية هرمز أنها كانت لها دور كبير حيث أنها تعتبر مركزا تلتقى عنده طرق القوافل المحملة بالمتاجر من السند وسط فارس وسائر مدن مقاطعة كرمان ، وزاد في نشاط هرمز التجاري أن كثيرا من سلع مقاطعة فارس كانت تأتي إليها عن طريق القوافل ، ولتصدر عن طريق السفن المارة بهذه المركز التجاري الهام ، ويصف ابن حوقل هرمز قائلا : وهرمز مجمع تجارة كرمان وهي فرضة البحر وموضع السوق وليس بها كثير ساكن وانما ساكن التجار في رساتيقها متفرقين في القرى " ، وكان السبب في ذلك شدة الحر على الساحل ، وتفضيل الأهالي بناء مساكنهم في المناطق الخلفية ، ولم تقلل شدة الحرارة من أهمية هرمز لأن السفن التجارية الهابطة من الخليج أو الصاعدة فيه وجدت في خيراتها الزراعية ومناجرها ما يزيد من نشاطها ويلبي حاجاتها من المؤن اللازمة^(١).

وتعتبر هرمز على مستوى عال من الرفاهية بالرغم من أن أهلها كانوا يحضرون جميع حاجاتهم الأساسية من خارج الجزيرة ، ويرجع ذلك لازدهار إلى أن دائرة النشاط التجاري اتسعت في نهاية العصور الوسطى فلم تصبح

(١) سليمان العسكري : التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر

قاصرة على نقل التجارة من الهند وشرق أفريقيا الى قلب العالم الاسلامي ، بل أصبحت هرمز تمثل حلقة هامة في نقل التجارة العالمية بين الشرق والغرب حينما دخلت البندقية الى هذا الميدان ، فبعد سقوط بيزنطة استولت هذه الجمهورية الايطالية على اليونان وأصبح تجارها يترددون بانتظام على موانئ الشام ، وازداد الطلب على منتجات الشرق الأقصى فاستفادت من ذلك هرمز^(١) .

وتعتبر هرمز الميناء البحري للتجارة المحلية الخاصة بكرمان وسيستان ولكن لم يكن لها أهمية في التجارة العالمية وذلك قبل القرن العاشر ، ويصف الادريسي والأصطخري والمقدسي هرمز على أنها السوق الرئيسية لكerman ، أما المنتجات الزراعية التي كانت البلاد تشتهر بها فهي النبيذ والحنطة والشعير والأرز ، ومن المنتجات المعدنية كان هناك الذهب والفضة والحديد والزئبق الأحمر "السلقون" والملح ، وكانت خيولها تصدر الى الهند ، وظل هذا الحال حتى القرن الخامس عشر ، ويشير ماركو بولو الى هرمز فيصفها بأنها : "مدينة

(١) صلاح العقاد : المرجع السابق - سابق / ،

عظيمة ونبيلة على البحر ، وقد اندفع التتار نحو مملكة كرمان ومن ثم
الى هرمز وقد أغرتهم الثروة التي وجدوها ليأتوا مرارا حتى أن السكان
لم يعد بمقدورهم أن يتحملوا الضغط فتركوا البر الأصلي وذهبوا الى
جزيرة بروكت التي تدعى بالبرتغالية كويكروم ، وقد أصبح أباز - الملك
الخامس عشر في هرمز القديمة - أول ملك لهرمز الجديدة وكان الاسم
الأصلي للجزيرة هو جيرون وقد غيّر أباز الى هرمز تذكارا لبلادهم
الأصلية ، وأصبحت هرمز عاصمة لامبراطورية اشتملت على جانب كبير
من شبه جزيرة العرب من ناحية ، وعلى فارس من ناحية أخرى وكان
الناس من جميع أنحاء المعمورة يفدون اليها يتبادلون السلع ويعقدون
الصفقات التجارية ، وظلت هرمز لمئتي عام تتمتع بدرجة عالية من
الرخاء وأمتدت سلطتها على طول جانب الخليج حتى البصرة ، وهكذا
عمرت حتى سيطر عليها البرتغاليين حيث بدأت في التدهور بسبب
سياسة القمع والعنف التي اتبعها البرتغاليين الذين لم يبالوا بما
فعلوا وكأنما كانوا يصلحون^(١) .

كان البرتغاليون أسبق الأوربيين صلة بمنطقة الخليج ، فقد

(١) السير أرنولد ويلسون : المرجع السابق / ، ص ١٨٢ .

وفدوا اليه عقب انتصارات الفرنجة ضد المسلمين في الأندلس ، وقد
بدأت صلاتهم بهذه المنطقة عقب نجاح رحلة فاسكو دى جاما التى بدأت
سنة ١٤٩٧م وطاف بها حول رأس الرجاء الصالح فكشف طريقا الى الهند
والشرق الأقصى دون المرور بالبحر الأبيض والبحر الأحمر^(١).

وبعد أن اكتشف البرتغاليون رأس الرجاء الصالح ، وعرفوا طريق
الهند ، أخذوا يتطلعون الى منطقة الخليج العربى ، وفى عام ٩١٢هـ - ١٥٠٧م
هاجم الأسطول البرتغالى بقيادة الفونسو البوكيرك جزيرة هرمز الواقعة
فى مضيق هرمز واحتلها لأن العرب فى الماضى كانوا يتبادلوا التجارة^(٢)
مع فارس عن طريق منطقة الخليج ومع مصر عن طريق البحر الأحمر ،
لذلك أراد البوكيرك أن يضع حدا لتلك التجارة حتى تحتكر السفن
البرتغالية نقل السلع عن طريق رأس الرجاء الصالح ، وتنفيذا لتلك
الخطة استولى على هرمز الواقعة عند مدخل الخليج^(٣).

(١) احمد شلبى : المرجع السابق ، الجزء

السابع ، ص ٦٢١ .

(٢) ابراهيم الشريقى : المرجع السابق ، ص ١٧

(٣) احمد محمود المعمرى : المرجع السابق ، ص ٥٨ .

وخطط البوكيرك للقضاء على مملكة هرمز وذلك بالاستيلاء على جميع الموانئ التابعة لها ، وبعد أن وصل إلى مدينة قلهاة يوم واحد ، أرسل البوكيرك إلى الحاكم وفدا من قبله يطلب تسليم المدينة دون قيد أو شرط ، ونقل تهيتها لملك البرتغال ، ووافق الحاكم الفارسي خوفا من تدبير المدينة وعقد معه الصلح ، ورغم الصلح الذي عقد ، البوكيرك مع حاكم قلهاة ، إلا أن المدينة لم تسلم من التدمير والنهب .^(١)

وكان البوكيرك مقتنعا بأن إنشاء الحصون في المواقع الاستراتيجية الهامة شيء ضروري للمركز التجاري ، وفي نفس الوقت تكون بمثابة قواعد بحرية للانطلاق منها ، وكان يرى بأن الاستيلاء على ملقا وهرمز ستكون بمثابة المراكز الأساسية للسيطرة البرتغالية التي وصفها بأنها مفتاح العالم الشرقي وثروته .^(٢)

(١) نوال حمزه صيرفي : المرجع السابق /

، ص ١١٩ .

(٢) غسان علي رمال : المرجع السابق /

، ص ١٩٢ .

واضطرت هرمز أن تواجه بنفسها واعتماداً على قواتها العدوان الصليبي البرتغالي ، وكانت القوة غير متكافئة منذ البداية ، فقد كان البوكيرك الأميرال البرتغالي ، قرر تقليص أظافر هرمز فبدأ بالسيطرة على سقطرة عام ١٥٠٦م ، ثم دمر الموانئ الساحلية التابعة لهرمزوز على الخليج العربي وخاصة سقط ، حيث قصفها بالدافع ، ثم أنزل جنود ، إلى البر فهاجموا على المدينة ود مروها بعد مقاومة عنيفة من سكانها ، وبعد أن نهب الجنود مدينة سقط وأحرقوها وشلوا بأهلها شر تمثيل ، وأحرقوا مسجد ها وجميع السفن الراسية بمينائها .

وقد تجلت الروح الصليبية أثناء هجوم البرتغاليين على سقط ، وكانت مشيخة تابعة لملكة هرمز ، وفيها لقي البوكيرك مقاومة عنيفة ، فحرق المدينة بجانبيها ، أما الأسرى من الرجال والنساء ، فأقطع أنوفهم وآذاتهم واستمر في التخريب والنهب .

-
- (١) عبدالعزيز نوار: التاريخ الحديث ، الشعوب الإسلامية ، ص ١٣٢ .
 (٢) خالد العزى : المرجع السابق / ، ص ٢٦ .
 (٣) السيد رجب حراز : محاضرات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ٨ .
 (٤) محمد كمال الدسوقي : المرجع السابق / ، ص ٤١٣ .

وبعد أن تمكن البوكيرك من احراق سقط ومسجد عا أبحر
الأسطول البرتغالي بعد ذلك الى القلعة الجبارة ولكنها كانت تفتقر
الى حامية من الجند ، وتمكن من تدميرها ثم دار بأسطوله حول رأس
مسند ام عاذا الى هرمز فطلب البوكيرك من حاكمها أن يكون مواليا
للتاج البرتغالي فرفض وهنا دارت رحى حرب كان الغلبة فيها للبرتغاليين
وأصبحت المدينة مرتبطة بالتاج البرتغالي تؤدي له الغرامة فضلا عن
اعفاء البضائع البرتغالية من كل ضريبة ، وبذا غدت قاعدة الاستعمار
البرتغالي هرمز القريبة من الجزيرة العربية والدانية من التربة الفارسية
والمطلية على باب الخليج والتي هي لموقعها الممتاز هذا من الأهمية
بمكان بالنسبة للتجارة العالمية حتى أن هناك من شائعا يقول : اذا كان
العالم ^(١) تقاطعا ذهبيا فهرمز جوهرة النفيسة لأنها من أكثر الممرات
المائية أهمية في عالم اليوم ، وترجع هذه الأهمية الى أنه يلعب دور
" الصمام الرئيسي " الذي يتحكم في حركة تدفق البترول في منطقة
الخليج ، ولذا فان مضيق هرمز يتمتع بأهمية استراتيجية بالغة الدقة
والحساسية ، ومن هنا فقد أطلق البعض على " هرمز " اسم " الوريد

(١) قدرى قلعجى : المرجع السابق/، ص ٣٦٥ .

الوداجي " للغرب Jugulor vein نظرا لأهميته البالغة للغرب (١)

أخذ جند البرتغال " هرموز " ويقوا هنالك ، وصارت الامدادات
تترادف عليهم من البرتغال ، فصاروا يقطعون الطريق على المسلمين أسرا
ونهباً ، ويأخذون كل سفينة غصبا ، الى أن كثر ضررهم على المسلمين ، وعم
إذا هم على المسافرين (٢)

٩١٣ هـ

وفي يوم ١٥ أغسطس ١٥٠٨ م أبحر البوكيرك من سقطرة عائداً إلى
هرمز ، وأثناء عودته هاجم قلهات ، وأخضعها انتقاماً من أهلها للمساعدات
التي قد موها لحاكم هرمز ، ولنقضهم للاتفاقية التي وقعوها معه أثناء الحرب ،
وبعد رسو الأسطول في قلهات أوفد البوكيرك ابن أخيه نورشها في أحد
القوارب لاستطلاع الحالة في المدينة ، وصادف أن التقى هذا المبعوث
برسول كان قد أرسله حاكم المدينة مع هدايا لتقديمها إلى القائد البرتغالي
، فعاد نورشها مع الرسول إلى سفينة القيادة وقد أخذ البوكيرك في استجواب
الرسول ، فسأله عن اسم الحاكم وعن حجم القوات التي تحت تصرفه ، وبعد

(١) محمود توفيق محمود : المرجع السابق ص ٢٤

(٢) قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي : المصنف السابق /

أن حصل على المعلومات التي أرادها ، عاد البوكيرك فأوفد نوريها مرة
أخرى الى الحاكم في مهمة ^(١) ، وذلك للاستيلاء على الطرق البرية والبحرية
القديمة لتصبح جميع المنافذ التجارية في أيديهم ، فاستولوا على خليج
عمان ، ودمر مدينة عدن وعقد محالفة مع الأحباش ضد مصر .

ومن الظروف التي ساعدت ناصر بن مرشد في نضاله ضد البرتغاليين
الاتجاه الديني ، فقد ظهر التعصب الصليبي في تصرفات البرتغاليين وهذا
دفع المسلمين للتجمع والحماسة فيما يمكن أن يسميه " الجهاد " ضد هذا
الزحف الصليبي ^(٢) .

وكانت الأوامر المعطاة للبوكيرك تقتضى بأن يقوم بتدمير مدينة هرمز ،
وأن يعمل كل ما في وسعه لاعتراض وعرقلة النشاط الملاحي العربي المتجه
الى الشرق عبر الاسكندرية والبصرة ، وذلك قبل أن يبدأ بالهجوم العسكى
على المنطقة نفسها ، وأيضا ضد رت للبوكيرك تعليمات تقتضى بالاستيلاء على
ميناء عدن واعتراض السفن العاملة في البحر الأحمر ، غير أن البوكيرك كان
لا يجهل بأن الأسطول الذي تحت تصرفه لا يسمع له بالاستيلاء على قلعة

(١) ص ١٠٦ ب : مايلز : المرجع السابق / ، ص ١٠٦

(٢) احمد شلبي : المرجع السابق / ، الجزء

السابع ، ص ٣١٩ .

عدن الحصينة ، ولهذا فقد أثرباً أن يخرج على الأوامر التي صدرت
إليه ، فيبحر إلى شرق شبه الجزيرة مباشرة ، لأنه بعد أن يتمكن من
احتلال قلعات ومسقط اللتين كانتا بالإضافة إلى هرمز أهم أسواق الخليج
ومناطقه الحرة في ذلك الوقت ، حيث كان النشاط التجاري كله يتركز فيها
بقبل أن ينتقل إلى موانئ شط العرب ، وبالتالي فلقد قرر البوكسيرك
جعل هرمز محطة للتجارة البرتغالية دون غيرها ، لأنها كانت على رأس^(١)
الخليج العربي وميناء التجارة الشرقية للطريق البري إلى سوريا ، وبعد
استيلاء البرتغال عليها أقفل هذا الطريق وتمكنوا من وضع أيديهم على
مضائق اللؤلؤ في الخليج العربي ، وعلى تجارة الخيول العربية والفارسية
التي كانت ترسل من هرمز إلى بلاد الهند .^(٢)

٩٢١ هـ

وانطلق البوكسيرك في فبراير عام ١٥١٥ م من جوا على رأس حملة كبرى
نحو البحر الأحمر ، غير أن أحداث الخليج العربي خاصة في هرمز جعلته
يتوجه رأساً إليها عندما نقض حاكمها خوجة عطار دفع الجزية المقررة عليه
للبرتغاليين ، فحضر البوكسيرك خصاره على هرمز وحاول الوصي الشرعي

(١) س . ب . مايلز : المرجع السابق / ، ص ١٥١ .

(٢) عبد الله حامد الحبيد : المرجع السابق / ، ص ١٦٦ .

خوجة عطار اللجوء الى المفاوضات خوفا من تدمير المدينة ، وما أن بدأت
تلك المفاوضات بين الطرفين حتى تجلت صورة أخرى من صور الحقد الصليبي
ضد المسلمين ، عند ما فاجأ البوكيرك خوجة عطار بطعنة أردته قتيلا ،
وايزاء ذلك لم يجد حاكم الجزيرة سيف الدين مفرا من الخضوع للبرتغاليين
الذين فرضوا عليه قبول الحامية البرتغالية مع السماح لهم بإنشاء قلعة
الجزيرة ، وأخيرا دفع الجزية السنوية المقررة ، ونزل ابن أخ البوكيرك ^(١) *Pero*
كأول حاكم برتغالي في هرمز ، بأسطول برتغالي يقل ١٥٠٠ برتغالي و ٦٠٠
مالابارى و ٣٠٠ عبد ، ويقال ان حاكم هرمز كان في ذلك الوقت مواطنا من
ايران وصل الى الحكم بعد أن قتل سلفه الحاكم ، وكان مهددا بنفسه المصير
على يد أبناء اخوته ، وكانت الجزيرة في حالة من الثورة والاضطراب بحيث لم
تتطلب استعادتها أى عمل بحرى أو عسكرى وفي أول ابريل كانت القسرات
البرتغالية قد أعادت احتلال الجزيرة . ^(٢)

٩٢٢ هـ

وظهرت هرمز على خرائط الأوربيين في عام ١٥١٦ م بل انها ظهرت

(١) غسان على رمال : المرجع السابق /

ص ٢٠٩

(٢) ج . ج . لوريمر : المرجع السابق / ص

قبل ذلك في منتصف القرن الخامس عشر في خريطة فرامورو Framauero

السماة Arabic de framauro وعند ما هاجمها البوكيرك وكان على
عرشها ملك طفل يدفع الجزية لشاه فارس ، فأذن للفاتحين الجدد وتعهدهم
بدفع الجزية اليهم ، وبذلك أتم البوكيرك تنفيذ سياسته بإغلاق الخليج الفارسي
(١)
والسيطرة على مدخله .

ابتدأت المقاومة ضد البرتغاليين بعد أن أرسلت المعلومات من هرمز
٩٢٧ هـ
إلى جميع المراكز الأخرى على الساحل الغربي وحدث يوم ٣٠ نوفمبر ١٥٢١ م وفي
الموعد المحدد قام شيخ هرمز شاه بندر بالخطوة الأولى ، فأمر بحرق المراكب
البرتغالية في الميناء ، وتم قتل الحامية البرتغالية القائمة في الجزيرة ليلاً ،
وقامت بقية المراكز التجارية العربية في الخليج بتنفيذ المهمة المتفق عليها فهاجموا
البرتغاليين ، وأسروا كثيرين منهم ، ما عدا حاكم مسقط الشيخ راشد الذي كان
على خلاف مع شيخ هرمز ، فأعلن خضوعه للبرتغاليين ولم ينفذ المهمة ، وأعطى
هذا الفرصة للبرتغاليين لطلب النجدة من الهند ، ووصلت النجدة الأولى بقيادة
١٥٢٣ م
دوم جونزالو الذي عزز علاقات البرتغاليين مع حاكم مسقط وفي عام ٩٢٩ هـ الموافق

(١) محمد البحراوى : المرجع السابق /

٩٢٨ هـ

١٥٢٢ م وصلت النجدة الثانية للبرتغاليين بقيادة دوم لويز دي منزيس

الذي تمكن من الخضاع مسقط ثم توجه الى صحار ود مرها ثم اتجه الى

(١)

هرمز *

٩٢٨ هـ

وفي عام ١٥٢٢ م ، أدى تعيين موظفين ببرتغاليين للمراكز الجمركية

في هرمز والبحرين ، الى اثاره سخط الأهالي مما أغرى شيخ هرمز على تنظيم

هجوم برى وبحرى في وقت واحد على سائر تلك المواقع ظاناً بأن الفرصة قد

واتته لخلع نير البرتغاليين ، وقد خسر البرتغاليون ارواحاً كثيرة لأن هذا

الهجوم الموحد كان مفاجأة لهم ، وعاد شيخ هرمز نفسه بعد أن أشعل

النار في المدينة الى قشم ، لكن بعض رجاله قتلوه هناك ، وسرعان ما وصل

أسطول برتغالي من الهند يقوده دي بنيزيس فدمر صحار تد ميرو تاما ، ثم

تقدم الى هرمز التي كان يحكمها عندئذ كوتنهو فاستعادها مرة أخرى ،
٩٢٩ هـ

وأبرمت معاهدة في ميناب في ٢٣ يوليو سنة ١٥٢٣ م فرضها القائد البرتغالي

على شيخ هرمز الجديد ، وبموجبها لم تصبح هرمز تحت حماية البرتغاليين

(٢)

فحسب ، ولكنها بائت تخضع لاشراف د قيق منهم *

(١) نوال حمزه صيرفي : المرجع السابق /

/ ص ١٤١ .

(٢) ج . ج . لوريير : المرجع السابق /

ص ١٥ .

٩٣٢هـ

وفى عام ١٥٢٦ نشبت ثورة على الساحل العماني الذي كان يعتبر حتى ذلك الوقت خاضعا لهرمز ، فقد ضاق الأهالي ذرعا بما كانوا يعانونه من ظلم وتسلط على يد ديجو دى ميلو قائم الحملة البرتغالية في هرمز ومن الملك نفسه ورئيس وزرائه الرئيس شريف ، فأعلنوا استقلالهم عن البرتغال ، وناشدوا كلا من حاكمي مسقط وقلعات أن يشتركا معهم في رفع لواء الثورة .

٩٣٢هـ

وفى ٢١ فبراير ١٥٢٦م وصلت أنباء ذلك التمرد الى النائب العام

الاقليمي للبرتغال ويدعى لويز هنريك دى منزيس .

٩٣٣هـ

وفى مايو ١٥٢٧م صدرت الأوامر الى قائد سامباتو بالتحرك فورا بخمس سفن لفرض الطاعة والنظام على المناطق المتمردة ، وأنتهز القائــد البرتغالي فرصة وجوده في عمان فقام بتعزيز الحامية البرتغالية وانشاء عدد (١) من الثكنات تعرف باسم الجزيرة .

(٢)

وقد استطاع العرب أن يواصلوا صراعهم ضدها دون انقطاع .

(١) م.ب. مايلز : المرجع السابق / ص ١٦٨ .

(٢) احمد شلبي : المرجع السابق /

الجزء السابع ، ص ٢٢٢ .

وهكذا كان تحكم البرتغاليين في هرمز معناه تحكمهم في مدخل
الخليج العربي ومقدمة لبسط سيطرتهم على الخليج مما دفع
العثمانيين لفكرة بناء الجناح الشرقي لحزام الأمن .

كانت البصرة بحكم موقعها على شط العرب الذي ينتهي الى الخليج العربي ، أكثر مدن العراق اتصالا بالصراع الدولي الدائر على النفوذ في الخليج ، وكان البرتغاليون قد وجهوا نشاطهم التجاري وحماهم للتنصير واقامة وكالة تجارية في اتجاه البصرة ، وكان الوضع في البصرة مهترأ يتعرض لضغط القبائل العربية والعشائر البدوية ومحاولات فارس للاستيلاء عليها ، وكانت تعقد في البصرة صفقات تجارية في السلع الواردة من الهند وفارس ، وكانت السلع تحمل في نهر دجلة الى بغداد ومنها كانت القوافل تحملها الى حلب وفي أحيان أخرى كانت القوافل تعبر البادية رأساً من البصرة الى حلب مارة بالنجف ، وأعطت المنازعات بين القوى المحلية الحاكمة في جنوب العراق فرصاً واسعة للأسطول البرتغالي للعمل في مياه البصرة سواء برضا الحكام أو رغماً عنهم ، فقد شب نزاع بين راشد بن مغاس بن صقر بن محمد ابن فضل سلطان البصرة والأحساء والقطيف وصاحب البصرة وأمير الحويصرة ، وناشد راشد بن مغاس البرتغاليين اعانته ضد خصمه ، مقابل أن يسمح

(١) عبد العزيز الشناوي : المرجع السابق /

ص ١٣٨ .

(٢) ابو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري : أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء ،

القسم الأول ، ص ٢٤٠ .

لهم بيناء حصن في ميناء " البصرة " وقد رحب البرتغاليون بهذه الفرصة لمواجهة أى نفوذ عثمانى قد يبرز في شمال الخليج العربى حتى لا يهدد نفوذهم في كل الخليج ، لذلك قام البرتغاليون في الهند بإرسال حملة بحرية كبيرة الى الخليج تتكون من تسع عشرة سفينة ومن ألف ومائتى جندي ، فهاجمت قلعة القطيف بالدافع وضربتها ، ثم هاجمت البصرة ولكنها لم تنجح هناك كما نجحت في القطيف ^(١) ، ولكن سرعان ما شب النزاع بين البرتغاليين وراشد بن مغمس وانقضت القطع البحرية البرتغالية على البصرة ، ومن الأسباب الظاهرية لهذا النزاع امتناع راشد بن مغمس عن تسليم سفن كانت راسية هناك وأغلب الظن أن السبب الرئيسى في تحول التناهم الى اشتباك على هذا النحو يرجع الى أن التحالف كان قائما على أساس المصلحة الذاتية فحسب بسبب اختلال الأهداف والمشارب اختلانا جوهريا بين شيخ عرس عشائرى مسلم وقائد أسطول برتغالى صليبي ^(٢) ، وتعتبر هذه أول حملة برتغالية الى البصرة ، مما جعل القائد البرتغالى يدمر

(١) السيد مصطفى سالم : المرجع السابق / ص ٤٠٧ .

(٢) عبدالعزيز نسوار : المرجع السابق / ص ١٣٨ .

(١)

بعض القرى التابعة للبصرة وعاد أد راجه الى هرمز .

وبعد آل وضعت هرموز تحت الحكم المباشر البرتغالي ، كان طبيعيا

أن يتطلع هؤلاء الغزاة الى السيطرة على البصرة ، وكانت الظروف فـسـى

جنوب العراق مضطربة فقد كان هناك نزاع شديد بين راشد بن مغماس

(٢)

وأبـير الحويـزة .

وقد أرسل الأمير مانع بن مغماس ولد صاحب البصرة الى السلطان

سليمان القانوني الخيول الطريفة والرماح الخطية واللالى والمرجان ومفاتيح

(٣)

بلاد ، فتقبلها السلطان ، ثم نصب أمير البصرة حاكما على بلد ، ، على

(٤)

أن يكون تابعا للوالى سليمان باشا .

ولما رأى براك بن غرير اشتغال الدولة بالحروب ، المضطربة عليها

من كل جهة ، وكان آل شبيب من أقوى بواى الأحساء فى ذلك الحين ،

(١) نوال حمزه صيرفى : المرجع السابق /

، ص ١٣٢ .

السيد مصطفى سالم : المرجع السابق / ، ص ١١٣ .

(٢) عبد العزيز نوار : تاريخ العرب الحديث ، ص ٢٠ .

(٣) ابو محمد مصطفى بن السيد حسن بن السيد سنان الهاشمى الشهير

بالجنابى : علم الزاخر فى علم الأوائى والأواخر ، ص ٣٥٨ .

محمد بن خليفة بن حمد بن موسى النبهانى : المرجع السابق /

، الجزء التاسع ، ص ٢٦٦ .

(٤) محمد بن عبد الله آل عبد القادر الاحساءى : تحفة المستفيد فى تاريخ الاحساء

فى القديم والجديد ، الجزء الاول ، ص ١٢١ .

فشق عليهم استيلاء بنى خالد ، واستبدادهم بالملك ، فتجهز رئيسهم
راشد بن مغاس في قومه ، لغزو براك وجماعته في الأحساء فخرج براك
لمحاربتهم ، ووقع بينهم قتال شديد ، وقتل راشد بن مغاس ، وكثير من
قومه ، وأنهزم الباقون إلى العراق .
(١)

وقام البرتغاليون بحملة ضد البصرة فجهزوا أسطولا تحت قيادة
أنطونيو نورنبا حيث أبحر متوجها إلى البصرة ، وعند مروره بالقطيف قام
بأعمال انتقامية ، إذ عمد إلى هدم حصون القطيف وقلاعها حيث ساوى
بها الأرض ، ثم أقلع منها متوجها إلى البصرة ، وعلى اثر وصوله إليها
أقنعه واليها الباشا بالرجوع ، فعاد أدراجها إلى جزيرة هرمز يجرأذيال
(٢)
الخيبة والفشل .

والى الجنوب من البصرة كانت الأحساء حيث كانت هي والقطيف
(٣)
تتبعان البحرين في الحكم .

(١) محمد بن عبد الله آل عبد القادر الأنصاري : المرجع السابق /
، الجزء الأول ص ١٢٣ .

(٢) محمد سعيد السلم : المرجع السابق /
، ص ١٧٢ .

(٣) نوال حمزة صيرفي : المرجع السابق /
، ص ١٣٠ .

وهاجم البرتغاليون البحرين ، واستولوا عليها ، وبذلك سيطروا

على الضفة الغربية من الخليج باستثناء الأحساء التي لم يتمكنوا من الدخول

(١)

اليها .

د - كفاح مقرن بن زامل في الأحساء :

وكانت البحرين تسمى أوّال وفيها ثلاثمائة وستون قرية وفيها الماء

الحالي من جملة جوانبها ، وأعجب ما فيها مكان يقال له القصاير ينحصر

الإنسان في البحر المالح بالقرية ، ويملاها من الماء الحلو ، وهو غرقان

في الماء المالح وحواليها معادن اللؤلؤ ، وعدة جزر كلها معادن

اللؤلؤ ويأوى عليها قريب ألف مركب ، وفيها جملة قبائل من العرب ،

وجملة تجار وفيها جملة من النخيل المشترات اللواتي تضرب بها الأوصاف

(٢)

والخيل والابل والبقر والأغنام وفيها عيون جارية ورومان وتين .

وهي في غنية العمارة وهي في تاريخ الكتاب لأجود بن زامل بن

حصين العامري أعطاء لها هي والقطيف السلطان سرغل ابن نور شاه

على أن يقوم بنصرته على أخوته ، ويملكه جزيرة جرون " هرموز " وكتب بها

عليها حجج وأستثمر بعض بساتينها ففعل له ذلك وقام بنصرته وملكه جرون

(١) إبراهيم الشريقي : المرجع السابق / ص ١٢ .

(٢) أحمد بن ماجد : المصدر السابق .

(١)
وأخذ البحرين والقطيف .

ومما يذكر أن آخر حاكم من سلالة مروان من بني مالك بن عامر أصدر
(٢)
أمره بالقبض على سيف بن زامل العقيلي الجبيري لينفذ فيه حكم الإعدام ،
وهو نسبة لجده له اسمه جبر ، ولذا يقال له ولطائفه بنو جبر النجدي
الأصل المالكى وكان الظفر لسيف حيث قتله وانتزع البلاد المشار اليها
وملكها وسار فيها بالعدل فدان له أهلها ، وقد اتسعت مملكته بحيث ملك
(٣)
البحرين وعمان .

وفى عهد أجود بن زامل توحدت بلاد البحرين وانضمت اليها
عمان ، وأصبح سيد الخليج بلا منازع ، كما بسط نفوذه على مملكة هرمز وعلى
(٤)
ربوع نجد .

(١) أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري : المرجع السابق /

، القسم الأول ، ص ٢٠٨ .

(٢) محمد سعيد المسلم : المرجع السابق /

، ص ١٦٨ .

(٣) أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري : المرجع السابق /

القسم الأول ص

(٤) محمد سعيد المسلم : المرجع السابق /

، ص ١٦٨ .

ومن آثاره رسوم قصر بالقرب من قرية المنيزلة ، يسمى قصر أجسود
ابن زامل ، ولم تقف على تاريخ وفاته ، وذكروا أن له ثلاثة من الولد ،
منهم مقرن ثم وقع شقاق بين الأخوة أدى بهم إلى التفرق والضعف وزوال
الملك حتى طمع في ملكهم الأغهاء ، مثل البرتغاليين الذين زحفوا على
شواطئ منطقة الأحساء وقتلوا حاكمها مقرن بن زامل وأستولوا على
البلاد . (٢)

وكان مقرن أميراً جليلاً القدر مالمكي المذهب سيد عربان الشرق ،
وكان أتى إلى مكة وحج وكان يجلب إلى مكة اللؤلؤ والمعادن الفاخرة من
المسك والعنبر والعود والحرير الملون وغير ذلك من الأشياء التحفة .
وكما فعل راشد بن مغامس من اتصاله بالدولة العثمانية وتعاونيه
مع العثمانيين ضد النفوذ البرتغالي في الخليج ، نفذ مقرن ابن زامل
مثل ذلك وأقام علاقات ودية بالدولة العثمانية وانضم تحت لواء الدولة

(١) أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهرة : المرجع السابق /

القسم الأول ، ص ٢٠٩ .

(٢) محمد سعيد المسلم : المرجع السابق /

، ص ١٢٠ .

وبذلك دخلت الأحصاء ضمن ممتلكات الدولة ومن ثم صارت قريبا من الجناح

الشرقي لحزام الأمن العثماني حول الحرمين الشريفين .

قيل أنه لما دخل إلى مكة والمدينة تصدق على أهل مكة والمدينة

بنحو خمسين ألف دينار فلما رجع إلى بلاده لاقته الفرنج في الطريق

وتحاربت معه فانكسر الأمير مقرن وقبضوا عليه باليد وأسروه فسألهم بأن

يشترى نفسه منهم بألف دينار فأبى الفرنج ذلك وقتلوه بين أيديهم وملكوا

جزيرة البحرين وملكوا قلعتها التي هناك وأستولوا على ما كان فيها من

(١)

أموال الأمير مقرن

(١) أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري: المرجع السابق /

هـ — موقف الصفويين الشيعة في ايران ، والمغول المسلمين في الهند :

~~~~~  
واجه المشرق العربي في مطلع القرن السادس عشر الميلادى خطرا

مزدوجا في الضغط الصفوى الفارسى من جهة ، والذي حاول جاهدا

أن ينشر المذهب الشيعى ، تأسيسا على أن نشر هذا المذهب يجرى

في أعقابيه بسط السيطرة السياسية ، ثم الضغط البرتغالى من جهته

أخرى ، والذي احتكر الجانب الأكبر من التجارة الشرقية ، فضلا عن ذلك

، فان الشاه اسماعيل كان على اتصال دائم بالأوربيين وخاصة البرتغاليين

(١)

وذلك للتحالف معهم ، حيث يعتبر الشاه اسماعيل الصفوى ، المؤسس

الثانى لدولة ايران ، وهو من نسل الشيخ اسحاق صفى الدين العلوى

فنسب اليه ، ومولده بلدة " أردبيل " في أذربيجان الشرقية وفيها نشر

تعاليم الصوفية وذاع صيته ، وقوى نفوذ أسرته ، وقد قتل والده في الصراع

الذى وقع بينه وبين تلك الجهات وكان اسماعيل قد قوى نفوذه في نواحي

" أذربيجان " وتمت له فيما بعد السيطرة على فارس ، وخراسان ، والجزيرة

، وأصبح خطرا على الأتراك لتغالى شيعته في معتقد هم وأعمالهم الوحشية

في سبيل نصرته مذهبهم المعادى لمذهب المسنيين ، حتى ان اسماعيل

---

(١) السيد رجب حراز : محاضرات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر ،

قد رى " خنزيرا " وسماء " بايزيد " اغاظة في العثمانيين وسلطانهم ، الذي<sup>(١)</sup>  
بدأ منذ أوائل حكمه ميولا واضحا للتعاون مع القوى الأوربية الاستعمارية—  
" البرتغال " ضد الدولة العثمانية ، في الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية  
تحارب ضد القوى الأوربية ، وتعين الماليك على بناء أسطول محيطى لقتال  
البرتغاليين في المياه الجنوبية .<sup>(٢)</sup>

وبدلا من أن يسمى الشاه اسماعيل الى توحيد القوى الاسلامية فى  
المشرق الاسلامى ، أو ايجاد علاقات حسنة مع العثمانيين الذين كانوا فى  
جهاد مستمر ضد الأوربيين ، فقد سعى الى العكس من ذلك بمحاولة اتفائه  
مع سلطان الماليك فى مصر ضد الدولة العثمانية ، وفعلا أضحت بينهما  
" مصافاة ومحبة فلأجل ذلك أرسل الغورى الى جهات حلب بمنع القوافل عن  
الذهاب الى عسكر السلطان سليم " .

كما أرسل الشاه اسماعيل الى صروفدا يطلب الى سلطانها أن يتحالف  
معه بغية إيقاف توسع العثمانيين ويبين له أنه ان لم يتفق معه فسيحارب

---

(١) سلسلة التاريخ الاسلامى : القسم الثالث .

(٢) عبد العزيز نوار : مصر والعراق دراسة فى تاريخ العلاقات بينهما حتى

نشوب الحرب العالمية الأولى ، ص ٥٦ .

العثمانيون كلا منهما على حدة وبذلك يسهل عليهم قهر الطرفين وأخذ  
أملاكهما .

وفى فارس اضطهد الشاه اسماعيل المذهب السنى ، وقتل كثيرا  
من علمائه ، وفى ذلك يقول قطب الدين الحنفى أنه " قتل زيادة على  
ألف ألف نفس ليس فى الجاهلية ولا فى الاسلام ولا قبل ولا بعد من قتل  
مثله وقتل أعظم العلماء ولم يبق منهم أحدا فى بلاد المعجم وأحرق  
(١)  
كتبهم ومباحثهم " .

ولقد كان للدولة الصفوية منذ أن قامت فى إيران أهداف معينة  
تعمل على بلوغها وأخصها نشر مذهب الشيعة لا فى إيران وحدها إنما  
فى العالم الاسلامى أجمع وقد صرفتها هذه الأهداف عن الاهتمام  
بحركات البرتغاليين فى البحار الشرقية منذ بدأت بل لقد كان من شأنها  
(٢)  
عرقلة الجهود التى بذلها العثمانيون فى تلك الأنحاء .

---

(١) محمد البحر اوى : المرجع السابق /

، ص ١١١ .

(٢) محمد بديع شريف وآخرين : المرجع السابق /

، ص ٢٢٦ .

ولقد كان شاه فارس اسماعيل الصفوى مستعدا كل الاستعداد  
للتفاهم مع البرتغاليين للوصول الى تعاون واسع النطاق ضد العثمانيين  
وبدا كأن العثمانيين أصبحوا بين أطراف شديدة العداء لهم : فارس في  
الشرق ومراكش في الغرب وعمان واليمن في الجنوب والفرنجة يطوقون  
العالم الاسلامي من الشمال والغرب والجنوب .<sup>(١)</sup>

وكان لتطور العلاقات بين العثمانيين والصفويين أثره الكبير في  
موقف الصفويين من النفوذ البرتغالي ، وكان اعلان الشاه اسماعيل الصفوى  
المذهب الشيعي مذهباً لدولته سنة ٩٠٦ هـ / ١٥٠٠ م سبباً في اضطهاد  
أعداد كبيرة من أهل السنة داخل دولته وخارجها ، وأتاحت عمليات  
الاضطهاد هذه ، تكوين آراء ضد اسماعيل الصفوى ومذهبه تنادى بأن  
مذهبه يهدف الى الاضرار بالمسلمين عامة .

وانتشرت هذه الآراء بعد أن أخذ الشاه اسماعيل في توسيع حدود  
دولته غربا فاستولى على العراق ، ومد نفوذه الى شمال الشام ، والأناضول

---

(١) عبد العزيز نوار : التاريخ الحديث ، الشعوب الاسلامية

كما عمل الشاه اسماعيل على نشر مبادئ مذهبه داخل أراضي الدولة العثمانية ، مما جعل الدولة العثمانية تعتبر هذا عدوا سياسيا ضدها ، يضاف الى ذلك أن استنجد أهل السنة بالدولة العثمانية كسبب لان تشن الدولة العثمانية الحملات ضد الصفويين ، وتنزل بهم الهزائم<sup>(١)</sup> ، مما جعل الشاه اسماعيل يسعى الى التحالف مع أوروبا ضد العثمانيين ، فردد سليم الأول على استفزازات الشاه اسماعيل الصفوي بأن شن حربا<sup>(٢)</sup> شاملة على الدولة الفارسية .

٩١٣ هـ  
وقاد الشاه اسماعيل الأول ، في عام ١٥٠٧ م ، حملة كبرى  
ضد علاء الدولة حاكم البستان ، وتغلب عليه ، وبذلك دخل الصفويون ،  
الى جانب المماليك والعثمانيين ، ميدان الصراع على النفوذ في منطقة  
البستان ، وحولوا في هذا مكان اشارة الحمل الأبيض وعلى غرار أوزون حسن  
، حاكم هذه الامارة السابق ، حاول الشاه اسماعيل الاتصال بالفرنجية ،

---

(١) نوال حمزه صيرفي : المرجع السابق /

ص ١٥٣ .

(٢) عبدالعزيز نوار : تاريخ العرب المعاصرين

والعراق ، ص ٣٣٦ .

(١)  
في محاولة منه لايجاد حلفاء .

والصفويون لم يعمدوا وقتذاك الى الاصطدام بالبرتغاليين واحباط  
مخططاتهم قبل أن يستفحل خطرهما ، ولعل السبب في ذلك يعود الى  
أن الصفويين عندما كانوا يخضعون العراق فقد كانوا يصبحون على حدود  
متاخمة للدولة العثمانية السنية في الأناضول ، ومن ثم اتجهوا بأنظارهم  
الى نشر مذاهبهم الشيعي هناك ، وهو الأمر الذي لم تحتله الدولة  
العثمانية فانبرت لمواجهة الخطر الشيعي ، واضطرت الى نقل نشاطها  
العسكري من الجبهة الأوربية الى الجبهة العربية ، فقام صراع مسلح بين  
العثمانيين والصفويين على الحدود العراقية الفارسية عند شالديران عام  
١٥١٤م الذي انتهى بهزيمة الصفويين وتقهرهم نحو عاصمتهم تبريز التي  
(٢)  
لم تلبث أن سقطت في أيدي العثمانيين .

وكان الشاه اسماعيل أكثر تساهلاً مع البرتغاليين بعد هزيمته أمام

---

(١) عبد الكريم رافق : المرجع السابق /

، ص ٥٣ .

(٢) بدر الدين عباس الخصوي : المرجع السابق /

، ص ٢١ .

السلطان سليم العثماني في موقعة جالديران ، حيث عقد معهم محالفة  
كان يرمى من ورائها الى السيطرة على الأحساء ، ولكن البرتغاليين كانوا  
حتى مع حلفائهم من المسلمين صليبيين ، فلم يتورعوا عن أن يحاولوا  
الاستيلاء على البحرين . وهكذا لم يقم الشاه بما كان يجب أن يقوم به  
لمواجهة العدوان البرتغالي بل أن سياسته أدت الى تقوية قبضة  
البرتغاليين على الخليج العربي .<sup>(١)</sup>

ولقد كان الشاه اسماعيل الصفوي يفاوض البوكيرك — الأميرال البرتغالي  
(٢)  
— في المياه الهندية ، على عقد تحالف ضد السلطان العثماني .

وبعث البوكيرك برسالة هامة الى شاه فارس وهي تدل على مدى أطماعه  
السياسية في الشرق الاسلامي بأسره ، وهذه هي التعليمات التي حملها  
روى جوميز مبعوث البوكيرك الى الشاه :-

” اني أقدر لك احترامك للمسيحيين في بلادك وأعرض عليك الأسطول

---

(١) عبدالعزيز نوار : المرجع السابق / ١٣٦ سنة ١٤٠٠

عن ١٢٦

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٦ .



والجند والأسلحة لاستخدامها ضد قلاع الترك في الهند . وإذا أردت أن  
تنقذ على بلاد العرب أو أن تهاجم مكة فتسجدني بجانبك في البحر  
الأحمر أمام جدة أو في عدن أو في البحرين أو القطيف أو البصرة  
وسيجدني الشاه بجانبه على امتداد الساحل الفارسي وسأنفذ له كل ما يريد\* ،  
ثم يعرض مشروط للتحالف العسكري مع فارس وهو مشروع غاية في الطموح  
(١)  
اذ يقضى بأن تأخذ فارس مصر والبرتغال فلسطين كتمرة لهذا التحالف .

ووصل سفير للشاه اسماعيل من ايران يحمل عدة مطالب أجيب الى  
بعضها ، فقد اقترح ضمن اقتراحات كثيرة ، أن تقدم البرتغال بعض سفنها  
لايران كي تمكنها من غزو البحرين والقطيف وأن يساعد البرتغاليون الشاه على  
قمع تمرد ضده في مكران بأن يحتلوا جوارره ، وأن يقوم تحالف ضد الدولة  
(٢)  
العثمانية بين ايران والبرتغال .

---

(١) صلاح العقاد : المرجع السابق /

، ص ١٦ .

(٢) ج . ج . لوريمز : المرجع السابق /

، ص ١٤ .

وأخذت الحركة في هرموز تتطلع الى الشاه اسماعيل الصفوى ، الذى كان متحالفا مع البرتغاليين ، لذلك اعترف ملك هرموز بالخضوع للشاه الامر الذى جعل موقف البرتغاليين دقيقا ، حيث أن الشاه اسماعيل الصفوى كان هو حليفهم الطبيعى ضد العثمانيين وفعلا عقد مفاوضات مع السلطات البرتغالية في جوا من أجل عقد معاهدة تحالف ضد العثمانيين .  
(١)  
ومن ثم كان الوصول الى تسوية مع الشاه بشأن مستقبل هرموز أمرا يسيرا .

ويقول نائب البيرة " من أعمال الشام " من قبل السلطان الغورى أنه قبض على جماعة من اتباع اسماعيل الصفوى وعلى أيديهم كتب من عند الصفوى الى بعض ملوك الفرنج بأن يكون معه عسونة على سلطان مصر وأنهم يجيئون الى مصر من البحر ويجيء هو من البر .

ان هذه الاشارة تكشف لنا عن أن الشاه اسماعيل الصفوى كان منذ البداية مستعدا لاقتسام الشرق العربى بينه وبين الفرنجة .  
(٢)

---

(١) عبد العزيز نوار : التاريخ الحديث ، الشعوب الاسلامية ،

ص ١٣٣ .

(٢) عبد العزيز نوار : مصر والعراق دراسة في تاريخ العلاقات

بينهما حتى نشوب الحرب العالمية الاولى ، ص ٥٧ .

وقد استاء السلطان سليمان القانوني من اتصالات البرتغاليين  
بأعدائه الصفويين لأمدادهم بالمهمات الحربية ، ومساعدتهم على صنع  
الأسلحة الحديثة ، وقد ربيهم على استخدامها .<sup>(١)</sup>

ولم يكتف الشاه بحليفته البرتغال في مد يد العون له ، بل  
استعان كذلك بالانجليزى شيرلى على انشاء جيش جديد يضم مشاه  
وفرسان مدربين على أخذ أساليب ومعدات القتال ، وصارت القوات  
الفارسية تضم فيالتي من " الطوفانجية " وهى الفرسان التى تجسّد  
استخدام الأسلحة الحديثة ، واستطاع الشاه عباس بفضل هذه القوات  
الجديدة أن يستأنف القتال ضد العثمانيين .<sup>(٢)</sup>

وعندما التجأ أخو الشاه طهماسب المدعو القاص ميرزا الى السلطان  
مستنجيرا به من ظلم أخيه وتعديه على حقوقه الشرعية فتأثر السلطان من  
ذلك وبعد أن جهز الجيش خرج به قاصدا تلك البلاد وما زال سائرا  
منصورا حتى وصل الى مدينة تبريز وعند عودته استرد مدينة وان التى كان  
الأعجام استولوا عليها ولما كان أهل الكرج يظهرون الخصومة للدولة

---

(١) محمد كمال الدسوقي : المرجع السابق / ص ٤٢٩

(٢) ابراهيم احمد العدوى : المرجع السابق / ص ٤

العثمانية انتهز السلطان أيضا فرصة وجوده بتلك الجهات وأرسل وزيره  
الثاني قره أحمد باشا بالقوة الكافية فأخضع بلادهم وأدخلها ضمن الأملاك  
العثمانية .<sup>(١)</sup>

وهكذا أوجد التحالف الصفوي البرتغالي موقفا خطيرا في الخليج  
العربي كان على الدولة العثمانية أن تسعى الى مواجهته مما عزز فكرة  
الجناح الشرقي لحزام الأمن لدى العثمانيين .

شهدت الهند في النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادى  
تلك الدولة الهندية المغولية الاسلامية ، تربطها بالعالم الاسلامى صلات  
ودية كتلك التى ربطتها بالراجات والعناصر الهندوكية وسادتها تعاليم  
اسلامية سارت جنبا الى جنب مع الثقافة الهندوكية ، فى وقت كانت القوى  
الاسلامية فيه فى أشد الحاجة الى التكتل والحما من الدين لمواجهته  
البرتغاليين الذين امتلأوا تعصبا للمسيحية وعداء للاسلام ولذلك كان وجود  
الامبراطورية المغولية فى الهند وجودا سلبيا فى تاريخ الاسلام الحديث .<sup>(٢)</sup>

---

(١) اسماعيل سرحنك : المرجع السابق /

، ص ٥٥٠ .

(٢) محمد البحراوى : المرجع السابق /

، ص ١٠٥ .

وقد تمكن البرتغاليون من احتلال جوا وتحويلها الى قاعدة

عظيمة ، وتم ذلك بمساعدة تولا جي رئيس المنطقة الهندية ، والذي انحاز

(١)

الى البرتغاليين لكي يضعف من قوة سلاطين آل عادل شاه بتلك المنطقة .

كان من الطبيعي أن يؤثر سقوط جوا بهذه الطريقة فيما جاورها

من امارات الهند الغربية ، حيث وافقت كجرات على اقامة البرتغاليين

محطة تجارية لهم في ديو ، وأخيرا قبول قاليقوط لعقد الصلح مع البرتغال

بشرط اقامة حصن لهم على أراضيها ، أما الفيجا بانكر فلم يكتفوا بإرسال

وفد للتهنئة على ذلك ، انما سمحوا لهم باقامة حصن في مدينة بهاتكال

(٢)

بشواطيء بلاد هم الغربية .

ونزل البرتغاليون في ساحل مليار ، وعلى الرغم من أن حكام

مليار لم يكونوا مسلمين الا أنهم كانوا متسامحين ومتعاطفين مع المسلمين

الذين جاؤوا من مناطق مختلفة وخاصة من البلدان العربية وتوطنوا هناك

وقاموا بأعمال التجارة ، حتى أن اليهود والنصارى الذين كانوا موجودين

---

(١) ك.م. بانيكار : المرجع السابق / ، ص ٤٦ .

(٢) غسان على رمال : المرجع السابق /

، ص ٢٠٤ .

فى ملييار ء أصبحوا يحسدون هؤلاء المسلمين ء نظرا لنشاطهم الدينى والتجارى من جهة ء ونظرا لقربهم الى حكام ملييار من جهة ثانية ء وأخذوا يعادون المسلمين ء ولكنهم لم يستطيعوا أن يعملوا شيئا ما ء اذ أصبحت ممالك دكن وكجرات المجاورة تابعة لسلطين دهللى وقوى شأن الاسلام فى دكن ء فأصبح حكامها سندا للمسلمين المليياريين ء الى أن وصل البرتغاليون الى المحيط الهندى ونزلوا فى سواحل ملييار وبدأوا فى اقامة القلاع فى السواحل الهندية •

وفى سنة ٩٠٤هـ / ١٤٩٨م وصلت أربع سفن برتغالية الى كاليكوت فى ساحل ملييار ء واستطلع ملاحوها الأوضاع ثم رحلوا ء وبعد سنتين منها وصلت ست سفن برتغالية الى كاليكوت ء وطلبوا من المليياريين بأن لا يسمحوا بسفر المسلمين الى البلدان العربية ء لأن المعاملة مع البرتغاليين ستكون أكثر نفعاً لهم ء وعلى الرغم من أن السامرى حاكم ملييار لم يستجب لهذا الطلب ء الا أن النصارى بدأوا يتعدون على المسلمين ء مما أغضب السامرى

---

(١) فرشنة : تاريخ فرشنة ء الجزء الثانى ء ص ٣٨١ •

أرنولد ويلسون : المرجع السابق / ص ٢٠٣ •

سعاد ماهر : المرجع السابق / ص ١٢٢ - ١٢٨ •

فأمر بأن تدبر ضد هم مذبحه عامة ، فقام الملياريون بنهب أموالهم ،  
 كما قتل حوالي سبعون نفرا من الأفرنج ، وركب الناجون السفن هارسين  
 الى ميناء كوجى الواقع فى الجنوب من كاليكوت ، حيث كان حاكمها فى نزاع  
 وعداء مع السامرى ، فأذن للبرتغاليين بأن يقيموا قلعة قرب كوجى ويختاروا  
 التوطن فيها ، فطار البرتغاليون فرحا من هذه الفرصة السانحة وأقاموا  
 (١)  
 القلعة فى خلال فترة وجيزة ، كما هدموا المسجد الذى كان بجوار  
 الساحل وأقاموا القلعة على أنقاضه كنيسة ، وكانت هذه أول قلعة بناها  
 الأفرنج فى الديار الهندية ، ثم سمح لهم بأن يقوموا ببناء قلعة فى ميناء  
 كنور الواقع فى الشمال من كاليكوت ، فبدأوا بتجارة الفلفل والزنجبيل ،  
 (٢)  
 ومنعوا الآخرين من القيام بهذه التجارة .

لم يتحمل السامرى تواطؤ جيرانه وتعاونهم مع البرتغاليين ، فهاجم  
 كوجى وقتل حاكمها ، إلا أن ورثته قاموا مقامه ، وأعادوا النظام فى ولايتهم

(١) زين الدين المعبرى : تحفة المجاهدين فى أحوال البرتغاليين ، ق ٣ اب

محمد قاسم فرشنه : المرجع السابق / ، ص ٣٧١

بدر الدين عباس الخصوصى : المرجع السابق / ، ص ١٣

(٢) زين الدين المعبرى : المرجع السابق / ، ق ١٤ ا

محمد قاسم فرشنه : المرجع السابق / ، ص ٣٧١ .

ولقد جهز السامري قواته وهاجم المتواطئين ثلاث مرات أخرى ،  
إلا أن البرتغاليين كانوا يقومون بإمداد الكوجيين ، فلم يترتب على هذه  
الحملات الهدف المطلوب وهو الاستيلاء على كوجي ثم طرد البرتغاليين  
منها ، لأن قوة المدفعية البرتغالية كانت تحول أمام دخول كوجي ،  
فبادر السامري بإرسال مبعوثين إلى سلاطين دكن وكجرات ومصر يبلغهم  
بأن اعتداءات الأفرنج على بلاده ، قد تجاوزت حدّها ، وعلى الرغم من  
هذا فإن أكثر ما يقلقه هو مصير المسلمين المقيمين والمتوطنين في هذه  
البلاد وأنه يعتبر الدافع عنهم من واجبه ولا يقصر في هذا السبيل من  
صرف الخزائن والد فائن ، ولكن حاكم البرتغال معروف بكرة خزائنه ،  
فيؤالي بإرسال السفن المشحونة بالمقاتلين الأشداء ، دون أن يصيبه  
ضعف من ضياع أفراد ، فمن هنا أحتاج لمساعدة ، وأطلب تسيير السفن  
المشحونة بالمقاتلين الشجعان الأقوياء لتقوم بقمع أعداء الاسلام .<sup>(١)</sup>

استجاب سلطان مصر قانصوه الغوري يطلب حاكم ملبار ، فأرسل  
إلى الساحل الهندي ثلاث عشرة سفينة مشحونة بالمقاتلين والأسلحة

---

(١) محمد قاسم فرشته : المرجع السابق / ، ص ٣٧١ .

زين الدين المعبري : المرجع السابق ط ، ق



وعلى رأسها الأمير حسين ، وأنضم اليها أيضا أربعون سفينة من السامري حاكم مليار وعدة سفن من حكام كوة ود ايل ، ثم خططوا للمواجهة مع الأفرنج ، واستولوا على سفينة منهم ، فعادوا الى ديو ، ولكن الأفرنج باغتهم في ديو ، فاضطر ملك اباز حاكم ديو والأمير حسين قائد القوات المصرية الى محاربتهم وانتهت باستيلاء الأفرنج على عدد من السفن المصرية واستشهاد الكثير من المسلمين ، فعاد الأفرنج الى موائلهم واستغلوا غياب السامري فيها جموا كاليكوت في يوم الخميس الثاني والعشرين سنة ٩١٥ هـ / ١٥٠٩ م وأحرقوا جامعها ، وقاموا بأعمال النهب والتخريب وفي اليوم التالي قام الملياريون ضد هم بالهجوم وقتلوا حوالي خمسمائة شخص منهم ، كما غرق الكثير منهم في البحر وهرب الباقون الى ميناء كولم الواقع على سواحل دكن ، كما استولوا على ميناء كوة التابع لحاكم بيجابور ، بعد أن قدموا رشاً الى حاكم الميناء ، وبالفعل في استحکامات قلعة كوة وجعلوها مقراً لحاكم الأفرنج في الموانئ الهندية .

وقد تم اتصال سرى بين البرتغاليين وبين مالك اياس نائب ديو بدليل

---

(١) زين الدين المعبري: المرجع السابق / ، ق ١٦ ب

(٢) P. Spear: A History of India, V.II, P. 69

أن البرتغاليين لم يعرضوا لسفنه بسوء بل ركزوا الهجوم على السفن المصرية ، وما يؤكد خيانة مالك اياس حاكم ديو انه سلم للبرتغاليين كل الذين كان الأمير حسين الكردي قد قبض عليهم وجسهم من البرتغاليين كما أرسل للأسطول البرتغالي المؤن والذخائر حتى لقد هرب أمير البحر المصري من ديو لاجئاً لدى سلطان كجرات خشية أن يسلمه أمير ديو للبرتغاليين ، وقد أصابت هذه الهزيمة المقاومة المملوكية والاسلامية في الصميم واستشرى (١) الخطر البرتغالي بعد نصرهم في ديو .

وقد اضطر محمود شاه الأول لمصالحة البرتغاليين بعد تحطيم الأسطول الاسلامي أمام ديو ، وفي أيام مظفر الثاني انقسم جهود كجرات الى قسمين : أحدهما انقاذ ديو من أيدي البرتغاليين ، والثاني مساعدة ملو الاسلامية في فتنة داخلية ، وعند وفاته ابتليت كجرات بانقسامات داخلية بسبب تنازع اسكندر وبهادر ولطيف ، ثم آل الأمر الى الثاني الذي تمكن من ضم ملو .

ومنذ ذلك الحين أضحت كجرات بين خطيرين ساحقين ، وبدأ مصيرها النهائي آت لا ريب فيه ، وهما الخطران المقلوبان وهو خطر برى ، والخطر

---

(١) حسن احمد محمود : المرجع السابق / ص ٢٢٦ .

البرتغالي الذي هدّ به الولايات من البحر ، وكان من الطبيعي أن تكون  
حجرات أول الولايات الإسلامية عرضة وهدفا للبرتغاليين ، بحكم الموقع  
وازدحام موانئها ، وتقدم أهلها في البحرية ، واصابتهم خطا وافرا  
من التجارة الهندية ولذا بدا أمام بهادر شاه واضحا أن الانقاذ لا يتحقق  
إلا على أيدي حلفاء خارجيين .

واستنجد بهادر شاه بالعثمانيين متعهد أن يتكفل بنفقات نقل  
جيوشهم إلى حجرات ، وأرسل للسلطان هدايا ، وكانت الهدايا قيمة  
جدا لتعطى العثمانيين فكرة واضحة من أهمية حجرات ومقدار غناها ، وقال  
بهادر شاه في رسالته للسلطان العثماني ، إن مصيره بين يديه ، وأنه إذا  
حرم من عونه فلا بد من أحد أمرين : إما أن يقع فريسة في أيدي البرتغاليين ،  
(١)  
وأما أن يضطر إلى مصالحتهم .

وكان بهادر خان ، أحد سلاطين كجرات الكبار ، قد أخضع  
لسلطانه أصحاب أحمد نكرويرا روكونو البار ، ووثق علاقاته بالبرتغاليين الذين

---

(١) محمد البحراوى : المرجع السابق - ابق /

كانت لهم مستعمرات بشواطئ بلاد ذات المركز التجارى الممتاز ، هذا  
كما اقتحم اقليم مالوه مع رانا مواربدوى استضافة صاحبه محمود الخليجى  
لأخيه جند خان وكان ينافسه العرش ، فصار بذلك يتأخم سلطنة دهلوى  
فى مواضع كثيرة ، وغدت أكرا نفسها غير بعيدة •

وبرغم ما كان عند بهادر خان صاحب الكجرات بدوره من مدافع أمد  
بها أصحابه البرتغاليون فقد أرغمته قوات همايون على الامتناع فى حصونه  
ليتسلل من بعد ذلك منها فى نفر قليل من رجاله حين أيقن بانهم يمار  
مقاومة قواته لطول الحصار وعنف المجاعة التى بدأ شبحها يخيم عليهم •

وما غدا بهادر خان أن تم له ، يعون من البرتغاليين ، جمع قوات  
(١)  
جديدة استطاع بها أن يسترد أغلب أراضيه •

ولما أرسى سليمان باشا الخادم على ساحل كجرات بلغه أن بهادر شاه  
الذى كان قد طلب مساعدة الدولة العثمانية تصالح مع خصمه وهم البرتغاليون  
بعد أن تحاربا مرارا وكانت الأساطيل البرتغالية تسلطت على ثغور كجرات •

---

(١) احمد الساداتى : المرجع السابق /

وأستولت على فرضة ديو وما جاورها من البلاد ومات في الحرب بهاد وشاه  
وخلفه الملك محمود في مملكته وكان هادنا البرتغاليين ثم ان سليمان باشا  
الخادم أخرج الجيوش الى البر بعد أن اتحد مع الملك محمود وأخذ  
يقاتل البرتغاليين حتى استولى منهم على قلعتي كولة وكات وقتل منهم  
أكثر من ألف محارب ثم شرع يحاصر فرضة ديو برا وبحرا وتمكن بعد زمن  
من الاستيلاء على قلاعها الأمامية إلا أن مقاومة محافظها البرتغالي المدعو  
انطوان وما أظهره من الجسارة والاقدام في المدافعة عن القلاع الداخلية  
أعلمه أن الاستيلاء عليها لا يمكن نواله بسهولة سيما وأنه لما رأى أن ذخيرة  
العساكر قاربت الفراغ فطلب من الملك محمود إمداده بالذخيرة ، وأقوات<sup>(١)</sup>  
لهم وأمدت المحاصرة واستمر البرتغاليون في تثبيت أقدامهم في الموانئ  
الهندية . ولم يرسل ملك كجرات المساعدة وذلك لأن ملك كجرات خدع من<sup>(٢)</sup>  
قبل الكفار ، بسبب مخالفة الملك محمود مع العثمانيين واتفاقه مع الكفار  
البرتغاليين . رجعت القوات العثمانية من القلعة .<sup>(٣)</sup>

---

(١) اسماعيل سرهنك : المرجع السابق / ، الجزء الأول ،  
ص ٥٤٨ .

(٢) زين الدين الملياري : المرجع السابق / ، ق ٢١ ب .

محمد قاسم فرشنه : المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص ٣٧٢ .

(٣) جلبي وحاجي خليفة ناملريله : المرجع السابق / ، ص ٥٧ .

(١)

وكانت الجبهة الهندية في حالة ضعف شديد ، فقد تعرضت

كجرات أهم الولايات الإسلامية على الساحل الغربي للهند لهجوم "همايون

أكبر" سلطان المغول عليها ، فأدى هذا إلى ضعفها وتمزقها . ومما زاد

الأمس سوءاً أنه أزاء الهجوم المغول على كجرات اضطر "بهادر شاه" إلى

أن يطلب مساعدة البرتغاليين لقرتهم منه ، ضد هجوم المغول عليه ، وكان

شأن مساعدة البرتغاليين لكجرات غالياً ، فقد سمع السلطان بهادر للبرتغاليين

(٢)

ببناء حصن في ميناء ديو ، كما جعل لهم نصف إيرادات هذا الميناء ، وأعطاهم

بنادير من بناديره مثل ومهاهم وغيرهما فتملكوها وأضافوا إليها ما قاربها من

البلدان والأراضي وحصل بذلك لهم فوائد كثيرة وعظم أمرهم وسلم ديولهم

وأمرهم بأحكامها ، وكانت الأفرنج يتمنون قبل ذلك حصوناً لهم في قبضتهم

ووصلوا إليها مرات بهذا القصد في زمن ملك إياش ثم في زمن أولاده فما تمكنوا

(٣)

من ذلك بل رجعوا خائبين .

وقد توفي السلطان صاحب كجرات بأحمد آباد ودفن بها ، وكان قد أسلم

جد جده مظفر على يد محمد شاه صاحب دلي وكان عاملاً له على فترة من

Cengiz Orhonlu: Habes Eyaleti, P. 7 (١)

ولها السيد مصطفى سالم : المرجع السابق / ص ١٤٠ .

(٢) زين الدين المعبري : المرجع السابق / ص ٤١ .

كجرات فلما وقعت الفتن في مملكة دلي وانقسمت البلاد كان الذي خص  
مظفر كجرات ثم وثب عليه ابنه وسجنه ولم يلبث أن استفحل أمر الأب بحيث  
قتل ولده ثم بعد سنتين انتصر احمد لأبيه وقتل جده واستقر في كجرات  
وخلفه ابنه غياث الدين ثم ابنه قطب الدين ثم أخوه داود فلم يلبث سوى  
(١)  
أيام وخلع واستقر أخوهم محمود شاه .

وصالح الافرنج أهل كَنَنُورَ ونوا فيها قلعة وعاملوا أهلها وسافروا  
بالفلل والزنجيل الى برتكال وهو مقصودهم الأعظم الذي لأجله قطعوا  
المسافة البعيدة وبعد سنة منها جاءوا في أربع مساريات ونزلوا في كشي  
وكننور وسافروا الى بلد هم بالفلل والزنجيل وبعد سنتين منها جاءوا  
في عشرين مساريا أو احدى وعشرين وسافروا الى بلد هم وسائر البضائع  
وعظم أمرهم ثم قصد السامري كشي وخرسها على ما هو عادته من قديم الزمان  
وقتل اثنين أو ثلاثة من دعائها ورجع الى كاليكوت وسبب كونهم قتلوا لأجل  
الافرنج صاروا ألد أخواتهم تحتصين بمملكة كشي وما حواليتها دون سائر  
قرايتهم بقوة الافرنج خلافا لرسمهم القديم من تولية الأكبر سنا من قراياتهم  
وصار لهم عزّة وحرمة عندهم وأعانوهم كثيرا في حروبهم وحوائجهم وأعطوهم

---

(١) عبد القادر العيدروس : النور السافر عن أخبار القرن العاشر .

(١)

أموالا وعينوا لهم العثور في تجارتهم حتى عظم أمرهم .

ان أبرز شيء يبدو جليا في علاقات البرتغاليين بالهند في ذلك  
الحين ، هو موقف الصداقة العام والتسامح حيال هؤلاء الأجانب الجدد  
بمختلف البلاطات الهندوكية في الجنوب باستثناء قاليقوت . وكانت امبراطورية  
فيجاياناجار الهندوكية تقيم علاقات مودة مع البرتغاليين في جوا وتسمع لهم  
بالاتجار داخل ممتلكاتهم الفسيحة الأجزاء ، وذلك على حين أنه كانت  
للسلطات البرتغالية علاقات مودة وثيقة مع حكام كوتسين ، حيث أقام البرتغاليون  
أولى مؤسساتهم وكانوا يتجرون بوفرة عظيمة ودون أية منازعات سياسية مع الرؤساء  
الصغار على طول الساحل .

واشتعلت الحروب بين الولايات الاسلامية في الدكن وولاية فيجاياناجار  
Vijyanagar الهندوكية ، واستفاد البرتغاليون من ذلك فائدة كبرى وثبتوا  
أقدامهم في المواقع التي كانت بين أيديهم ، ووقفت حجرات تنظر الى الخلف  
وترتعد فرقا من الزحف المغولي حيث كان المغول يعملون لاستعادة امبراطوريتهم

---

(١) زين الدين المعبري : المصدر السابق ،

ص ٥١ .

(٢) ك.م. بانيكار : المرجع السابق / ص ٥١ .



المغولية الهندية ، بينما ساد الوفاق بين للفرس والمغول<sup>(١)</sup> .

وكان هناك خطر ان يهدد ان السواحل الهندية اولهما خطر  
الغزوات المغولية والذي اثر بصفة عميقة على كجرات أهم الولايات الاسلامية  
على الساحل الغربي للهند ، حيث تعرضت لهجوم همايون أكبر سلطان  
المغول مما أدى الى اضعافها ، أما الخطر الثاني فيتصل في الولايات  
الهندوكية التي كانت كثيرا ما تنتهز الفرض لشن الحروب وكسب اراضى جديدة<sup>(٢)</sup> .

وتفرقت الكلمة ببلاد الهند ، وأما بنكالة فتسلطن فيها السيد محمود  
ثم مات وتولى مكانه ولده نصيب شاه ثم مات وأستولى على مملكة همايون بادشاه  
وأما ملوك كجرات فمن تسلطن فيها بعد فيروز شاه وأولاده السلطان مظفر  
شاه وكان السلطان مظفر هذا تزوج بأخت ملك الهند فيروز شاه خدام  
في الهند أمير أمدة حياة فيروز شاه ثم تسلطن بعد فيروز شاه نصار له الصيت  
في البلاد وكان له ولد يسمى محمد شاه وكان في البسالة على طرف عظيم وقد  
تيسر له من الفتح والنصر ما لم يتيسر لاحد من أهل بيته فلما شاع أمره بذلك

---

(١) محمد البحر اوى : المرجع السابق /

ص ١٦٥ .

(٢) غسان على رمال : المرجع السابق /

ص ٢٤٧ .

خاف أبوه على نفسه فسقاه السم فقتله ثم أن السلطان محمد هذا خلف ولدا يسمى بالسلطان احمد شاه ، فلما بلغ اشد ، وعلم أن جده قتل أباه صد له بالسوء حتى أنه لما بلغه أن جده السلطان مظفر انغطس في حوض في سكرته في بعض أيام الصيف فهجم عليه وذكّر له قتله أباه من غير جرم ثم خنقه بالوتر وقتل الصحيح أن السلطان محمد خان شاه تسلطن بعد أبيه وإنما هذه القصة مع بعض أولاد مظفر شاه وتسلطن السلطان احمد في تحت كجرات ومكث في الملك مدة عديدة وهو الذي صير مدينة احمد آباد تختا له ثم توفى وتولى مكانه ولده السلطان محمود وكان يتعاطى الخشيش الى الغاية ومسح ذلك كان أعظم الملك ثم تولى مكانه الملك المظفر .<sup>(١)</sup>

وهكذا كانت الحروب الداخلية في الهند فرصة مواتية للبرتغاليين لتثبيت أقدامهم ، حتى بدا الخطر البرتغالي في الهند شيئا .

وقد ساعد البرتغال وثبت أقدامهم الانشقاق الذي كان كثيرا ما يدب في صفوف الولايات الاسلامية ، وكان احداها تنضم الى الجانب البرتغالي ضد الأخرى في بعض الأحيان ، كان هذا الحلف ، وكان أيضا الغزو المغولي

---

(١) أبو محمد مصطفى بن السيد حسن بن السيد سنان الهاشمي الشهير بالجنابي : المرجع السابق ، ص ٤٠٠ .

الذى أخذ يتطلع الهند ولاية بعد ولاية أخرى .

وكانت حجرات أشد الممالك الإسلامية في الهند تحمسا ضد البرتغاليين  
وأشد ها رغبة في اجلائهم ، عن الهند ، ولو تساوت معها زميلاتها الإسلامية  
في تلك البلاد في ذلك التحمس وهذه الرغبة وتكونت جبهة إسلامية متحدة نسي  
الهند ، لكان للأمور مجريات أخرى ولجاء التاريخ الحديث عامة بصورة متغايرة .<sup>(١)</sup>

ولكن كانت هناك علاقات واتصالات بين أكبر وبين الوجود البرتغالي في  
المياه الهندية وسواحلها ، حيث أرسل أكبر في سنة ٩٨٢هـ / ١٥٧٤م بعثة  
الى ميناء كوه الذى كان مقرا للحاكم البرتغالي في الموانىء الهندية ،  
للتعرف على الأوضاع هناك ، كما كان حكام موانىء الافرنج يتوددون فرأى  
السلطان أكبر ان يتعرف على صنائع الافرنج وفنونهم ، فاختر لأداء هذه  
المهمة أحد أقربائه كما ضم الى البعثة عددا من الخبراء والفنانين المهرة  
ليقوموا بدورهم في نقل المصنوعات الغربية ولقد تابعت البعثة مهمتها الى عام  
٩٨٥هـ / ١٥٧٧م ثم عادت الى اكرا حيث قدمت للسلطان تقارير عما شاهدته  
، كما قدمت الى السلطان بضائع منتخبة من تلك الديار .

---

(١) محمد البحراوى : المرجع السابق /

كذلك كانت هناك علاقات ثقافية بين أكبر والبرتغاليين ، حيث كان هناك مشاركة من البرتغاليين الى محافل أكبر منذ سنة ٩٨٣هـ وكان يشترك فلاسفتهم ورجال دينهم في المناقشات التي كان السلطان يقيمها بين أتباع الأديان ، وقد أدى هذا التعامل مع البرتغاليين الى أن يطعموا نفى تغيير أكبر ، فقاموا بإرسال بعثات متعددة ، منها ما أرسلوه في سنة ٩٨٨هـ / ١٥٨٠م وقابل أكبر الرسائل بكل ترحاب وسمح لهم أن يبنوا كنيسة في مدينة أكره<sup>(١)</sup> .

ووصلت رسالة ثانية الى أكره في سنة ٩٩٩هـ / ١٥٩٠م ، ولم تكن أكثر نجاحا من سابقتها ، وليست هذه البعثة في بلاد أكبر ثلاث سنوات أخرى ووصلت الرسالة الثالثة الى لاهور حيث كان السلطان أكبر يقيم هناك وقوبلت البعثة بحفاوة وتكريم وسمح لها ببناء الكنائس في لاهور<sup>(٢)</sup> .

---

(١) جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أبا طرة المغول الإسلامية في الهند ص ٩١ - ٩٢ .

(٢) ول ديورانت : قصة الحضارة ، الجزء الثالث من المجلد الأول ، الهند وجيرانها ، ص ١٤٠ .

# الفصل الرابع

## الجناح الشرقي لحزام الأمن

أ- غزو العراقيين ، بغداد ٩٤٠ = ١٥٣٤

ب- علاقات السلطان سليمان الأول برؤساء الجزاير في الخليج والبصرة والقطيف والبحرين والأحساء .

ج- بيلربكية البصرة ٩٥٢ = ١٥٤٦

د- حملات عثمانية بحرية في الخليج ، يبرى ، مراد ، على ريس . الخليج منطقة مفتوحة .

هـ- الخطة الجديدة

١- التركيز على الساحل الشرقي للجزيرة العربية والقوة البرية .

٢- جهاد عرب القطيف ، سنجدية القطيف .

٣- بيلربكية الأحساء ٩٥١ - ١٥٥١ م .

٤- ثواء نجد .

أ - غزو العراقيين ، بغداد ٩٤٠هـ / ١٥٣٤م :

كان العراق في حالة انهيار في الفترة التي مرت به منذ الغزو  
المغولي التخريري بقيادة هولاكو في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي  
والاحتلال الفارسي على عهد الشاه اسماعيل الصفوي ، في أوائل القرن  
السادس عشر ، وكان هذا الشاه قد نجح في نشر المذهب الشيعي في  
ربوعه ، وذبح أكرأئمة السنة وهدم مقابر آبائهم ، وأصبح ولا يزال أهل  
السنة وأهل الشيعة في العراق قوتين متوازيتين تقريبا .<sup>(١)</sup>

وقد تطلع اسماعيل الصفوي الى حوله من مناطق كمجالات لدعوتهم  
وكان لابد للعراق أن يجذب أنظاره فهو مجال التوسع في الغرب ، كما أن  
ظروف العراق السياسية وما أحاط بها من اضطراب كان مشجعا للتوسع  
الصفوي ، والعراق الى جانب هذا مجال اقتصادي ففي الجزيرة الفراتية  
أرض زراعية جيدة والعراق مركز تجاري هام لأنه يطل على الخليج غير أن  
للعراق أهمية خاصة بالنسبة للأسرة الصفوية ، فالعراق مركز الشيعة وبه الكثير  
من تراث الشيعة ، مثل مقابر أئمة الشيعة في كربلاء والنجف ، والتي تهفو  
من تراث الشيعة .<sup>(٢)</sup>

---

(١) محمد بن خليفة بن حمد بن موسى النبهاني الطائي : المصدر السابق

الجزء التاسع ، ص ٢٥٨ .

(٢) عبدالعزيز الشناوي : المرجع السابق /

الجزء الثاني ، ص ٢٥٤ .

(٣) محمد أنيس : المرجع السابق / ، ص ١٠٥ .

اليها نفوس الشيعة ، ونجح اليها جموعهم في كل عام ، هذا فضلا عما يحتويه العراق من اراض زراعية واسعة ، كما أنه يفتح الطريق أمام الفرس الى البحر المتوسطه ويضمن لفارس منفذا سهليا نهريا على الخليج العربي .  
(١)

٩١٤ / ٩١٥ هـ

وفي عام ١٥٠٨ م - ١٥٠٩ م احتل الشاه اسماعيل بغداد وأكثر جنوب شرق العراق وبدأ يقتل المسلمين السنين ويجرق مساجدهم ، وكان مقابلة بايزيد على هذه الحوادث أن طلب منه ألا يفعل هكذا بعد ذلك ، ولذلك طلب بايزيد مساعدة المماليك والاوزكيين والتركمان الذين كانوا قد أصبحوا أقوياء فيما وراء النهر ، واكتفى المماليك بأن نبهوا الى واليهم في حلب اذا جاء الصفويون الى كليكا أن يمنعوهم ، والاوزكيون عملوا هجمات على الصفويين مدة سلطنة بايزيد ، ومع ذلك كان يتم الوعاظ الذين أرسلوا من قبل الشاه اسماعيل  
(٢)  
عملياتهم بين التركمانيين والناضوليين .

وأخذت الشيعة تتنفس في نواحي العراق وتؤسسون لنفسها مكانا بين أهلها فقد اشتد اسماعيل شدة ظاهرة مع السنين وقتل منهم نفرا عظيما ، وأعاد انشاء

---

(١) السيد رجب خراز : محاضرات في تاريخ العرب الحديث

والمعاصر ، ص ٣ .

(٢) Stan ford show : Osmanli imparator lugu ve modern

turkiye, P. 119 .

مراكز الشيعة في البلاد فأقام عند قبر موسى الكاظم مسجداً ، وعلى الجملة أصبحت معظم العراق جزءاً من فارس الصفوية وكان هذا مبرراً كافياً للسلطان سليم لغزو العراق ، فلم يلبث أن حشد حشوده وهوى بقواته على رأس فارس عند شالديران فكسر جيوش اسماعيل وردّه من الشمال والعراق جريحاً ، ففتح بذلك ميدان الصراع بين الصفويين والعثمانيين على أرض العراق وما يتأخذه من ولايات .<sup>(١)</sup>

ورغم حملة السلطان سليم لم يخضع العراق كله لحكم العثمانيين فقد خضع شماله فقط في الموصل وديار بكر ، أما العراق الأوسط والجنوبي فقد ظل في يد الفرس ، وكان حاكم بغداد يعين من قبل الشاه الفارسي ويبدو أن ضعف النفوذ الفارسي في العراق الأوسط كان مشجعاً على قيام النزاع حول منصب حاكم بغداد الذي كان يطلق عليه الخان ، وفي هذا النزاع بطبيعة الحال يميل كل فريق من المتنازعين إلى العمل للحصول على تأييد إحدى الدولتين الكبيرتين .<sup>(٢)</sup>

وقد تأخر استقرار العثمانيين في العراق رغم انتصارهم في شالديران ،

---

(١) حسين مؤنس : المرجع السابق / ، ص ٢٢ .

(٢) محمد أنيس : المرجع السابق / ، ص ٢٣٥ .



فان الجنود الانكشارية صادفوا بلادا فقيرا في شمال غرب فارس ، فألحوا  
(١)  
على السلطان سليم في الانسحاب ، واتجهوا بعد ذلك الى الشام ومصر .

وبعد معركة جالديران والذي تمكن فيها العثمانيون من السيطرة  
على المناطق الشمالية من بلاد ما بين النهرين " كردستان " - ديار  
بكر - والموصل " أما العراق الأوسط والجنوبي فقد ظل كما قلنا تحت  
(٢)  
سيطرة الفرس .

وكان زعماء العراق يتوافدون على السلطان العثماني مطالبين  
بالتدخل العسكري السريع ضد الوجود الصفوي في العراق ومن أجل انقاذ  
علماء العراق السنة من اضطهادات الشاه اسماعيل الصفوي ، ولقيت هذه  
النداءات أذنا صغية لما عرف عن الأتراك بصفة عامة من تحمس في الدفاع  
(٣)  
عن المذهب السني .

وكان صاحب بغداد الأمير ذوالفقار حاكم عراق العرب جميعا

- 
- (١) صلاح العقاد : المرجع السابق / ، ص ١٢ .  
(٢) محمود صالح منفي : حركة اليقظة العربية في الشرق الآسيوي ، ص ٢٨ .  
(٣) عبدالعزيز نوار : مصر والعراق دراسة في تاريخ العلاقات بينهما حتى  
نشوب الحرب العالمية الأولى ، ص ٥٩ .

قد أرسل الى السلطان بالانقياد والعبودية ومع الرسول مفاتيح البلاد  
وتحقق ذلك صاحب تبريز مقصده بعسكر كثيرة وحاصره مدة وأرسل الشاه  
الى بعض خواص الأمير ذوالفقار سرا فوعده ومناه وسأله قتل الأمير المذكور  
فاغتر ذلك اللئيم بكلامه فترصد له الفرصة قتله فهجم الشاه على بغداد  
فدخلها ثم سار الى تبريز<sup>(١)</sup> .

وبقى العراق تحت حكم الصفويين ستة عشرة عاما تقريبا ، كانت  
الدولة العثمانية في أثناءها ترسل الحملة بعد الأخرى لاسترداد من  
قبضتهم ، وقد ثار عليهم ثائر قضى على حكومتهم ، وهذا أيضا لم تلبث  
حكومته الا قليلا حتى ماتت ، وذلك أنه في هذه الأيام دارت الدائرة على  
الحكومة الصفوية ومن أهم الوقائع حادثة ذي الفقار الثائر على الحكومة الصفوية

---

(١) أبو محمد مصطفى ابن السيد حسن بن السيد سنان الهاشمي الشهير

بالجنابي : علم الزاخر في علم الأوائل والأواخر ، ص ٣٥٧ .

نصوح قداكوز بن عبد الله البوسنوي : سفر عراقين قانوني باخود مجموعة

المنازل نصوح محمد بن خليفة بن حمد بن موسى النبهاني الطائي :

المرجع السابق ، الجزء التاسع ، ص ٢٥٩ .

(٢) خالد عبد المنعم العائسي : موسوعة العراق الحديث ، المجلد

الأول ، ص ١٧١ .

وذلك أمراء قبيلة موصلو وهم أمير خان وأخوه إبراهيم خان كان لهما ابن أخ  
هو ذو الفقار بن نخود سلطان ، وكان هذا حاد المزاج ، وان عمه  
إبراهيم خان والى بغداد ترك أخاه أمير خان وأولاده وأعوانه في بغداد  
وذهب هو إلى الشام بنحو خمسة آلاف من رجاله ، ولما وصل إلى " ماهي  
دشت " أغار عليه ذو الفقار خان بثلاثمائة فارس تقريباً وهاجمه بمن معه على  
غرة فأوردته حتفه ، كما أن أتباعه انقادوا إلى ذي الفقار ، وبذلك نال  
قصد ، وخسر الشاه هذه القوة وعند ما قضى الشاه اسماعيل الصفوى  
نحبه ، استغل زعيم قبيلة كردية يدعى ذو الفقار خان ، وكان حاكماً على  
الكهلو ، فرصة وفاة الشاه مع ضعف الحكم الصفوى على العراق الأوسط ،  
فزحف على بغداد وقتل حاكمها الصفوى إبراهيم سلطان ، واحتل المدينة  
بعد حصار قصير .<sup>(٢)</sup>

وفي سنة " ٩٣٤ هـ " ولي العراق " ذو الفقار " المشهور وكان ممن  
عرف بالعقل والكياسة والدراية ، فأرسل سفراء من قبله إلى " السلطان

(١) عباس العزاوي : المرجع السابق ، الجزء

الثالث ، ص ٣٦٢ .

(٢) السيد رجب حراز : محاضرات في تاريخ العرب الحديث

والمعاصر ، ص ٢٢ .

سليمان القانوني " ليسلمه العراق ، فلما سمع طهماسب خان ذلك الخبر وجه جيوشه نحو ذي الفقار وجرت بينهما حروب لم يتمكن في خلالها من ذي الفقار ، الى أن اغتاله أخواه " على بك وأحمد بك " فقتلاه طمعاً في الملك فتغلب طهماسب على العراق بلا معارض ، لحصول الخلل الداخلي الواقع بين الأخوة ، وولى من قبله على البصرة والجزائر " قانصوه بك " وظلت البصرة خاضعة لولاية بغداد اسماً لا فعلاً ، لأن أيدي الجشع والاستبداد تتنازعها .  
(١)

وانتهز شاه ايران طهماسب الصفوي فرصة انشغال سليمان القانوني بحروبه في أوروبا ضد شارلكان امبراطور أسبانيا وفرديناند امبراطور النمسا من ناحية أخرى ، لكي يدخل في محالفة مع شارلكان ضد سليمان القانوني ، وبذلك توترت العلاقات من جديد بين العثمانيين والصفويين وساعد على عدة عوامل منها تأرجح أمراء الأكراد على الحدود في ولائهم بين السلطان والشاه ، فحاكم بدليس شرف خان خضع للنفوذ الصفوي بعد أن كان موالياً للعثمانيين ، وبالمثل لجأ حاكم تبريز الصفوي الى العثمانيين ، فبعثوا به

---

(١) Cengiz orhonlu : *İ b i d* , P. 259 .

(٢) أحمد حسين : موسوعة تاريخ مصر ، الجزء الثالث ، ص ٨٢٣ .

لقتال شرف الدين ، ورغم هزيمة الأخير ومقتله ، فقد كسب الشاه طهماسب مناطق جديدة •

استاء العثمانيون أيضا من محاولة طهماسب إثارة قبائل القزلباش في الأناضول ، مقتفيا بذلك خطى سلفه الشاه إسماعيل ، وكانت ثورة قد اندلعت في الأناضول بقيادة قلندر جلبي بتشجيع الصفويين •

لم ينظر العثمانيون بارتياح لاتصالات الصفويين والأمبراطورية الرومانية المقدسة التي كانت تعتبر العدو الأكبر للإسلام •

وكان مبعوثو أهل السنة في بغداد يتوافدون على استانبول للاستنجاد بالسلطان العثماني وحثه على انقاذ السنة من الحكم الشيعي ، ولهذه الأسباب قرر السلطان سليمان ضم العراق (١) •

وكان من نتائج سوء الإدارة ، وقلة التدبير أن نفرت ممالك كسـيرة من الحكومة الصفوية ، واستنصر بعضهم بالعثمانيين ، ومن بغداد ذهب آخرون إلى استانبول يشكون الحالة (٢) •

---

(١) السيد رجب حراز : محاضرات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ٢٢  
(٢) عباس العزاوي : المرجع السابق / ، الجزء الثالث ، ص ٣٦٦ •

ظل العراق مجال صراع بين العثمانيين والصفويين حتى قام

(١) / ٩٤٠ هـ

السلطان " سليمان المشرع " على رأس حملة على العراق عام ١٥٣٤ م

لاستخلاص بغداد من أيدي الأعداء<sup>الذين</sup> وأعز<sup>أب</sup> إبراهيم باشا أن يتحرك بجيشه

ويجتمع معه في حلب ثم يسير الجميع إلى طرق العراق فأمثل إبراهيم باشا

لأمه ضمير خليج قسطنطينية إلى طرف الأناضول في ثاني يوم ربيع الآخر

(٢)

سنة ٩٤٠ هـ ووصل إلى حلب في عاشر جمادى الآخرة ، وشتى بها ومن

معه من العساكر المنصورة السلمانية ، والجيش المؤيدة الخاقانية ، وبرز

عقبه الوطاق الشريف السلطاني ، والمخيم المكرم الخاقاني العثماني ،

إلى اسكود وآخر شهر القعدة من نفس السنة ، واستمر متوجها لنصرة السنة

الشريفة السنية ، وقمع طوايف الرافضة ، إلى أن وصل مخيمه الشريف العالي

إلى بيلاق أوجان قريب تبريز وجاء إلى استقباله الوزير إبراهيم باشا بمن معه

من العسكر المنصور وتوجهوا بجميع العساكر المنصورة إلى أخذ سلطانية

(٣)

من مملكة العجم .

---

(١) مصطفى رمضان : المرجع السابق ،

ص ٤٥ .

(٢) أبو محمد مصطفى ابن السيد حسن ابن السيد سنان الهاشمي الشهير

بالبجانبى : المخطوطة السابقة ، ص ٣٥٧ .

(٣) قطب الدين النهروالى : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ، الجزء الثالث ،

ص ٣١٦ .

١٠٩٤هـ /

دخل ابراهيم باشا الى تبريز بلا محاربة في تموز عام ١٥٣٤م وأعلن

(١)

خليل بن ابراهيم وجيلاني خان وأمير دويش مظفر خان طاعتهم للعثمانيين

، ودخل السلطان سليمان القانوني تبريز في شهر سبتمبر من نفس السنة

وفر الشاه طهمااسب وسار الجيش العثماني من تبريز الى بغداد مـ

(٢)

بهمدان .

ولما تحقق شاه العجم من مسير السلطان سليمان عليه وسلم أن

(٣)

الوزير ابراهيم شتى بحلب ثم قام من أذربيجان وتوغل في بلاد خراسان بعد

أن شيد قلعة وبنى في شط بحيرة غلبة قلعة أرجس وأحكم أمرها ، وشحنها

بالرجال وكانت هذه القلاع مغاليق بلاد أذربيجان بتأخم حدود الروم ثم

أن الد فتد ار اسكندر حلبى وقع بينه وبين على بيك محرر ولاية الشام وحلب

وحشة فتم بالد فتد ار المذكور الى نظام الملك ابراهيم باشا وعقد له نسي

مفاسده مما حط منزلته عند الوزير ، ولما تحقق ذلك اسكندر حلبى المذكور

أراد أن ينتقم من الوزير فاتفق مع أولمه سلطانى الذى هرب من بلاد

العجم واتحد له معه وكشف له سره وكان أولمه المذكور قد هرب من العجم

---

(١) Ismail Hakki Uzuncarsili : Osmanli tarihi. P. 338

(٢) دائرة المعارف الاسلامية : المجلد الثانى عشر ، ص ١٤٩ .

(٣) نصوص قراقرز بن عبد الله البوسنوى : المخطوطة السابقة

للدولة العثمانية ، ولكن لم ينقطع عرق محبته لهم ، فاتفقا على أن يحسن  
للوزير المسير الى تبريز وذلك بأن يقولوا أن شاه عجم هرب وأن البلاد  
خالية فاذا أسرنا تملكنا بلاد العجم جميعا وأخذنا حكومة المملكتين ، وثلثا  
رياسة المملكتين ، فما زالا يحرضان الوزير حتى رضى بذلك ، بعد أن كان  
عازما على المسير الى فتح بغداد وكان غرضهما من ذلك اصابة شىء ،  
من النكبات ، فلما أقبل الربيع وخرج الوزير بالعسكر فى حلب وقطع بعض  
العنازل أقبل رسول حاكم قلعة واتى بمفتاح القلعة ووصل أيضا أخبار طاعة  
سائر القلاع فى تلك الحدود وكان ذلك لحسن تدبير الوزير المذكور فانه كان  
(١)  
يعمل فكره فى استخلاص تلك القلاع مدة اقامته بحلب .

وقد لحق السلطان سليمان بابراهيم باشا ، واتجه الاثنان نحو بغداد  
، عن طريق همذان ، بهدف السيطرة على الطريق الذى يربط بغداد بالشمال  
والشرق ، وقطعت القوات العثمانية بذلك امكانية نجدة الصفويين لبغداد ،  
ولم يحاول طهمااسب التصدى للعثمانيين ، مما أخاف الأمراء الخاضعين للصفويين  
والمنتشرين على الطريق الى بغداد ، فأعلنوا خضوعهم للعثمانيين ، وفى أثناء

---

(١) ابو محمد مصطفى ابن السيد حسن بن السيد سنان الهاشمى الشهير

بالجنابى : المخطوطة السابقة ، ص ٣٥٨ .



ذلك ، كان محمد خان حاكم بغداد الصفوى مترددا قلقا لا يدري ماذا يفعل ، ولكنه ما أن رأى الشاه قد تخلى عنه ، ولم يرسل له مددا ، وأدرك أن الجند والأهالي يرحبون بالفتح الجديد ولا يريدون مقاومته ، تظاهر بأنه سيرحب بالسلطان مثلهم ، ثم فرأى فارس ، ودخل الصدر الأعظم بغداد في ٣١ ديسمبر عام ١٥٣٤م وبعد يومين دخلها السلطان سليمان (١) وسط مظاهر الحفاوة .

وبعد فتح بغداد التي كانت تسمى برج الأولياء ، قضى السلطان سليمان الشتاء هناك ، وبسبب موت سيد بك في الطريق عين مكانه جلال زاد ، مصطفى جلبي ، وعمير مسجد أبي حنيفة وقبر عبد القادر جيلاني . (٢)

(٣)  
ولاشك أن فتح العثمانيين للعراق أدى إلى ازدياد اهتمام السلطان سليمان بالمعركة الدائرة مع البرتغاليين ، ويرجع ذلك إلى امتداد النفوذ العثماني حينذاك إلى قرب سواحل الخليج العربي الشمالية فأصبحوا بذلك وجها لوجه أمام البرتغاليين .

---

(١) السيد رجب حراز : محاضرات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر ص ٢٣

(٢) Ismail Hakki uzuncarsili : Osmanli tarihi, P. 340 .

(٣) السيد مصطفى سالم : المرجع السابق ، ص ١٣٩ .

عندما تمكن السلطان سليمان من تصدى للأساطيل البرتغالية  
التي كانت تغلق مياه الخليج العربي وتمنع وصول التجارة الشرقية إلى  
(١)  
العراق .

ولقد كان من أهداف ضم العثمانيين العراق هو أن تتطلىق  
القوات البرية والبحرية العثمانية إلى المياه العربية والهندية لقتال  
البرتغاليين ولعمل حزام الأمن وذلك لحمايه مكة المكرمة والمدينة المنورة  
(٢)  
من المؤامرات التي كان يضرها قواد الأساطيل البرتغالية .

وكان ضم العراق أمراً ضرورياً أملاً أهمية موقعه الجغرافي فهو يتحكم  
في شمال الخليج العربي ، وكان اغلاق الخليج تماماً يعنى بالضرورة ضم  
الأراضي العراقية المطلة على الخليج ، والأهمية الاستراتيجية للسيطرة على  
العراق تكمن في أنه يمكن للعثمانيين من احكام الحصار البري والبحري على  
(٣)  
الدولة الصفوية .

---

(١) محمد عبد المنعم الراقدة : المرجع السابق /

ص ١٢٨ .

(٢) عبد العزيز نوار : مصر والعراق دراسة في تاريخ العلاقات بينهما حتى

نشوب الحرب العالمية الأولى ، ص ٦٢ .

(٣) محمد عبد المنعم الراقدة : المرجع السابق /

ص ٢٣٤ .

(١)  
وكان والى العراق الوزير يوسف باشا ، حيث ثار عليه رئيس الشرطة  
بكر أغا فقتله ثم خرج على الدولة العثمانية وأعلن امارته في العراق ، فأرسلت  
الدولة جيشا بقيادة حافظ باشا ، فوصل العراق ودارت بين الفريقين عدة  
معارك أسفرت في آخرها عن ظفر الجيش العثماني فانهزم بكر أغا وتحصن  
في بغداد ، حيث حاصرها حافظ باشا .  
(٢)

ولما رأى بكر أغا عجزه عن المقاومة استنجد بالشاه عباس الصفوي  
وطلب منه أن يمدّه بالجند لدفع العثمانيين ، على أن يكون الحكم له والخطبة  
والسكة باسم الشاه ، فقبل الشاه وأرسل لنجدته جيشا مؤلفا من عشرة آلاف  
مقاتل ، فارتأى حافظ باشا حينذاك أن يفاوض بكر أغا في الصلح ويوجه اليه  
ولاية بغداد على شرط أن يقلب ظهر المجن للصفويين ويمنعهم من دخول  
بغداد ، فرضى بكر أغا بذلك فكتب له عهدا بولاية بغداد ، وعاد مع جيشه  
الى ديار بكر وذلك في أوائل جلوس السلطان مراد خان الرابع ، ثم أرسل  
بكر أغا الى الشاه يعلمه بما تم من أمر الصلح بينه وبين الدولة العثمانية ،

---

(١) Cengiz orhonlu : *ibid* ، P. 11 .

(٢) خالد عبد المنعم العائسي : المرجع السابق ، المجلد

وذلك بعد أن كان الجيش الصفوي قد وصل حينذاك إلى خانيق وأنتشرت  
طلائعه في نواحي فزاريات " السعدية " وشهربان المقدادية " ويشكره  
على اسعاف طلبه بإرسال الجيش لنجدة " ويستعطفه أن يعطى  
أمرا بارجوع الجيش ، فاستشاط الشاه عباس غضبا وزحف بنفسه على العراق  
وألقى الحصار على بغداد وضيق عليها من كل جانب ، ودام الحصار ثلاثة  
(١)  
أشهر كان فيها بكر اغ و جيشه يدافعون دفاع الأبطال .

وأكثر باشوات بغداد لم تكن لهم أهمية ذات بال في التاريخ ولذلك  
نكتفي بأن نعرف بأشهر هؤلاء الباشوات ومنهم :

سليمان باشا بن قباد ، وهو أول حاكم عثماني لبغداد ، وكان عمره  
حافلا بالقليل بسبب القبائل نصف المتوطنة التي كانت لا تحتل الأذعان  
للحكومة في بغداد ، كما عانى هذا الباشا من حدة الصراع بين السنة  
والشيعة .

ومن باشوات بغداد الذين خلدوا ذكرهم بها سنان باشا حيفا لزادة

---

(١) خالد عبد المنعم العائى : المرجع السابق ،

" ٩٩٩ هـ " فهو الذي شيد خانة للمسافرين وبنائات أخرى عرفت باسمه  
مدة طويلة ، ولهذا امتد الوقت الذي كان يقترن فيه اسم جيفالزادة العظيم  
ببغداد ، وقد عيّن هذا الباشا صدرا أعظم بعد ذلك ، وقد أصبح ابنه محمود  
واليا على بغداد بعد بعض الصراعات والثورات التي تلت عهد والده ،  
ويرتبط باسم محمود بلدة المحمودية التي أسسها على بعد مرحلة جنوب  
بغداد . (١)

ومن ناحية أخرى لم تكثف الدولة العثمانية بدخول البحر الأحمر  
ومواجهة البرتغاليين فيه وإنما فعلت ذلك أيضا بالنسبة للخليج العربي ،  
فوجدت الدولة العثمانية بعد أن فتحت العراق تصل إلى البصرة وتنشئ ولاية  
البصرة العثمانية ثم بعد هذا تفتح إقليم الأحساء ويحدث صراع طويل بين  
العثمانيين والبرتغاليين في الخليج العربي مثل ما حدث في البحر الأحمر ،  
ولذلك فإن ميادين الصراع بين المسلمين مثلين في العثمانيين وبين الصليبيين  
مثلين في البرتغاليين هي : البحر الأحمر ، الخليج العربي ، المحيط  
الهندي .

---

(١) أحمد شلبي : المرجع السابق / ،

ولما وصلت الدولة العثمانية الى البصرة والأحساء كان البرتغاليون

قد نجحوا في توطيد مراكزهم في الخليج العربي .

ويجب أن نلاحظ أن تضاريس إيران كانت عاملاً مهماً في هذا السبيل

(١)

ومعنى التضاريس يعنى المرتفعات والمنخفضات .

ونلاحظ أن مرتفعات زاغروس تمتد على السواحل الغربية لإيران

أو بمعنى آخر على الساحل الشرقى للخليج العربى ولذلك لم يتصل

الإيرانيون بالبحر اتصالاً مباشراً ولم يلعبوا دوراً رئيسياً في التاريخ البحرى

للخليج العربى والمحيط الهندى يعكس العرب على الشاطئ الشرقى لشبه

الجزيرة العربية أو بمعنى آخر على الشاطئ الغربى للخليج العربى لأن

السهول المنبسطة في شرق شبه الجزيرة العربية مكنت العرب من إنشاء

الموانئ وبناء الأساطيل والقيام بدور كبير في التاريخ البحرى للخليج العربى

، كذلك مكنتهم هذا من الانتقال من الشاطئ الغربى للخليج العربى الى

---

(١) محمد البحرأوى : موقف العالم الاسلامى من التهديد

الصليبي في مطلع العصر الحديث .

هذه محاضرات ألقاها على طلبته في السنة المنهجية

عام ١٤٠٤ هـ ولم تنشر .

الشاطىء الشرقى للخليج وبناء مستقرات عربية على الساحل الايرانى المطل

على الخليج .

ولذلك يقول بعض المؤرخين أن العرب امتلكوا السواحل البحرية

لايران أما الفرس فقد حجزتهم هذه الحواجز الطبيعية " الجبال " عن

الخليج وعن المحيط وبالتالي نشأ عند هم ما يسميه المؤرخون بالحواجز

النفسية ومعناه خوفهم من البحر ، ولذلك حينما اقتحم البرتغاليون الخليج

العربى فان الذى تعرض لهم وقام بحركة جهاد بحرى هم القبائل العربية

من بنى كعب التى كانت مستقرة على الشاطىء الشرقى لشبه الجزيرة العربية ،

والتي كان بعضها قد انتقل الى الشاطىء الشرقى للخليج ، لأنهم عاشوا فى

بيئة بحرية وتعلموا أصول الملاحة وهنا يجب أن نشير الى اماره عرستان

العربية والتي تقع فى شمال شرق الخليج العربى أو بمعنى آخر تقع فى غرب

ايران وتفصلها عن بقية ايران جبال اليختارية وهى جزء من جبال زاغروس ،

فكان هذا القوس الجبلى هو الذى عزل اماره عرستان عن بقية ايران وهى

بهذا الشكل تعتبر مفتوحة تجاه العام العربى ، والايرانيون هم الذين كانوا

أسموها عرستان ومعناها بلاد العرب بسبب أن أغلبية السكان عرب ، وكان

اسمها باللغة الفارسية خوزستان ، ولكن العرب أسموها الأهواز وتجرب فيها

أنهار كثيرة من أهمها نهر قارون وتقع عند مصبه مدينة المحمرة التى

يسمىها الايرانيون خور مشهر \*

وكان عرب بنى كعب قد هاجروا من نجد الى البصرة ثم انتقلوا  
الى عريستان ولما ضمت الدولة العثمانية المشرق العربي اختار العرب  
في عريستان أن يقدّموا ولاءهم للدولة العثمانية بعد أن فتحت الدولة  
العراق ، واستمر النزاع بين الايرانيين والعثمانيين على امارة عريستان \*  
(١)

---

(١) محمد عبد اللطيف البجراوى : موقف العالم الاسلامى من التهديد

الصليبي في مطلع العصر الحديث \*

هذه محاضرات ألقاها الدكتور على طلبته في السنة المنهجية لعام

١٤٠٤ هـ ولم تنشر \*



ب - علاقات السلطان سليمان الاول برؤساء الجزاير في الخليج والبصرة والقطيف والبحرين  
والاحساء :

لم تكد تمر سوى سنوات قليلة من سقوط بغداد حتى قرر السلطان  
العثماني أن يعد سيطرته المباشرة على البصرة والجزاير والساحل الغربي  
للخليج العربي ولا شك أن التجارب العديدة والخبرات العسكرية البحرية  
خلال الحملات البحرية العثمانية ضد العدوان البرتغالي في المياه  
الاسلامية الجنوبية قد أكدت أن مثل هذه الحملات الخارجة من ميناء  
السويس صوب المياه الهندية والخليج العربي تحتاج الى حد كبير الى أن  
تكون شواطئ الخليج العربي تحت يد عثمانية ، كما أكدت أن الأسطول  
العثماني في حاجة الى ميناء كبير يمكن أن يلعب الدورين الضروريين لنجاح  
الحملات البحرية ضد البرتغاليين في المياه الهندية مما يستوجب وجود  
قاعدة بحرية هجومية تنطلق منها الأساطيل في حملات مباشرة ضد القواعد  
البرتغالية في الخليج العربي وضد الوجود العدواني البرتغالي في المياه  
الهندية وأن يكون الميناء ملجأ للأساطيل العثمانية المنطلقة من السويس الى  
المياه الهندية ترسو فيها ما بين الحملات لتستريح القطع المقاتلة ورجالها ،  
( ١ )  
لترمم ما عطب فيها ولتستعد لحملات جديدة .

وبالنسبة لمنطقة الجزاير كانت صلبة وعقيدة في مقاومة العثمانيين بسبب

---

( ١ ) عبد العزيز نوار : التاريخ الحديث ، الشعوب الاسلامية ، ص ١١٣ .

طبيعة بلادها الوعرة ولذلك كان من الممكن أن يحصل العثمانيون من وقت  
لآخر على خضوع آل عليان " حكام المنطقة " خضوعا اسميا دون أن يتحول  
هذا الخضوع الى سيطرة مباشرة عثمانية على الجزائر .<sup>(١)</sup>

وأخذ العثمانيون في منتصف القرن السادس عشر يظهرون نشاطا  
متزايدا في منطقة الخليج مما أدى في الحال الى صراع علني ما بينهم وبين  
البرتغاليين وفي سنة ٩٥٨هـ / ١٥٥٠م سلم عرب قطيف قلعتهم للعثمانيين مما أغاظ  
ملك هرمز ، ثم انهم طردوا حاكم البصرة من مملكته ، ولما كان لدى هذا  
الآخر قوة قوامها ثلاثون ألف رجل تحت تصرفه وقد دعا البرتغاليين لمساعدته  
ابان ولاية أفونسو دي توروניה ، ووعدهم مقابل ذلك لبعض الامتيازات ، والسماح  
لهم ببناء قلعة " في ميناء البصرة " ، وقد أنفذ نائب الملك أسطولا من ١٩  
قطعة و ١٢٠٠ من الرجال الى الخليج تحت قيادة أنطونيو دي نرونها لمساعدة  
ملوك البصرة ، وقد دمر نرونها قلعة قطيف الى الأرض ثم ألق الى البصرة ولكنه  
لم ينجز هناك الا القليل لأن هناك باشا محتلا أقنعه بأنه قد أرسل اليه من

---

(١) عبد العزيز نوار: المرجع السابق ، ص ١١٥ .

أجل أن يسلم إلى أعدائه ، ومن ثم عاد مخذولا إلى هرمز وهناك فهم أنه  
(١)  
خدع ولكن بعد فوات الأوان .

وكانت البصرة لها شبه استقلال إلى سنة ٩٤٥ هـ حيث بعث حاكمها  
يومئذ مغامس بن مانع برضائه واختياره مفاتيح قلعتها مع ابنه راشد إلى  
السلطان سليمان وعرض على سدة طاعته وخضوعه ، فالحقت البصرة بولاية  
(٢)  
بغداد يحكمها وال واحد .

ولما شاهد السلطان سليمان الطاعة والانقياد من الشيخ مغامس  
سرّه ذلك ، فأكرم ابنه " راشد " أكراما جزيلا وأقره هو وولده راشد على حكم  
البصرة ، بشرط أن يعمل في البصرة بمقتضى ما تصدر له الأوامر من ولاية  
(٣)  
بغداد وفي سنة ٩٥٦ هـ عصت أنحاء الجزائر وواسط فاستنجد أميرها على  
بيك من وإلى البصرة ، فرفع وإلى البصرة الخبر إلى بغداد فأرسل واليها  
عسكرا تحت قيادة " ترمذ علي باشا " وسارت العساكر من البصرة أيضا  
فحاصروا " حاكم الجزائر عليان " في قلعة المدينة وابتدأ الحرب بين  
الطرفين ففر " عليان " بعد معركة شديدة فاستولت الجنود العثمانية على

---

(١) السير أرنولد ويلسون : المراجع السابق ، ص ٢٢٠ .

(٢) Cengiz Orhonlu : ١ ٦ ٣ ٤ ، P. 265

(٣) Cengiz Orhonlu : ١ ٦ ١ ٤ ، P. 365

١٥٦٤م

الجزائر وواسط وأمنوا الأهالي ونظموا مركز الحكومة هناك ، وفي سنة ٩٧٠هـ

١٥٦٩م

وجهت ولاية البصرة الى " بكركي د رويش على باشا " وفي سنة ٩٧٥هـ جمع

ابن عليان الأعراب من المنتفق والجزائر وسار بهم نحو الجزائر فاحتلها مرة

ثانية فجبهت والى بغداد الجنود وساقها نحو ابن عليان تحت قيادة

" اسكندر باشا " ولذلك حشد والى البصرة عساكره ووجهها نحو المذكور

(١)

فطردوا ابن عليان وضبطوا الجزائر مرة ثانية .

(٢)

وبعد أن وضعت هرموز تحت الحكم المباشر البرتغالي ، كان طبيعيا

أن يتطلع هؤلاء الغزاة الى السيطرة على البصرة ، وكانت الظروف في جنوب

العراق مضطربة فقد كان هناك نزاع شديد بين راشد بن مفامس وأمسير

(٣)

الحويضة .

ولهذا قرر السلطان سليمان ارسال حملة بحرية الى الخليج العربي

(١) محمد بن خليفة بن حمد بن موسى النبهانى الطائى : المرجع

السابع / ، الجزء التاسع ، ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .

Cengiz Orhonlu: *İbade* , P. 267

(٢) احمد مصطفى ابو حاكمه : المرجع السابق /

ص ٢١ .

(٣) عبدالعزيز نوار : تاريخ العرب الحديث ، ص ٧٠ .

لمحاربة النفوذ البرتغالي به وللإستيلاء على جزيرة هرمز والحق ادارتها  
(١)  
بالبصرة وأدى تدخل البرتغال الى اصدار تعليمات من السلطان الى  
سليمان باشا والى مصر بتجهيز أسطول وارساله الى البصرة مباشرة  
وبالاشتراك مع القوة التي كانت ترابط هناك يقوم بالتحرك الى هرمز  
والإستيلاء عليها ، وقد أمضى الأميرال المكلف بتلك الحملة شهورا في  
الاستعداد وجمع السفن والرجال والعتاد اللازم وبعد أن فرغ من ذلك  
غادر السويس ، وكان الأسطول يتكون من ثلاثين سفينة وستة عشر ألف رجل .  
وفي تلك الأثناء تسربت أخبار تلك الخطة الى البرتغاليين ، فعمد  
قائد الحامية البرتغالية في هرمز وهو الفارودا نوروניהا بإيقاد بعض رجاله  
لجمع معلومات عن الحملة العثمانية المزمعة .  
(٢)

(٤)  
لم تتوغل القوات العثمانية صوب البصرة إذ اكتفى السلطان بإعلان  
راشد بن مغمص - شيخ المنتفق وصاحب البصرة - ولاءه له ، ولكن لم تلبث

---

(١) السيد مصطفى سالم : المرجع السابق ، ص ٤٠٧ .

(٢) س.ب. مايلز : المرجع السابق ، ص ١٧٢ .

(٣) أبو محمد مصطفى بن السيد حسن بن السيد سنان الهاشمي الشهير

بالجنابي : المرجع السابق ، ص ٣٥٨ .

(٤) محمد جميل بيهم : المرجع السابق ، ص ٦٨ .

العشائر العربية أن تمردت على الحكم الجديد ، فزحفت القوات العثمانية الى البصرة واحتلتها وبعد أن اكتمل الفتح العثماني للعراق أصبح يتألف من أربع ولايات هي :-

- ١ - الموصل .
- ٢ - شهرزور .
- ٣ - بغداد .
- ٤ - البصرة .

والى الجنوب من البصرة ولاية الأحساء ذات الارتباط الوثيق بالعراق ، وكانت الامارات والعشائر الكردية تنتشر فى اياها حتى شهرزور والموصل ، أما العشائر العربية فكانت تنتشر فى ولايات بغداد والبصرة والأحساء وكذلك (١) فى ولاية الموصل .

وفى سنة ١٥٤٣/ هـ تولى البصرة مانع المغاسم ثم فى سنة ١٥٤٤/ هـ جعل<sup>٢</sup> الشيخ مغاسم يعاكس بعض أوامر ولاية بغداد وربما رفض بعضها بتاتا ، وصادف أن لجأ اليه بعض الجناة الأشرار فحماهم فطلبهم والى بغداد ، فامتنع الشيخ من ارسالهم فعرض الوالى الخبر على أعتاب السلطنة فصدرت الأوامر بسوق

---

(١) عبد العزيز نوار : تاريخ العرب المعاصرين والعراق ، ص ٣٣٧ .

الجنود نحو البصرة فتوجهت تحت قيادة " اياس باشا " سنة ٩٥٣ هـ ،  
والتقيا عند الجزاير وجرت بينهما معركة أسفرت بانكمار الشيخ مغامس  
وفراره الى نجد ، وأحتل اياس باشا البصرة سنة ٩٥٣ هـ وتولى الحكم فيها  
فرفع المظالم وبعض الضرائب المخالفة لقوانين الحكومات المتعددة ، فسر  
الأهالي من اياس .<sup>(١)</sup>

وأستنجد ابن مغامس بالبرتغاليين ، وفعلوا جاء الى البصرة  
القائد البرتغالي أنطونيو دى نورنشا بعد تدبير القطيف في سنة ٩٥٧ هـ  
/ ١٥٥٠ م ولكنه خشى من غدر أمير البصرة السابق ، فعاد الى هرمز دون  
أن يقدم معونة حقيقية لابن مغامس ، وفي عام ٩٦٤ هـ / ١٥٥٦ م ، قام  
البرتغاليون بحملة على البصرة ولكنها لم تحقق شيئا ، حيث اجتاحت  
الأسطول عاصفة عاتية .

<sup>(٢)</sup>  
وبعد فتح البصرة اتجهت الحكومة العثمانية الى بسط سيطرتها على  
المناطق المحيطة بالبصرة ، أو بمعنى آخر في اتجاه عريستان والحويزة

---

(١) محمد بن خليفة بن حمد بن موسى النبهاني الطائي : المرجع  
السابق ، الجزء التاسع ، ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .

Cengiz Orhonlu : *İd* ، P. 265

(٢) نوال حمزه صيرفي : المرجع السابق ، ص ١٣٣ .

والجزاير شرقا وغربا في اتجاه عشائر ما بين البصرة والأحساء ، وفي اتجاه

( ١ )

الأحساء " القطيف " والبحرين وسقط .

ج - بيلريكية البصرة ٩٥٤ هـ / ١٥٤٦ م :

وكان العثمانيون يحرصون على البصرة واستتباب الأحوال فيها ،

فقد كان يرجع بادئ الأمر عند احتلالها الى مقاومة النفوذ البرتغالي في

الخليج وفي ديار الاسلام عامة ثم كذلك للحفاظ على مواصلاتهم مع اقليم

الأحساء الذي فتحوه بعد ذلك ، غير أن اقتلاع جذور النفوذ البرتغالي

من شمال الخليج العربي ، لم يفقد البصرة أهميتها من وجهة النظر

التركية العثمانية ، إذ أن مركز البصرة التجاري كان ممتازا لا سيما بعد

أن أسست الشركات الأوروبية فيها وكالاتها التجارية ، وعلى هذا حصر

والى بغداد على استتباب الأمن في نواحيها ، ذلك أن عظم التجارة فيها

أوقلتها ، كان يتوقف على ذلك الأمر الى حد بعيد ، والواقع ان مقدار

التجارة بالبصرة وبينها وبين بغداد وسائر أجزاء البشاك كان يتوقف على

عدة عوامل يأتي في مقدمتها شخص متسلم البصرة ، فجع ذلك المتسلم

أو حكمته وتعقله ، وحسن تصرفه مع وكلاء الشركات التجارية ، كل ذلك

( ٢ )

كان له أثره في مقدار التجارة بالبصرة .

( ١ ) عبد العزيز نوار : التاريخ الحديث ، الشعوب الاسلامية ، ص ١١٤ .

( ٢ ) احمد مصطفى او حاكمه : المرجع السابق /



وقبل مغادرة السلطان سليمان العراق خاف الشيخ الذي كان يحكم البصرة فبعث ولده " راشد " يحمل المفاتيح ووسائل الخضوع الى السلطان ، فأحلت البصرة على هذا النحو بالدولة العثمانية وأصبحت (١)  
إيالة عثمانية ، " وذلك مثلما حدث في الجناح الغربي لحزام الأمن العثماني ، وهو ما فعله الشريف بركات من إرسال ابنه أبو نسي للسلطان سليم الأول ومعه مفاتيح الكعبة " .

وعلى اثر ضم العثمانيين للبصرة ، حاولوا أن يوجهوا اهتمامهم الى شط العرب ، باعتباره منفذا لهم الى الخليج العربي ، وأرادوا أن يجعلوا من البصرة قاعدة لهم للانطلاق منها ضد البرتغاليين في الخليج العربي ، ولذا لك بنوا أسطولا بلغ عدد قطعه ثلاثين سفينة الا أنه كان أسطولا غير قوى .

---

(١) محمد أنيس : المرجع السابق ، ص ١٣٧ .

محمد سعيد المسلم : المرجع السابق /  
ص ١٧١ .

عبد العزيز الشناوي : المرجع السابق /  
الجزء الثاني ، ص ٧٥٥ .

(٢) السيد رجب حراز : محاضرات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر  
ص ٢٥ .

د - حملات عثمانية بحرية في الخليج " بييرى " مراد ، على ريس ، الخليج ، منطقة

مفتوحة :

لما كان استيلاء سليمان باشا الخادم على مدينة عدن وقتل أميرها

المدعو عامر بن داود ثارت الأهالي خصوصا أقاربهم على الحاكم الذي تعين

لمحافظتها وأتفقوا مع البرتغاليين وساعدوهم على تسليم المدينة لهم ولما

علمت الدولة بذلك ، سيما وأن نجاحها في التجربة الأولى لم يأت

بالفائدة المطلوبة أرسلت في سنة ٩٥٩ هـ / ١٥٥١ م عمارة أخرى من البحر

الأخضر تحت قيادة المدعو بييرى رئيس ، الذي يمثل صنفا آخر من القواد (١)

العثمانيين الذين أودوا للآداب عامة والجغرافيا خاصة خدمات علمية ، وكتبوا

عن أعمالهم كتابة جيدة اتخذت مكانها في ميدان العلم والمعرفة ، ألف

بييرى كتابا في البحرية ، كما أهدى للسلطان وصفا لرحلته بعضه نظم والآخر

نشر تحت عنوان " مرآة البلاد " .

وبييرى ريس حفيد كمال ريس ذلك المجاهد الذي كان اسمه مبعث رعب

للأعداء .

في أيام يزيد الثاني ، وكان بييرى ضمن الحملة العثمانية التي أرسلها

---

(١) اسماعيل سرهنك : المرجع السابق ، الجزء الأول ،

داود باشا لاستعادة عدن من علي بن سليمان البدوي وحلفائيه  
(١)

البرتغاليين .

٩٥٩هـ /  
وفي سنة ١٥٥١م صدرت أوامر الباب العالي الى والى مصر

بتوجيه الأسطول المصرى الى مياه الهند ، واستخلاص عدن التى شق  
أهلها عصا الطاعة وأتفقوا مع البرتغاليين ويقول فى ذلك سرهنك " وكان  
أهلها خلعوا رداء الطاعة وأتفقوا مع البرتغاليين وسلموهم قلعتهم ،  
وهزموا الحامية التى كان سليمان باشا الخادم تركها هناك ، فبعد  
أن تجهزت السفائن وشحنت بالمهمات والأدوات الحربية عينت الدولة  
" ببرى رئيس " وهو من مشاهير الملاحين ، أقطع من السويس وأستخلص  
(٢)  
قلعة ومدينة عدن من يد الأعداء بعد عدة وقائع وعاد ظافرا .

١٥٥١م /  
وفي عام ٩٥٩هـ خرج ببرى رئيس من السويس بثلاث سفن ووصل الى  
جدة ومن باب المندب الى عدن وبطريق ظفار وشحر عبر رأس الحد  
وكان البحر هائجا وتفرقت السفن وتمزق أكثرها ، وبقىة من السفن تحرك

---

(١) محمد البحراوى : المرجع السابق /

ص ١٦٣ .

(٢) سعاد ماهر : المرجع السابق ، ص ١٣٩ .

(١)

الى حصار مسقط ، وأخذ كل شىء من جزيرة هرمز وبرخت ، وكان الحاكم  
البرتغالى آنذاك فى هرمز ، هو الفارودى نورونها الذى وصلت أنباء  
الحملة العثمانية فأرسل سفنه للتجسس فى الخليج والبحر العربى ، ولما  
تأكد له الخبر بعث الى غوا طالبا النجدة ، وحاصر بيرى رئيس مسقط  
لمدة شهر تقريبا ، وقصفها بمدافع حتى أجبر حاكمها البرتغالى جون  
دى لسيوا على الاستسلام هو والحامية ، ثم اتجه بيرى رئيس بعد ذلك الى  
هرمز وأستولى عليها ما عدا القلعة التى تحصن فيها القائد البرتغالى والتى  
لم تؤثر فيها المدافع العثمانية ، ثم سار بيرى رئيس الى قشم ، نظرا  
لتحصن كثير من البرتغاليين بها وأستولى عليها وغنم منها غنائم كثيرة ،  
بعد ذلك اتجه بيرى رئيس الى البصرة حيث أزعاضة شتت الأسطول  
العثمانى فلجأت خمسة عشر سفينة منه الى نهاية الخليج فى البصرة ، وبقي  
مع بيرى ثلاث سفن فقط غرقت واحدة منها عند البحرين وعادت الأخرتان  
الى ساحل حضرموت فالبحر الأحمر فوصلتا السويس ، وبيرى هذا أصله من

---

(١) جليلى وحاجى خليفة تاملريلة : المصدر السابق

، ص ٦١ .

(٢) نوال حمزة صيرفى . المرجع السابق /

، ص ١٤٦ .

جزيرة قورسيقا وكان ملاحا ممتازا الا أن الحظ لم يواته وقد ألف بييرى  
هذا كتابا بالتركية سماه " بحرية " كما يقال انه رسم خريطة للدنيا  
عشر عليها ممزقة فى مكتبة سراى باستنبول وعن يد راسيتها المستشرق  
(١)  
الألماني كاله Kahle فى برلين .

وقد أرفق بييرى بالكتاب أطلسا ملاحيا كبيرا ، ثم أدخل تعديلات  
على مسودته ، ولم يقتصر التعديل الذى أجرى فى المسودة الثانية  
على المادة الكارتوجرافية وحدها بل امتد الى المتن أيضا ، فالمقدمة  
قد غيرت معالمها تماما لأن المؤلف أضاف إليها رسالة منظومة فى خمسين  
بصلا تعالج موضوعات شتى ، مما يحتاج اليه الملاحون كما يرد عرض أشير  
(٢)  
فيه الى بحر عدن .

ولما وصل بييرى ريس الى مصر كان السلطان سليمان قد أرسل أمرا  
بقتله لانتهاكه بالخيانة ، ثم تلى ذلك أن كلف السلطان سليمان عام ١٥٥٣م

---

(١) أنور عبد العليم : المرجع السابق ، ص ١٣٧ .  
محمد عبد المنعم السيد الراقى : المرجع السابق /

، ص ٢٣٢ .

(٢) محمود كمال المحامى : المرجع السابق /

، ص ٢٠٧ .

قائدا بحريا جديدا ، هو مراد بك يترك ولاية صر والذ هاب الى الخليج العربى للخروج بقطع الأسطول العثمانى المحصورة فى خليج البصرة ، ولجمع بقايا أسطول بيبرى رعى (١) ، والتحرك الى البحر الأحمر للاشتباك مع الأسطول البرتغالى الذى كان يبحر فى تلك الفترة فى المناطق الغربية من جدة •

(٢)  
غادر مراد باشا البصرة فى أغسطس عام ١٥٥٣ م ، وأرسلت معه ما يلزم للسفن الراسية فى ميناء البصرة ، وبعد أن نظم سفن الأسطول بها ترك للمحافظة عليها سفينتين حربيين وخمسة أغربة وأقلع بالباقيى يقصد السويس ، وكان أسطوله يتكون من سبعة عشر سفينة فلم يصاد فيه فى طريقه موانع حتى وصل الى معبر هرمز ، وهناك قابل أسطولا جسيما للبرتغال يبحر فى تلك المياه كأنه ينتظر الدونما العثمانية ، فالتزم مراد رئيس أن ينازله ودارت رحى الحرب بين الطرفين ، خرجا منها بخسائر فادحة وأستشهد من الأسطول العثمانى سليمان رئيس قبودان سفينة القائد

---

(١) محمد أنيس : المرجع السابق / ، ص ١٣٤ •

السيد رجب حراز : محاضرات فى تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ٢٦ •

(٢) ص.ب. مايلز : المرجع السابق / ، ص ١٢٤ •

مراد رئيس وعدد كبير من بحارة الأسطول ، ولأن بعض السفن أصابها

(١)  
تلف عظيم التزم مراد رئيس أن يعود ثانية الى ميناء البصرة .

ووجد مراد رئيس فرصة لأن يخرج من الخليج العربي ، وفي جوار

(٢)  
جزيرة هرمز أجريت مصادمات شديدة ولكن لم ينجح في هذه المحاربة ،

لذلك عهد السلطان سليمان الى مراد بك بقيادة السفن المتبقية

المتجمعة في البصرة ، وأمره بإعداد سفن أخرى لكي تنضم اليها ، فما

أن انتهى من ذلك حتى تقدم بأسطوله عبر الخليج نحو البحر الأحمر

لمواجهة الأسطول البرتغالي المتجه نحو جدة ، غير أن الضابط البرتغالي

" دانورونها " اعترض سبيله بالقرب من جزيرة " هنجام " وألحق به

(٣)  
الهزيمة ، فاضطرت السفن التركية المتبقية الى التوجه نحو البصرة .

---

(١) سعاد ماهر : المرجع السابق /

، ص ١٤٠ .

عبد العزيز نسوار : التاريخ الحديث ، الشعوب الاسلامية

، ص ١٤٣ .

(٢) Ismail Hakki uzuncar sili : Osmanli tarihi, (٢)

P. 386 .

(٣) بدر الدين عباس الخصوصي : المرجع السابق /

، ص ٢٥ .

ثم إلى القسطنطينية ، وقص على السلطان ما حدث ، وصور له

مدى ما ذهبت إليه الحالة في المحيط الهندي .

والظاهر أن العثمانيين قد نزّلوا بقايا هذا الأسطول لمجرد

جس النبض ، وقياس مدى ما كانت تصل إليه قوة البرتغاليين في المحيط

الهندي ، فان اصرارهم على اخراج هذه البقية الباقية من ذلك

الأسطول للوصول إلى عدن ثم السويس ، لا يمكن أن يفسر بأنه عمل

ذو أهمية فيما إذا كان قصدهم غير ذلك ، والحق أن هذه المحاولات

قد أتت بنتائج عكسية ، فقد زادت سمعتهم ومركزهم في ذلك الميدان

سواءً بينما ازداد البرتغاليون ثقة في أنفسهم ، وطمعا في هزيمة

(١)

العثمانيين هزيمة تمحو هيبتهم من ذلك الميدان .

لقد شكلت البقية الباقية من أسطول مراد باشا المنكوب النواة

للأسطول التركي الجديد الذي عهد السلطان سليمان بتنظيمه وقيادته

إلى قائد اختاره بنفسه لتلك المهمة وهو الملاح المشهور سيدي عيسى

رييس الذي سبق أن عمل تحت إمرة القائد البحري المشهور بربروسا

---

(١) محمد البحراوي : المرجع السابق /



أخير الدين ، الروديسى الأصل وكان يشغل منصب قائد أسطول منطقة  
اسطنبول ، وتقديرا من السلطان لخدماته فقد نقله وعينه أميراً للأسطول  
التركي في مصر ، وكان لهذا الرئيس اطلاع تام على بحار الهند وخواصها  
وله في ذلك تأليف معتبر منها كتابه الذي سماه بالمحيط وصف فيه بحار  
(١)  
الهند وصفا مدققا .  
(٢)

وقد قام بترجمته المستشرق هامر Hammer كما نقله إلى اللغة  
الألمانية في أواخر القرن الماضي المستشرق ماكس بيثنر Max Bithner  
وعلق عليه العالم النمساوي توماشك Tomaschek ، ويرى توماشك  
أن كتاب " محيط " اثر نادري في تاريخ الملاحة ويعتقد هذا المؤلف  
أيضا أنه يجمع بين دفتيه مادة لا مثيل لها يمكن مقارنتها بأفضل الآثار  
البرتغالية من هذا الطراز ، كما يضيف بأن خارطات البرتغال قد  
خضعت لتأثير الخارطات الشرقية ، وهذا أمر يوافقه عليه كونتي روسيني  
(٣)  
أيضا .

- 
- (١) س. ب. مايلز : المرجع السابق / ، ص ١٧٦ .  
(٢) اسماعيل سرهنك : المرجع السابق / ، الجزء  
الأول ، ص ٥٤٩ .  
(٣) أنور عبد العليم : المرجع السابق / ، ص ٥٤ .

ويعتبر سيدى على ريس من أشهر أمراء البحر العثمانيين الذين  
ظهروا فى القرن السادس عشر ، فقد اشترك مع السلطان سليمان فى  
الاستيلاء على جزيرة رودس ، وقد اهتم سيدى على بإصلاح السفن  
وباعدادها للسفر فور وصوله الى البصرة فى شهر صفر سنة ٩٦١ هـ الموافق  
فبراير سنة ١٥٥٤م وعند ما حل موسم الرياح ، رغب سيدى على فى  
الكشف عن وجود أسطول برتغالى عند مضيق هرمز وذلك قبل أن يبدأ  
رحلته الى مصر ، فأمر والى البصرة أحد بحارته بالتجول على ظهر إحدى  
السفن الخفيفة فى أنحاء الخليج العربى حتى مضيق هرمز للتجسس على  
أخبار البرتغاليين فى الخليج العربى وتقابل هناك بالكفار وكان لا يوجد<sup>(١)</sup>  
فى أيدي الكفار أكثر من أربعة سفن ولم يحاربوا معهم ، وخرج سيد على  
ريس من البصرة بسرعة ومضى من عبادان ودسيول ووصلوا الى قرب الأحساء  
والقطيف والبحرين والتقوا مع مراد ريس هناك وتفرقوا هناك من سواحل ظفار  
ومدينة خور وكان ذلك فى العاشر من رمضان وتقابلوا هناك بالكفار وكان فى  
أيدي الكفار أربع سفن كبيرة ومعه أربع عشرة قارب وبدأت الحرب بشدة  
وكانت القنابل تضرب سفن الكفار بشدة وغرقت بعض سفن الكفار هناك ،

---

(١) السيد مصطفى سالم : المرجع السابق / ص ٤٠٩ .

وحاربوا الى وقت العشاء وبعد غلبة سيد على البرتغاليين فرّ  
البرتغاليون بعدة سفن وتوجه العثمانيون الى جانب مسقط ووصلوا  
(١)  
هناك في سبعة عشر يوما .

جهز العثمانيون حملة أخرى قوامها عشرون سفينة ، بقيادة  
الأميرال سيدى على ~~رييس~~ ، الذى تقابل مع ٢٤ سفينة حربية  
برتغالية وهبت باصطف هوجاء شتت الأسطولين المتقاتلين وأستطاع  
سيدى على التوجه بمراكبه الى شغرى ديو وسورات Dio & surat  
على ساحل الدكن بعد أن اضطر لالقاء بعض المدافع فى البحر لتخفيف  
الحمولة ورغم ذلك لم تصل سوى تسع سفن من أسطوله ، وهناك اشترأها  
أمير سورات وتم تسريح بحارتها الذين اختار سيدى على من بينهم  
خمسین بحارا ليصحبوه فى رحلة العودة الى أرض الوطن بطريق السبر  
مجتازين السند والخراسان ، وأخيرا وصل تركيا فى عام ١٥٥٢م ، وقابل  
السلطان العثمانى وأطلعه على مسودة كتابه " محيط " الذى سبق  
الكلام عنه والذى ألف الجزء الأكبر منه فى الخليج العربى ، وكان

---

(١) جلى وحاجى خليفة ناملرلة : المرجع السابق ، ص ٦٣ .  
السيد مصطفى سالم : المرجع السابق /

(١)

الأميرال العثماني قد قوبل أيضا بحفا وتكبير في أحمد آباد عاصمة جزرات  
، ونزل الى سواحل بلوچستان وذهب من بلوچستان الى بندر كوار،  
وساعد حاكم بندر كوار سيدى على ريس وأخذ سيدى على ريس من هناك  
دلائل ، واستطاع أن يصل الى كجرات بصعوبة وسلم الأسطول لناظر  
كجرات خداوند خان وجاء الى أد رنه بعد أربع سنوات ومعه سبعون  
شخصا .

(٢)

وكان فشل حملة سيدى على / نهاية لآمال العثمانيين في الخليج  
العربي وفيما بعد ، ، وتسليما بالمركز الذي وصلت اليه قوة البرتغاليين في  
الهند فلما اشتد النفوذ الأوروبي في ذلك الخليج بوصول عناصر أوربيية  
جديدة كانت على علاقات قوية بالفرس الذين تقوا بهم ضد العثمانيين ،

---

(١) أنور عبد العليم : المرجع السابق / ص ١٣٨

سعاد ماهر : المرجع السابق / ص ١٤٠ .

محمد عبد المنعم السيد الراقدة : المرجع السابق /

ص ٢٢٣

Ismail Hakki Uzuncarsili: 1618 p.387

السيد رجب حراز : محاضرات في تاريخ العرب الحديث

والمعاصرة ص ٢٦ .

Ahmad rasim: 1618 P. 352. (٢)

اضطر العثمانيون أن يسقطوا من حسابهم هذا الخليج أيضا بعد أن  
(١)  
أسقطوا الميدان الهندي من قبله .

ومما تجدر الإشارة إليه أن مكانة البرتغاليين في الخليج العربي  
قد أخذت تتدهور منذ أواخر القرن السادس عشر ، وعلى وجه التحديد  
٩٨٦ هـ  
منذ عام ١٥٨٠ م حينما خضعت بلادهم للتاج الأسباني فتراخت قبضتهم  
(٢)  
على تلك الأنحاء .

٩٨٧ هـ  
وفي عام ١٥٨١ م احتل العثمانيون مسقط على يد المدعو علي بك  
الذي توجه إلى هناك بثلاث سفن تركية من ميناء مخا وقد جرى هجوم على  
(٣)  
المدينة وكان البرتغاليون غير مستعدين له ففروا فرعا نحو الداخل ، واستطاع  
علي بك أن ينزل بالبرتغاليين هزيمة ساحقة في مسقط ، وبعد ها سار إلى  
عدن ومن ثم إلى شرق أفريقية وهناك هاجم المراكز البرتغالية ، في مباسا ،  
(٤)  
وماليندي .

---

(١) محمد البحراوى : المرجع السابق /

ص ١٦٢ .

(٢) السيد رجب حراز : محاضرات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ٢٢ .

(٣) السيد أرنولد ويلسون : المرجع السابق / ص ٢٢٢ .

(٤) نوال حمزة صيرفى : المرجع السابق /

ص ١٥١ .

هـ - الخطة الجديدة :

١ - التركيز على الساحل الشرقي للجزيرة العربية والقوة البرية :

اتبعت الدولة العثمانية خطة فعالة حازمة لمواجهة الخطر الأوربي  
في الخليج العربي ، فنصبت في مرفأ السويس قيودا ن باشا وعهدت اليه  
مهام ما وراء البحر الأحمر ، وفعلا تقدم أسطولها بامرة برى باشا الى  
(١)  
الخليج العربي .

وازدادت قوة لأسطول العثماني من قبل بييرى رئيس ، وأرسل  
العثمانيون الى عدن أسطولا برئاسة بييرى رئيس الذي مر بعد ن وذلك في عام  
١٥٦٦هـ /  
١٥٤٨م ، وأخذ البرتغاليون في انشاء القلاع في مسقط وهرمز ونزلوا الى  
القطيف لمنع العثمانيين من استرداد قوتهم في الخليج العربي ، وذلك  
بعد أن بدأ تركيز العثمانيين على الساحل الشرقي للجزيرة العربية والقوة  
(٢)  
البرية .

ونزلت قوات عثمانية وضمت القطيف وقطر وأجزاء من الأحساء التي جعلت  
ولاية عثمانية ، وعين السلطان بها ولاية وموظفين ، لكن هذا كله لم يؤد الى  
نتيجة حاسمة في بسط السيطرة العثمانية على الخليج العربي لأن المسافة

---

(١) محمد جميل بيهم : المرجع السابق / ص ٩٠ .

(٢) Stanford show : Osmanli Imperator lugu ve

الجزء الأول . modern turkiye, P. 158 .

بينه وبين القاعدة العثمانية الأساسية في السويس بعيدة ، وقد ثبت أن  
السويس أبعد من أن تصلح لارسال حملات بحرية متوالية تتوغل حتى  
الهند والبصرة •

لهذا نجد أن الدولة العثمانية رأت أن تركز على القوة البرية  
في الساحل الشرقي للجزيرة العربية وذلك لعدم اعداء البرتغاليين  
الفرصة لتهدد الأماكن المقدسة " مكة المكرمة — المدينة المنورة " عن  
طريق البر من الساحل الشرقي •  
(١)

ان الدولة العثمانية في صراعها مع البرتغاليين في الخليج العربي  
لم تنجح في حماية الخليج العربي من هذا التهديد الصليبي كما نجحت  
في حماية البحر الأحمر منه ، وذلك لأسباب منها : — بعد الخليج عن  
قواعد الدولة البحرية ، ولذلك اعتبرت الدولة العثمانية الأحساء هي خط  
الدفاع الشرقي عن الأماكن المقدسة الإسلامية وجعلت تركيزها الأساسي  
والأول على القوة البرية بدلا من البحرية ، وركزت اهتمامها على الساحل  
الشرقي للجزيرة العربية •  
(٢)

- 
- (١) محمد بدیع شریف وآخرین : المرجع السابق /  
ص ٢٢٧ •
- (٢) خلف دبلان الوزینانی : المرجع السابق /  
ص ٥٣ •

وكانت أغلب الحملات العثمانية تخرج من بيلربكية الأحساء والقطيف  
للمهجوم على قاعدة البرتغال في هرمز ، لصد الحملات البرتغالية الصليبية  
وذلك لبعده الخليج كما قلنا عن قواعد الدولة البحرية في قناة السويس ،  
واعتبرت الدولة الأحساء خط الدفاع الشرقي لها ، ولهذه الأسباب اختارت  
الدولة العثمانية الهفوف عاصمة لمقر حكمها ، ليكون خطا بريا مساندا للقوة  
البحرية في حروبها مع البرتغال في الخليج العربي .<sup>(١)</sup>

وهناك وثيقة تؤكد خطة العثمانيين الجديدة وهي تركيزهم على  
الساحل الشرقي للجزيرة العربية والقوة البرية " أمر الى أمراء البصرة ، وأن  
والى بغداد على باشا أطلال الله عمره وأدام أقباله ، قد كتب الينا رسالة  
ذكر فيها أن الكفار البرتغال الحقيقين لعنهم الله ، قد جاءوا في ١٢ سفينة  
قاد رغة وسفينتين قليون ووصلوا الى البحرين وبدأوا يتصلون بسفن التجار  
ويضرون السواحل القريبة من البحرين ومن أراضينا المحروسة ويتعدون على  
بعض قلاعنا ، فيجب أن تهتم أنت بالأمور وترسل ١٠ سفن الى منطقة الأحساء  
، لتحافظ عليها من العدوان وتدفع الشر عن أهلها ، كما تقوم أنت بمدافعة  
الأحساء ويكون والى بغداد ووالى شهر الزور وأمرتهم في رسائل السبتي

---

(١) خلف دبلان الودينياني : المرجع السابق / ص ٦٠ .



أرسلتها اليهما أن يعاونوك عند ما يجيء العدوان من الكفار لعنة الله  
عليهم الى سواحل مملكتنا ، وأمرتهم أن يعاونوك في البر ويسوقون  
الجيوش تحت أمرك كما تكون السفن في البحر تحت أمرك ، لتدافع  
بوجه مناسب على ما تراه حسنا عن أراضينا في السواحل ويجب أن تبقى  
في الدفاع عن المنطقة التي أن يجيء أمير أمراء جديد الى الأحساء  
وإذا جاء أمير أمراء الى الأحساء لا تهتم باستقباله وتترك موقفك عن  
الدفاع ويجب أن تضع عددا من الجنود في القلاع ليحافظوا على المملكة  
(١)  
بد قصة " .

ولقد كشف للدولت العثمانية عن ضعف وسائل الدفاع البرتغالي على  
مسقط من البحر وأدركوا أنهم لابد وأن يتعرضوا الى مزيد من التهديدات  
إذا لم تتوفر وسائل أكبر وأكثر فعالية للدفاع عن البلاد ، كما كان البرتغاليون  
يعرفون أن العثمانيين سوف يضمون مسقط ، وأنه لم يكن من المستبعد أن  
(٢)  
يقوموا بمحاولات للاستيلاء عليها .

---

(١) أرشيف رئاسة الوزراء ، باسطنبول ، دفتر المهمة رقم ١٢ ، ص ٢٢٢ .

رقم حكم السلطان ٦٣٨ .

(٢) س . ب . مايلز : المرجع السابق / ، ص ١٨٢ .

وقد أصبح نشاط العثمانيين بعد حملة على شلبى الذى أحرز  
عليه البرتغاليون انتصارا حاسما واشتدت سيطرتهم على المياه الإسلامية  
الجنوبية وخاصة فى الخليج العربى ، وهاجموا البحرين فى شكل  
(١)  
هجمات خاطفة مثل هجمات على بيبك على مسقط ،

ثم بعد ذلك زحف العثمانيون الى جزيرة البحرين برا من جهة  
قطر فاضطر البرتغاليون الى الانسحاب من سواحل الأحساء ومن جزيرة  
(٢)  
البحرين ولم يبق لهم تعلق بالخليج بعد ذلك .

---

(١) عبد العزيز نوار: التاريخ الحديث ، الشعوب الإسلامية ، ص ١٤٣ .

(٢) محمد بن خليفة بن حمد بن موسى النبهاني : المرجع السابق /

، الجزء السادس ، ص ١٠٦ .

٢ - جهاد عرب القطيف ، سنجقية القطيف :

تعتبر القطيف بلدة بناحية الأحساء ، وهى على شط بحر فارس ولها مفاص وهى فى شرقى الأحساء بشمال على نحو مرحلتين منها ولها نخل دون نخيل الأحساء وللقطيف خور من البحر يدخل فيه المراكب الكبار الموسقة فى حالة المد والجزر وبين القطيف والأحساء مسيرة يومين .<sup>(١)</sup>

وهى أرض الخط والرماح الخطية التى كانت مشهورة بين العرب منسوبة اليه ، وفى الخط جزيرة دارين الملاصقة للقطيف والأحساء وهى قرى كثيرة وأكبر ما فيها من البلاد : الهفوف والمبرز .

وفى جهة القطيف الشرقية بندر العقير الواقع على ساحل البحر وهو بندر الأحساء ، وكان فيه محل محصن معد لتجار نجد الذين يسافرون الى الأحساء فانهم اذا وصلوا الى هذا المحل جعلوا أموالهم فيه السان تائبهم الرواحل فتحمل أموالهم الى الأحساء .

ثم فى الجهة الشرقية من العقير " قطر " وهى منزل أهل السفائن من العرب الذين يغوصون فى البحر لاستخراج اللؤلؤ .<sup>(٢)</sup>

---

(١) صالح الدخيل : تحفة الألباء فى تاريخ الأحساء ، ص ٤٥٢ .

(٢) محمود شكرى الألوسى : تاريخ نجد ، ص ٢٩ .

وأهاليها اغنى من اهالى الأحساء وأكثر منهم ثروة وذلك بسبب  
قرب مفاصل اللؤلؤ فيها ، وقربها وتوسطها فى البحرين البنادر التى على  
ساحله ، هذا مع أن طقسها حار شديد الحرارة .<sup>(١)</sup>

وكانت القطيف محطة للقوافل التجارية الآتية من جنوب بلاد العرب  
والذاهبة الى العراق وكانت تزود السفن العابرة فى الخليج بتجارة شبه  
الجزيرة العربية كما أنها كانت محطة لتوزيع منتجات الشرق الأقصى داخل  
شبه الجزيرة العربية ، فكانت القوافل تسير فى حركة تجارية من القطيف<sup>(٢)</sup>  
الى المهفوف وبالعكس ، وميناء العقير لا يقل أهمية عن ميناء القطيف ،  
فقد كان منفذا لتجارة المهفوف ، وكانت تتفرع منه طرق تصله باليمن وتيماء  
والبتراء ، ويعتبر الطريق من العقير الى المهفوف من أسهل الطرق لدخول  
الأحساء بالنسبة للقادم من الخليج .

ويحدثنا السير أرنولد ولسن ١٠٠٠٠٠ ان العثمانيين بدأوا يتطلعون

---

(١) صالح الدخيل : المرجع السابق ، ص ٤٥٢ .

(٢) محمد بن إبراهيم بن بطوطة : تحفة النظار فى غرائب الأقطار

وعجائب الأسفار ، ص ٢٨٠ .

الى الخليج العربى فى منتصف القرن السادس عشر ، فحدثت بينهم وبين  
البرتغاليين معارك عدة ، وقد قام أهل القطيف فطهروا البلاد —  
الاستعمار البرتغالى ، واستخلصوا القلاع والحصون وسلموها الى العثمانيين  
سنة ٩٥٧ هـ / ١٥٥٠ م حيث عينوا لهم حاكما من البصرة .<sup>(١)</sup>

وهناك وثيقة تؤكد معاناة عرب القطيف وجهادهم ضد هذا الغزو  
الصليبي البرتغالى ، حيث تقول : " أمر من السلطان الى أمير أمراء البصرة  
، أننا سمعنا من رسالة أمير أمراء الأحساء ، أنه قد جاء بعض الكفار الى  
سوق القطيف وبدأوا يذون صيادى اللؤلؤ فى القطيف ، وعلى هذا فإن  
تجار اللؤلؤ الذين كانوا يسكنون القطيف تركوا السوق ، وذهبوا الى  
البحرين ، فيجب ارسال سفينتين قادرتين الى البحرين ليأتوا بالخوامين  
والصيادين الى القطيف ، وعند ما ينتهى موسم الصيد فى البصرة يجب أن  
ترسل بعض السفن الى القطيف ليحافظوا على أمن التجار ، حتى تتوسع تجارة  
البيع والشراء فى اللؤلؤ وتتسفيد من ذلك خزينة الدولة ، كما يجب أن تضع  
سفن صفار فى البحرين لتحافظ على أمن التجار ، حيث أن هذه الأمور

---

(١) محمد سعيد المسلم : المرجع السابق /

ليست خالية من الفائدة وعند ما يصلك هذا الأمر يجب أن تهتم بفتح طريق  
(١)

ميناء القطيف \* \*

وقد بدأ الصراع بين البرتغاليين والعثمانيين في الخليج العربي  
حوالي سنة ١٥٥٠م ، حين أعلن أهالي القطيف أنهم لا يدنون بالولاة  
لهرمز ، وانهم يضعون أنفسهم تحت حماية العثمانيين الذين كانوا قد ضموا  
البصرة منذ عهد قريب ، ومن جراء ذلك خرجت حملة برتغالية من الهند  
على ١٩ سفينة تقل ١٢١٠ رجل تحت قيادة دون أنطونيو دي نورونها إلى  
القطيف وأستطاعت الحملة أن تجل العثمانيين عن القطيف ثم زارت الحملة  
البصرة أيضا ، لكن قائد ها خشى من العثمانيين فلم يظل مكث بها ولم يقم  
فيها بأية عملية \*

وقد رد العثمانيون على هذا الهجوم البرتغالي بأن أرسلوا حملة  
بقيادة بيري بيك إلى جولة في الخليج على رأس أسطول كبير قام بتظاهرة أمام  
مسقط وأجلى عنها الحامية البرتغالية \*  
(٢)

---

(١) أرشيف رئاسة الوزراء ، باسطنبول ، دفتر المهمة رقم ٣١ ، ص ٣٣٨ ، رقم

حكم السلطان ٧٥١ \*

(٢) ج . ج . لوريمر : المرجع السابق ، الجزء الأول ، القسم التاريخي ، ص

كان هدف العثمانيين كما اتضح لنا أن يتجاوزوا مياه دجلة  
والفرات والسير جنوبا للسيطرة على هذا الخليج ، وتم لهم كما أشرنا  
من قبل ضم القطيف ومعظم الأحساء ، ووضعوا حامية عثمانية في القطيف  
، وكان التقدم العثماني في الخليج العربي يبعث فزع للبرتغاليين ،  
لذلك فإن دى بايودى نورنبا كلف انطوان دى نورنبا "Antoine de  
Not onha" بالتوجه لأخذ القطيف ، وقد د مروا القطيف بمدفعيـة<sup>(١)</sup>  
أسطولهم ، ولقد أدت تلك العمليات البحرية البرتغالية الى تعميق  
اتجاه السلطات العثمانية في الاستانة نحو ارسال حملة كبيرة ضد وجود  
العدوان البرتغالي في المياه الاسلامية الجنوبية خاصة وأن تدمير  
الأسطول البرتغالي للقطيف كان يعنى ضياع هيئة العثمانيين في المنطقة  
وتهديد لخطتهم في اقامة الجناح الشرقى لحزام الأمن ولا يمكن  
استردادها الا بارسال حملة كبيرة لمنازلة البرتغاليين .<sup>(٢)</sup>

وأمر السلطان سليمان مراد بيك سنجق " القطيف " والذي كان

---

(١) محمد عبد اللطيف البحرأوى : المرجع السابق /

، ص ١٦٣ .

(٢) عبد العزيز نوار : التاريخ الحديث ، الشعوب الاسلامية ، ص ١٤٢ .

يقيم في البصرة حينئذ بأن يبحر على رأس سبع عشرة سفينة إلى السويس  
وبأن يترك باقي قطع الأسطول في البصرة وقد فشل مراد بيك في مهمته  
وأخطر إلى الرجوع إلى البصرة بعد أن وصل إلى مضيق هرمز ، وذلك بعد  
(١)  
أن قامت بينه وبين أسطول برتغالي معركة بالقرب من هذا المضيق .

غير أن العثمانيين استأنفوا الكرة حيث دبروا لهم مكيده ، فأوقعوا  
بهم وأستولوا على القطيف مرة أخرى بعد قليل .

ويظهر أن العثمانيين قاموا بإعادة بناء السور من جديد كما هو  
(٢)  
عليه الآن إذ يصادف ذلك التاريخ عهد السلطان سليم الثاني .

وعندما هاجم البرتغاليون القطيف ، كانت الأوامر ترسل تارة إلى  
البصرة وتارة أخرى إلى بغداد ، وليس إلى الأحساء ، للدفاع عنها ، مما  
يدل على أن أمر الخليج ترك لولاية البصرة بصورة رئيسية ، بينما اقتصر دور  
والى الأحساء على إخضاع البدو ، وما يؤيد هذا الكلام توجد وثيقة من

---

(١) السيد مصطفى سالم : المرجع السابق / ٤ ص ٤٠٩ .

(٢) محمد سعيد السلم : المرجع السابق /



أرشفيف رئاسة الوزراء باسطنبول حيث تقول : " أمر الى أمير أمراء البصرة ،  
أن أمير الأحساء كتب اليها رسالة ذكر فيها أنه إذا ترك أمر فتح البحرين  
فانه من المحتمل أن تمتلئ المنطقة بالكفار " البرتغال " ويكون لهم قاعدة  
بحرية ، ولهذا الأمر لو كان لدينا سفينتين قاد رغبة من الأسطول الموجود  
في البصرة وأيضا الى حفظ أمن المنطقة يمكن أن يكتفى بالآلات والأدوات  
الموجودة ، فاذا وصلك أمرى هذا فارسل سفينتين قاد رغبة للدفاع عن  
الأحساء ، واجمع من الجيش ما يكفي لحفظ أمن هذه المنطقة وأيضا اجمع  
ما تقدر عليه من الآلات والأدوات الحربية وأرسلها الى أمير الأحساء ، واهتموا  
جميعكم لحفظ الأمن من الكفار ولا تسمحوا لهم بالدخول الى المنطقة وأحذروا  
على ألا يضرروا أى ضرر للبحرين وأيضا أكتب الى عن أحوال الكفار والوقائع التى  
(١)  
تجرى في المنطقة مفصلة ومشروحة فى رسالة طويلة ولله الحمد " .

تلك الرقعة الخضراء الرابضة على الساحل العربى من الخليج العربى

---

(١) أرشفيف رئاسة الوزراء باسطنبول ، دفتر المهمة رقم ٣ ، ص ١٦٦ .

(١)

بنخيلها الباسقة ، وساتينها العظيمة بسبب ما فيها من المياه الكثيرة

والتي تتحدى الطبيعة منذ آلاف السنين ٠٠٠٠٠٠ هي واحة القطيف

(٢)

تحتضن المدينة التاريخية التي شهدت أمما كثيرة ، ووعت أحداثا جمة .

---

(١) محمود شكرى الألوسى : المرجع السابق / ص ٣١ .

(٢) محمد سعيد المسلم : المرجع السابق /

لمنطقة الأحساء أهمية كبيرة حيث تكثر فيها الينابيع ويقال حسا  
الماء يحسوه اذا تناوله من الأرض شيئاً فشيئاً ، والمكان أو الحفرة التي  
تحفر فيجزم بها الماء يقال لها حسي وحسو ويجمع على أحساء وهذا هو  
المشهور عند عربان نجد ، فهم يطلقون على أمثال هذه الآبار أحساء  
وعلى هذا القول يكون المراد بالأحساء هو أشبه شيء بالآبار تحفرها  
العرب في مجارى المياه كيظون الأودية والشعاب .  
(١)

وفي سواحل أرض الأحساء محلان مخصوصان بغوص اللؤلؤ وهما  
القطيف وقطر ، وأنهار أرض الأحساء زهاء ثمانمائة نهر ما بين صغير وكبير .  
والبلد وحواليه قابل للزراعة وفيه نخل كثير ، وساتين عظيمة ،  
وحدائق ملتفة ، وفواكه مختلفة ، ومياه المعادن المتنوعة ، وفيه أنواع  
التمر التي تفوت الحصر ، وفيه النبق الذي يعز مثله في البلاد ، ومنه فروع  
(٢)  
معدم النوى .

وقال سلاله العلماء الأوائل الأعيان الشيخ عبد الله الاحسائي

---

(١) صالح الدخيل : المرجع السابق / ، ص ٤٤٢ .

(٢) محمود شكرى لألوسى : المرجع السابق / ص ٣١ .

عنها :

(١)

" يا عین نجم فقت آبار الحسا بحرارة وبخار ماء يصعد "

وكان هذا الاقليم منذ فترات موزلة في القدم يشكل جزء هام  
لوقوعه على ملتقى الطرق التجارية الهامة ، التي كانت تربط الجزيرة  
العربية ببلاد الشرق كالهند وأندونيسيا وبلدان شرق أفريقيا والبلاد  
المطللة على الخليج مثل بلاد فارس وبلاد ما بين النهرين ، وبهذا كانت  
الأحساء من أهم منافذ الجزيرة العربية على مياه الخليج العربي ، كما  
لعبت موانئ الأحساء العقير والقطيف منذ فترات موزلة في القدم دورا هاما  
في ربط الجزيرة العربية بالنشاط التجاري في الخليج العربي .

وكان ميناء العقير هو أهم موانئ الأحساء لأن الأحساء لها ثلاثة

(٣)

موانئ وهي العقير والقطيف وقطر ، وقد اتخذت الأحساء ميناء العقير مرسى  
لها ، وجعل به قصر منيع تحفظ به التجار أموالها ريثما ترد القوافل فتحمل  
الأموال الى الأحساء والبلاد الأخرى في نجد ، وقد كان عبارة عن باب نجد

---

(١) محمود شكرى الألوسى : المرجع السابق / ص ٣٣ .

(٢) السير أرنولد ويلسون : المرجع السابق ، ص ١٠١ - ١٠٢ .

صلاح العقاد : المرجع السابق ، ص ٦١ .

(٣) محمود شكرى الألوسى : المرجع السابق / ص ٣١ .

بحيث ترد الأموال التجارية من الهند وسر فارس وبلاد العراق ، ومنه

(١)

تتوزع على بلاد نجد .

وليس في الامكان تحديد تاريخ الأحساء ولكن يمكن أن نقسمه الى

أربعة أوار فالدور الأول قبل دخول الاسلام وقد كانت قبل الاسلام

لطايفة من نصارى العرب لكنها في ذلك الحين لم تكن بالشىء المهم ،

وانما هي عبارة عن قرى حقيرة أو مياه تقطنها وتسكنها العرف في ذلك

الوقت .

والدور الثاني : هو دخولها في الاسلام الى أن جعلها القرامطة

دارا لملكهم وهذا في القرن الثالث الهجرى تقريبا والدور الثالث : كونها

تشبه امارة تطلقها أيدي العرب كل آونة وأخرى ، وهذا هو الذى يشكل

على المؤرخين الوقوف على حوادثه وقائعه في أوقاتها . أما الدور الرابع

(٢)

فهو ما كانت فيه بيد العثمانيين .

وكانت الأحساء في زمن القرامطة هي عاصمة أو قسبة مقاطعة هجر ،

ثم قام العيونيون بانتزاع الأحساء من القرامطة بعد استعانتهم بالخلافة

---

(١) صالح الدخيل : المرجع السابق / ، ص ٤٥٥ .

(٢) المصدر السابق : ص ٤٧٠ .

العباسية للقضاء على القرامطة ، وتم لهم ذلك ومن ثم آل اليهم أمر

#### • الأحساء •

وبعد العيونيون انتقلت السلطة الى بنى عصفور رؤساء بنى عقيل

، وكان ذلك في العقد الرابع من القرن السابع من الهجرة بعد تغلبهم

على العيوينين بالمؤامرات والدسائس ، ثم آلت الامارة الى اولاد مانع

ابن عصفور ، وكانت دارهم الأحساء والقطيف ولهذا سميت هذه الدولة

باسم العصفورية نسبة الى حكامها من العصفوريين وفي بداية القرن الثامن

(١)

من الهجرة ملك الأحساء سعيد بن مناع بن سليمان بن ربيعة •

وقد بدأ العثمانيون يتطلعون الى الخليج العربي منذ فتحهم العراق

٩٤٠ هـ

سنة ١٥٣٤ م كما أشرنا من قبل ، وقد ظهر هذا التنافس واضحا عندما أنكر

العثمانيون على البرتغاليين تدخلهم في شؤون الخليج ونهضوا لرد عاديتهم

، الا أن الصراع لم يبدأ بين الجانبين الا بعد أن استولى العثمانيون على

مصر ونزلت سفنهم في البحر الأحمر واتجهت الى الخليج العربي لحماية

المصالح الاسلامية من عبث الغزاة ، حيث قصدت الباب العالي في اسطنبول

(٢)

وفود اسلامية تلتزم الحماية من الاستعمار البرتغالي •

---

(١) خلف دبلان الوديني : المرجع السابق ، ص ٤٧ •

(٢) خالد العزى : المرجع السابق ، ص ٣٩ •

وحين وجه السلطان سليمان الأول سنة ثلاث وستين وتسعمائة هـ  
هجرية محمد باشا فروخ بمسائر كثيرة لفتح الأحساء ، بنى فيها مسجداً في  
داخل الكوت في بلد الهفوف ، يعرف الآن بمسجد الديس ، وكتب تاريخ  
عمارته في حجر ، وهذا نص المکتوب : " بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله  
رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين  
، قد بنى وعمر هذا المقام ، في زمان السلطان العادل ، سليمان بن  
السلطان سليم ، حضرة الحاكم الأجل ، قدوة الحكام كهف الأنام ، صاحب  
السيف والقلم ، والى بلد الأحساء ، محمد باشا في سنة ثلاث وستين  
وتسعمائة هجـرية ، ثم ولى عليها على بن أحمد بن لاوند البريكي ومن آثاره  
مسجد القبة ، الذي في داخل القصر المسمى قصر إبراهيم في كوت الهفوف  
بناء سنة أربع وسبعين وتسعمائة من الهجرة <sup>(١)</sup> .

وقد افتتح العثمانيون الأحساء بمساعدة قبائل المنتفق وأقاموا في  
الأحساء حكماً عثمانياً بعد إزالة آل جبري عن السلطة ، وكانت قبائل المنتفق

---

(١) محمد بن عبد الله آل عبد القادر الأحسائي : المرجع

السابق ، الجزء الأول ، ص ١٢١ .

(١)

آنذاك خاضعة لحكم آل جبري وجعلوها لواء وعينوا لها متصرفا ، وهذا اللواء مؤلف من قضاء القطيف وقطر واليهوف ، ومركز المتصرفية الیهفوف والقطيف مركز قائم مقام وهو على ساحل البحر ، وهو أعظم الأقطب الثلاثة (٢) محصولا ، وأوفرها بركة لما فيه من الخصب والخبرات .

ولم يتمكن البرتغاليون من احتلال الأحساء لأن العثمانيين كانوا قد سبقوهم إليها ، وهكذا نزلت أقدام الأوربيين لأول مرة بتلك المنطقة ، ولكن أقدام البرتغاليين لم تثبت بها لأن قوى متعددة عارضتها كان في مقدمتها العرب الذين كانوا قد هبوا يدافعون عن بلادهم ، وقاموا بعدة انتفاضات (٣) وحركات جريئة .

ان سيطرة العثمانيين على الأحساء ، سهلت عليهم مهمة تأمين طريق الحج من الأحساء الى مكة المكرمة ، وأيضا مكنتهم من اتعام حزام الأمن حول

---

(١) خلف دبلان الوزيناني : المرجع السابق ، ص ١٢٠  
احمد مصطفى أبو حاكمه : المرجع السابق /  
ص ٤٨ .

(٢) محمود شكرى الألوسى : المرجع السابق ، ص ٣٧ .

(٣) احمد شلبي : المرجع السابق ، الجزء السابع ، ص ٦٢٢ .



## الحرمين الشريفين \*

وأيضاً من وضع النظم الكفيلة بتوفير الأمن للراغبين في الحج ،  
حسب توجيهات السلطان العثماني لوالي الأحساء ، حيث ورد في وثيقة  
سلطانية ما نصه : " واطلب منك أن تخبرني هل نبيع أى ماء في قلعة  
الأحساء الداخلية أم لا ، وأن القلاع والبلاد الموجودة ما بين مكة والأحساء  
(١)  
، تفيد أن شيوخ هذه البلاد والقلاع قد أطاعوا حكمك " .

كما اهتم السلطان العثماني ، بدراسة الطرق المؤدية من الأحساء  
الى مكة المكرمة حتى يختار أفضلها وأمنها لسير الحجاج بها ، فقد ورد  
في وثيقة سلطانية ما نصه : " أمر الى أمير أمراء الأحساء ، أنك ذكرت لنا  
أن المسافة من الأحساء الى مكة عشرون يوماً وتساءلنا الاذن لمرور الحجاج ،  
وأن منطقة الحجاز تستفيد والدولة تستفيد أكثر من ذهاب الحجاج — من  
الأحساء الى مكة ، فحقق لنا هذا الأمر هل يوجد قاعدة في أن نرسل أى اذن  
ورخصة ، واكتب لنا أى جهة تكون أفضل وأمن لذهاب حجاج الاحساء الى مكة " .  
(٢)

ولما كانت البحرين تقع قبالة ساحل الأحساء ، وحيث أن موقع البحرين

---

(١) أرشيف رئاسة الوزراء باسطنبول ، دفتر المهمة رقم ١٦ ، ص ١٣٨ .

(٢) أرشيف رئاسة الوزراء باسطنبول ، دفتر المهمة رقم ١٤ ، ص ٣٨٥ .

يتميز بأهميته الاستراتيجية بالنسبة للأحساء ، هذا فضلا عن أهمية البحرين التجارية ، فقد وجدت الدولة العثمانية أن ضم البحرين إليها ضرورة حتمية لمنع البرتغاليين من الاستيلاء عليها واتخاذها قاعدة بحرية لدخول الأحساء ، ولهذا فقد استخدم العثمانيون لواء القطيف التابع لولاية الأحساء قاعدة لفتح البحرين ، وفي ذلك ما يؤيده الوثيقة السلطانية هذا نصها : " أمر الى والى بغداد لقد استلمنا رسالة من أمير أمراء الأحساء ذكر فيها أن القوات الموجودة في البصرة من الجنود والسفن تكفى ، بعناية الله تعالى لفتح قلعة البحرين ، ولكن يجب ألا تسخروا بالأعداء ولا ترونها قليل ، فأهتموا بجمع الآلات والأدوات الحربية بسرعة وحيث أنك تعيش في هذه المنطقة منذ فترة طويلة فانك تعرف أحوالها جيدا وتعرف كم سفينة قاد رغة تحتاجون إليها وكم جندي وكم مدفع وكم من الآلات والأدوات الحربية لفتح هذه الجزيرة ، وهل يمكن جمع هذه الآلات والأدوات الحربية من البصرة ، وهل يكفيكم الجنود الموجودين أم تحتاجون لغيرهم ، وهل البرتغاليون المعلنون موجودون في هرمز أم لا وما كيفية سفنهم وهل يمكن أن تحاربوهم بالسفن الموجودة لديكم ، أكتب الى عن جميع هذه الأمور بصراحة وأعلمنى ماذا تفعلون ، وعناية الله تعالى سأقدم

(١)  
لكم جميع ما سخر الله لنا من الامكانيات " .

(١) أرشيف رئاسة الوزراء باسطنبول ، دفتر المهمة رقم ٢٧ ص ٨١ ، رقم حكم السلطان ٢٠٠ .

وعلى أية حال فقد اتجه العثمانيون بعد ما بذلوه من جهد كبير  
فى سبيل السيطرة على الأحساء الى تأسيس حكومة قوية بها ، وتشسير  
الوثائق السلطانية الى مدى الاهتمام الكبير الذى بذلته الحكومة العثمانية  
فى هذا السبيل للحفاظ على الأحساء من أى اعتداء تتعرض له وفى ذلك  
ما نصه : " أمر الى أمير أمراء البصرة ، أن والى بغداد قد كتب اليه  
رسالة ذكر فيها أن الكفار البرتغال ، الحقيرين لعنهم الله ، قد جاءوا  
فى ١٢ سفينة قاد رغة وسفينتين قليون ووصلوا الى البحرين وبدأوا يتصلتون  
على سفن التجار ويضرون السواحل القريبة من البحرين ومن أراضينا  
المحروسة ويتعدون على بعض قلاعنا ، فيجب أن تهتم أنت بالأمور وترسل  
١٠ سفن الى منطقة الأحساء ، لتحافظ عليها من العدو وأن تدفع الشر  
(١)  
عن أهلها " .

ولقد تعاقب على ولاية الأحساء عدد من الولاة العثمانيين ، أولهم  
محمد باشا فروخ الذى بنى مساجد عدة فى المنطقة ما زالت آثارها باقية  
حتى الآن ، ثم على بن احمد بن لاوند البريكى ، ومن آثاره مسجد القبة

---

(١) أرشيف رئاسة الوزراء باسطنبول ، دفتر المهمة رقم ١٢ ، ص ٢٢٢ ،

(١)

في الهفوف الذي بنى سنة ٩٧٤ هـ / ١٥٦٨ م على باشا ، هذا وقد عني السلاطين  
العثمانيين بالمساجد ونجد ذلك في وثيقة سلطانية هذا نصها : " أمر الى  
أمير أمراء الأحساء ، أن أميراً مرأء الأحساء سابقاً وأمير البصرة حالياً كتب  
الى جنابنا رسالة ذكر فيها ، أنه يوجد بالأحساء بعض المساجد القديمة  
في حالة سيئة ، وقد بنى الباشا مسجداً في المدينة المذكورة وأوقف عليه  
بعض البساتين ، وأن الخموس والأعشار التي تؤخذ عن هذه البساتين  
قليلة ، ويرجو منا أن نعفو عن أخذ هذه الأعشار والخموس ولا ندخل فيها  
(٢)  
الا من كان أميناً " .

ولقد أدى بناء المساجد والمكاتب القرآنية وغيرها في أول العصر  
العثماني بالأحساء الى أن الأحساء صارت سارة للعلم ومقصداً لطلابه ، فكانت  
الحركة العلمية في الأحساء قد تدرجت في تلك الفترة بلغت فيها الحركة  
العلمية الدينية ذروتها مما كان يضبطها جيرانها على هذه المكانة العلمية  
الرفيعة وكانت الأحساء في هذه الفترة تشهد اليها الرحال لطلب العلم

---

(١) محمد سعيد المسلم : المرجع السابق /

، ص ١٢٥ .

(٢) أرشيف رئاسة الوزراء باسطنبول ، دفتر المهمة رقم ١٩

، ص ٣ .

والد راسة على يد علماءها الذ من اشتهروا فى علوم الحديث والفقه واللغة والنحو والصرف والأدب ، وكان أبناء الخليج العربى من أهل البحرين وساحل عمان وقطر والكويت ، وبعض أطراف فارس مما يلى الخليج العربى (١) كانوا يتسابقون الى ارسال أبناءهم للارتشاف من هذا المنهل العلمى .

وبعد أن تم للعثمانيين ضم الأحساء ، قاموا بإنشاء العديد من العمارت بها ، تشبها مع سياستهم فى تعمير البلاد التى يفتحونها وتعبيرا عن اهتمامهم بها ، حيث نجد أن هذا الكم الهائل من العمارت التى تم انشاؤها تخدم أهدافهم التى ترمى الى عمل حزام الأمن حول الحرمين الشريفين ضد هذا الغزو الصليبي الاستعماري البرتغالي ولذلك كانت سياسة العثمانيين تقوم على ضرورة الاحتفاظ بمنطقة الأحساء وحكمها حكما مباشرا نظرا لتجاريتها مع من سبق لها التعامل معهم من أهل هذه المنطقة لتأييدها ضد البرتغاليين مما بات ضروريا معه تعمير منطقة الأحساء واستقرار قوات عثمانية بأهم مراكزها ، هذا فضلا عن التحصينات اللازمة للمدن الى جانب المعسكرات التى تقيم فيها قواتهم فقاموا بإصلاح قلعة القطيف بعد أن

---

(١) خلف بن دبلان الوديعانى : المرجع السابق /

(١)

دبرها البرتغاليون .

وقد ارتبط لواء نجد " الأحساء " ببعض الروابط الخاصة مع ولايتي  
البصرة وبغداد ، بحيث اعتبرت ولاية عراقية ، وقد انتشرت الامارات  
والعشائر الكردية في ولايتي الموصل وشهر زور ، على حين انتشرت  
العشائر العربية في ولايات بغداد والبصرة والأحساء ، وكذلك في ولاية  
الموصل .<sup>(٢)</sup>

وهناك وثيقة سلطانية تؤكد على أن هذا اللواء هو لواء الأحساء  
حيث تقول نصها : " أمر الى أمير أمراء البصرة ، أنك أرسلت الينا رسالة ،  
ذكرت فيها أن أمير أمراء الأحساء قد رتب غزو البحرين ، وقد قبض الكفار  
البرتغال على جميع سفنهم القادرة ، وحاصروهم في الجزيرة ، فيجب  
تخليصهم من يد الكفار ، وذكر أنك تحتاجون الى جنود وسفن والآلات

---

(١) أنظر وثيقة بد فتر المهمة رقم ٣١ ص ٣٣٨ رقم حكم السلطان ٧٥١

بأرشف رئاسة الوزراء باسطنبول .

(٢) السيد رجب حراز : محاضرات في تاريخ العرب الحديث

والمعاصر ، ص ٤٥ .

وأدوات حربية ، لكن نعرف أن حاكم البحرين مطيع لنا ولد ولتنا ، ومن  
هذا كنا أعطيناه لواء ، الآن أكتب الى أمير البحرين بأن يعيد جيوشنا  
المحاصرة والسفن الى السواحل ، ويجب أن يهتم مراد بإرسال جنودنا  
(١)  
الى السواحل ، كما يجب أن تهتم بمرجع العسكر الى مكانه بالأحساء\* .  
وان الباحث لا يرى من المصاد رأو الوثائق ماسى باسم لواء الأحساء ، بل  
أطلقت على هذا اللواء الذى مقره الأحساء اسم لواء نجد ، مع أن الدولة  
لم تمارس إدارة فعلية فى نجد فى تاريخ العصر العثمانى الطويل ، وهذا  
يرجع الى ما كان من احكام الصلة بين نجد والأحساء فى كل المجالات  
القبلية والاجتماعية والاقتصادية وأن نجد داخل الأحساء هى خارج وساحل  
هذا الداخل .

تكون هذا اللواء من قضاء القطيف وقطر والهفوف ، والقطيف مركز  
القائم مقام وهو على حد تعبير كتاب ذلك العصر على سيف البحر يبعد -  
مسافة أربعين ساعة عن مركز اللواء فى الهفوف وهو أعظم الأضية الثلاثة  
محصولا ، وأوفرها خيرا وبركة لما فى أرضه من الخصوبة والخيرات .  
(٢)

---

(١) أرشيف رئاسة الوزراء بأسطنبول ، دفتر المهمة رقم ٣ ، ص ١٤٠ ،

رقم حكم السلطان ٣٦٦ .

(٢) خلف بن دبلان الوزينانى : المرجع السابق / ،

ونخلص مما تقدم الى أن العثمانيين بعد أن صاروا بخلافتهم  
مسؤولين عن جميع الأراضى الإسلامية فى دولتهم ، كان لزاما عليهم أن  
يضعوا من الخطط ما يساعدهم على تنفيذ مسئولياتهم ، فى المحافظة على  
الديار الإسلامية وطرد كل من يحاول أن يقطع جزءا منها ، أو يعمل على  
الاضراب بمصالح المسلمين سواء كانت تجارية أو أمنية ، لذلك نجهد  
العثمانيين قد نجحوا فى عمل حزام الأمن حول الحرمين الشريفين ، لأنهم  
أدركوا خطورة البرتغاليين فى الخليج العربى واستيلائهم على بعض المراكز  
الهامة على الساحل الشرقى لجزيرة العرب ، فعملوا على مساعدة أهل  
الأحساء بكافة الوسائل الممكنة للتحرر من البرتغاليين فمدوهم بالسلاح  
الحدىث ودرؤهم عليه ثم تم لهم ضم إقليم الأحساء بكامله ، ثم وضعوا النظم  
الكفيلة بضمان إقامة حكومة عثمانية قوية فى هذا الإقليم ، لكى يتسنى لهم  
بفضلها الحياة مع أهل الأحساء ، مما يجعلهم يفكرون فى تعمير هذا الإقليم  
، وإنشاء العديد من العمارات التى تساعدهم على تحقيق أغراضهم المختلفة .



# الطائفة

التحليل والنتائج

من خلال هذا العرض التاريخى لحزام الأمن العثمانى حول الحرمين الشريفين فى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى ، فإنه يمكننا أن نصل الى نتائج هامة :-

لقد حاول الملاحون البرتغاليون البحث عن طريق الى الشرق الأقصى بالدوران حول أقصى نقطة جنوبية فى أفريقية ، وجد ير بالذكر أنه بعد سقوط الامبراطورية الرومانية فى القرن الخامس الميلادى أعقبتها عصور الظلام التى عاشت أوروبا خلالها فى حالة من الفوضى والجهل ، وازاقت الدماء حتى القرنين الخامس عشر والسادس عشر اللذين عرفا بعصر الاكتشافات ولم تكن هناك صلة تذكر بين أوروبا وأفريقية ، ولذلك لم يكن الأوروبيون يعرفون الكثير عن حجم افريقية الحقيقى وكل ما توصلوا الى معرفته ، أنه اذا أبحرت سفينة الى ساحل أفريقية ودارت حول نهاية القارة ، فإنها يمكن عندئذ أن تصل الى الهند بالابحار شرقا عبر المحيط الهندى .

ولقد ساعد موقع البرتغال على توجيه أنظار البرتغاليين الى السواحل الافريقية وعملهم على استكشاف ما وراء المحيط الأطلسى ، واذا كان البرتغاليون قد بدأوا عملياتهم فى شكل عسكرى للسيطرة على بلاد المغاربة ، فإنهم قد عمدوا الى محاولة الالتفاف حول العالم الاسلامى للوصول الى طريق التوابل ، وما لا شك فيه أن هناك عاملين مهمين ساعدا البرتغاليين على سرعة انجاز

احتلالهم للشواطئ الشرقية وهما :

أولا : استخدمهم للأسلحة الحديثة التي لم يكن أى من العرب أو الزنج

يعرفها ، خاصة أن الامارات الاسلامية التي تكونت بها لم تتم

أساسا على الفتح بل على التجارة •

ثانيا : نجاح البرتغاليين في استغلال المنازعات الداخلية التي كانت

دائرة بين الامارات الاسلامية في شرق افريقية ، وقد ارتكـز

البرتغاليون على الأجزاء الجنوبية من الساحل الشرقي الذي

كان يضم اقليم سفالة وموزمبيق التي اتخذوها مقرا لـدارة

(١)

الاستعمارية •

ومما يوضح لنا سياسة التعصب والتزمّت الديني وروح الصليبية الحاكمة

عند البرتغال ضد الاسلام والمسلمين ، هو ما قاموا به من تضيق الخناق على

القوى الاسلامية في الأندلس ، وبالتالي سقوط غرناطة آخر معقل اسلامي فيها ،

ولم تكفى باجلاء المسلمين عن الأندلس ، بل قامت بضغط كبير على المسلمين

---

(١) غسان رمال : المرجع السابق ص ٢١٠ •

في شمال أفريقيا ، ورأوا كذلك تطويق المسلمين عن طريق أفريقيا وعن طريق العمل الجاد من أجل نشر المسيحية الكاثوليكية .  
(١)

وكان من جراء الحروب المستمرة ضد المسلمين في شبه الجزيرة الأيبيرية سواء في أسبانيا أو في البرتغال أن أسبغت عليهم لونا شديدا من الخشونة والتعصب ، وأصبحت البرتغال قلعة المسيحية الكاثوليكية في شبه الجزيرة الأيبيرية ، خاصة وأن الاسلام كان بالنسبة للبرتغال كابوسا يرغبون في إزاحته ، وقد عرف سكان شبه الجزيرة الأيبيرية بتعصبهم الشديد وعداوتهم للإسلام والعرب ومنزعتهم الصليبية التي جعلتهم لا يستولون على بلد إسلامي إلا محو آثار المسلمين منه محوا وهو ما يفسر لنا قلة الآثار المعمارية الإسلامية في البرتغال عنه في أسبانيا .

ويعتبر الفزو البرتغالي هو أول غزو عسكري أوروبي مسيحي في التاريخ الحديث لأجزاء من جنوب العالم الإسلامي والعالم العربي في الشرق وأستهدف تحقيق أغراض صليبية واستعمارية واقتصادية ، وكان شعار هذا الفزو " الصليب أو المدفع " ، أي كان على المسلمين أن يعتنقوا

---

(١) عبد الفتاح حسن أبو عليّة وآخر : المرجع السابق /

المسيحية أو يتعرضوا لقصف مدافع الأسطول عند المدن والمساجد .

كما كان من أهداف البرتغاليين الاستيلاء على أقاليم شاسعة فى الهند وشرق الجزيرة العربية وجنوبها وأقاليم مطلة على البحر الأحمر والساحل الشرقى لأفريقية المطل على المحيط الهندى وجنوب شرق آسيا وغيرها ، ثم تطور هذا الهدف الى انشاء مراكز تجارية مسلحة فى هذه الأقاليم ، نظرا لأن انشاء هذه الامبراطورية كان يتطلب قوات عسكرية كبيرة وكانت البرتغال تعاني من عدم كثافة سكانها ، وكان من أهم أهداف البرتغاليين أيضا احتكار التجارة الشرقية لأنفسهم بالحصول عليها من مصادرها انتاجها أو مواطن صنعها .

وقد ركزت الحركة البرتغالية على تحقيق الحصار الاقتصادى على مصر من ناحية ، والسيطرة على مواطن التوابل وانتزاع احتكارها وتحويلها الى أسواق لشبونة لتصبح المركز الرئيسى لتوزيعها فى أوروبا مما يؤدى الى حرمان مصر من أهم مواردها ، ويؤثر على قدرة مصر الاقتصادية ويضعف بالتالى من قدرتها الحربية ، بحيث تصبح عاجزة تماما عن التصدى لأى عمل برتغالى صليبي ضدها ، وكان التركيز لتوجيه الضربة الاقتصادية اليها ، كبدائية من أجل إضعافها .

وكانت الدولة المملوكية مع مطلع القرن السادس عشر دولة منهكة  
القوى بسبب الجهود المتتالية التي بذلتها لإنقاذ العالم الاسلامي  
من الخطرين المغولي والصليبي ، ثم زاد في انهائها فقدانها لتلك  
الرسوم التي كانت تحصل عليها نتيجة قيام البرتغاليين بتحويل طريق  
التجارة الى رأس الرجاء الصالح بدلا من طرق التجارة المألوفة التي كانت  
تخضع لسيطرة المماليك ، ولم تتقاسم الدولة المملوكية عن مواجهة التزاماتها  
التاريخية فهبت لدرء أخطار البرتغاليين التي باتت تهدد المسلمين  
، ودارت معركة بين الجانبين المملوكي والبرتغالي في صيف عام ١٥٠٨ م  
٩١٤ هـ انتهت بانتصار المماليك ، غير أن الأسطول البرتغالي لم يلبث أن استجمع  
قواه واشتبك بالأسطول المملوكي للمرة الثانية وأوقع به في مياه " ديو " عام  
٩١٥ هـ  
١٥٠٩ م دون أن يفت ذلك في غضد السلطان المملوكي " قنصوه الفوري "  
الذي بعث بسفنه مرة أخرى عبر البحر الأحمر الى المياه الهندية ، وعند ما  
فشلت في انزال الهزيمة بالأسطول البرتغالي انسحبت الى جدة (١)

ولقد شهد المشرق الاسلامي قيام قوة اقليمية في بلاد فارس ، هي

---

(١) بدر الدين عباس الخوصي : المرجع السابق /

الدولة الصفوية ، وترجع أصول هذه الدولة الى نهضة دينية قام بها أحد  
شيوخ أردبيل المسعى صفى الدين ، من أحفاد موسى الكاظم إذ دعى  
الى المذهب الشيعى بين القبائل المجاورة له وجعل من اقليم جيلان  
مركزا لحركته الاسلامية وزادت قوة صفى الدين حين دعم أوامر الصلة  
بينه وبين أوزن حسن ، شيخ قبيلة " الشاة البيضاء التركمانية " فقد  
امتزجت الدعوة للشيعنة بالقوة العسكرية .

وكان البرتغاليون على اتصال بالفرس ، يؤازرونهم ويعدونهم  
بالمعونات الحربية ويرسلون اليهم الخبراء لتدريتهم على صناعة الأسلحة  
الحديثة وطرق استعمالها وكل هذا لأجل القضاء على الدولة العثمانية .  
ويبدو أن فارس قبلت بالتنازل عن عزم البرتغاليين وذلك بسبب  
الهزائم التى لحقت بها على يد العثمانيين فى أعقاب " شالديران " عام  
٩٢٠ هـ  
١٥١٤ م ، على أمل ايجاد نوع من التفاهم والتعاون بينها وبين البرتغاليين  
لمواجهة العثمانيين الذين كانوا قد نجحوا فى الاستيلاء على عاصمتها  
" تبريز " وعلى أمل قيام البرتغاليين بتزويد فارس بالسفن اللازمة لمؤناتها  
نحو البحرين والقطيف ، ويبدو أن البرتغاليين قبلوا بهذا الاتفاق لكسب  
جانب الفرس ، للحصول على الهدوء ، الذى يرغبونه من جهتهم لئلا يتفرغوا

لمسؤولياتهم الأخرى •

ولما كان البيت الحرام هو مقصد كل المسلمين وما للكعبة الشريفة من المكانة الروحية السامية في نفوسهم وما للرسول محمد صلى الله عليه وسلم من المنزلة العالية عند هم جميعا ، فقد كانت مكة والمدينة من أولى مقاصد الرحالة ، ومما لا شك أن الدوافع التي دفعت أولئك الغربيين الى ارتياد مكة والمدينة هي ما لهذه الموقعين من أهمية كبيرة في التاريخ الاسلامي وللتعرف على مظاهرهما الدينية والاجتماعية أو قد تكون دوافع أولئك لأغراض تشيرية أو تجسسية ، كما كان بعضهم قد جاء برغبة التطلع لمعرفة هذين المركزين المهمين اللذين كان لهما الأثر العظيم في تاريخ الانسانية •<sup>(١)</sup>

ولقد زار مكة الكثير من الغربيين ، ويعتبر الرحالة الايطالى " لودفيكو فارتينا " أول من ارتاد مكة وهو من بولونيا الايطالية ، وقد تمكن هذا من التظاهر بأداء مناسك الحج في مكة وزيارة المدينة ، كما أنه استطاع الهروب من القافلة الى مدينة جدة ومن هناك أبحر عن طريق

---

(١) حسين مجيب المصرى : المرجع السابق ،



## البحر الأحمر الى ايران •

وقد أشرف البرتغاليون على بلاد الشرق في مطلع القرن السادس عشر وقد حفزهم الى الاجتهاد في التوغل في البحار ومحاولة اقامة امبراطورية استعمارية صليبية ما وفقت اليه جارتهم أسبانيا من بناء امبراطورية واسعة في أمريكا فبدأت تشرى وتقوى وتصبح خطرا ساحقا يهدد البرتغال فاتجهت هذه نحو البحار وتركت وجهة الغرب للأسبان وأتجه رجالها نحو الجنوب بمحاذاة ساحل أفريقية •

والواقع أن قدوم البرتغاليين الى المناطق العربية يعود الى عدة أمور ومن أهمها :-

- تفكك أوصال المناطق العربية بسبب ضعف القوى السياسية المسيطرة عليها وانشغالها بخلافاتها المذهبية والسياسية ، مما شجع البرتغاليين على اقتحام حدود المناطق العربية الشرقية •
- رغبة البرتغاليين في احتكار التجارة الشرقية خصوصا عند ما أدركوا أنه على الرغم من تلك القوة البحرية الكبيرة التي أضحت لهم ، فإنهم عجزوا عن وقف حركة الملاحة العربية في المياه الهندية ، ولعل ذلك كان سببا في قيام البرتغاليين بالتوغل نحو ملقا وجزر الهند الشرقية لمنع التجار العرب من الوصول الى مناطق انتاج التوابل ، فلما عجزوا عن

ذلك اتجهوا نحو سواحل شبه الجزيرة العربية بهدف التوغل فى

الخليج العربى والبحر الأحمر .

— الروح الصليبية التى كانت وما تزال مهيمنة على أفكار عدد من ضباط

البحرية البرتغالية على اثر حركة الاسترداد من أمثال " الفونسودا

البوكيرك " الذى كان قد أفلح ضمن أسطول من ١٦ سفينة بقيادة

(١)

" ترستان داكونها " لتعزيز الحاميات البرتغالية فى الهند .

وعندما وصل البرتغاليون المحيط الهندى وهددوا الأماكن

المقدسة الاسلامية ، وضعت الدولة العثمانية لنفسها خطة للدفاع عن

مكة المكرمة والمدينة المنورة والأماكن المقدسة الاسلامية ، فسارت الدولة

العثمانية فى اتجاهين : —

أحدهما : الشام ومصر وأنضم اليها الحجاز وفتحت عدن وأمنت

البحر الأحمر وأخذت عدن قاعدة لها لمواجهة

البرتغاليين فى المحيط الهندى .

ثانيهما : العراق ثم الخليج العربى ، لذلك دخل السلطان

سليمان الأول بغداد وأخذ العثمانيون يحاولون

---

(١) بدوالدين عباس الخصوصى : المرجع السابق /

من نفوذهم الى البصرة لاكمال حلقة الدفاع عن شبه الجزيرة العربية ، والى أن تصل الدولة الى الشاطئ الغربى للخليج فقد اتصلت بمقرن بن زامل حاكم الأحساء وأمدته بكل أنواع المساعدات والأسلحة لمقاومة البرتغاليين .

ويبدو أن الأوربيين كانوا تواقين لمعرفة كل ما يتصل بالحجاز الذى كان محرما عليهم زيارته ، وقد دفعت الروح الصليبية ملوك البرتغال الى ايفاد بعض الجواسيس للتعرف على أحوال شبه الجزيرة تمهيدا لغزو البلاد المقدسة الاسلامية " مكة والمدينة " وذلك بعد أن تمكنوا خلال القرن السادس عشر من الاستيلاء على بعض سواحل شبه الجزيرة العربية .

ولما كانت الأماكن المقدسة الاسلامية تقع على الشاطئ الشرقى للبحر الأحمر ، فقد ترتب على ذلك أن هذا البحر أصبح هو المجال الحيوى الذى جرت فيه محاولات تهديد الأماكن المقدسة الاسلامية ، كما أن هذا البحر كان غاية القوى المعادية للإسلام فى العصور الحديثة .

ويجب أن نفرق بين محاولات البرتغاليين ومحاولات من سبقوهم فالقوى التى سبقت البرتغاليين كان تهديد ها يأتي من الشمال أو من داخل البحر الأحمر ، أما فى هذه الفترة فقد أتى الخطر من الجنوب

كما رسم بذلك المسيحيون منذ سنوات طويلة ، وتهديد البرتغاليين  
للأماكن المقدسة الاسلامية لا تستطيع معه أن تحدد زمنه لوصولهم الى  
البحر الأحمر ، إذ أن هذا التهديد كان ضمن المشروعات البرتغالية  
ضد العالم الاسلامي منذ بداية الربع الأخير من القرن الثالث عشر ،  
ذلك أن الأفكار في تلك الفترة كانت متجهة نحو البحث عن امبراطورية  
القد يس يوحنا الخرافية والتعاون معه لجعل مصوع قاعدة لشن الحملات  
على مكة .

ومع بداية السيطرة البرتغالية في المحيط الهندي ومدخل الخليج  
العربي والبحر الأحمر كان الخطر على الأماكن المقدسة الاسلامية قسداً  
أصبح واضحاً للجميع ، ويظهر ذلك من خلال رسالة الملك عمانوئيل ملك  
البرتغال للبابا بولس الثاني حينما طلب منه البابا إيقاف الحملات الى مياه  
الهند حتى تتحسن علاقات دول البحر الأبيض المتوسط مع دولة المماليك  
فكان جواب الملك عمانوئيل ، أنه ليس عازماً على المضي في قتل التجارة  
الملوكية فقط بل انه سيجاهد في سبيل المسيحية حتى يجعل من مكة هدفاً  
لمدافعه وجنوده (١)

---

(١) غسان علي رمال : المرجع السابق ص ١٠٣

وقد تحمس المسلمون على اثر تهدد البرتغاليين بمهاجمة مكة المكرمة والمدينة المنورة وبدأ السلطان سليم العثماني يعد حملة قوية للتصدي للبرتغاليين ، لذلك واجهت الدولة العثمانية مسؤولية حصر الخطر البرتغالي الذي بات يهدد المسلمين وذلك عند ما تمت اتصالات بين البرتغاليين والأبحاش لتحويل مجرى نهر النيل ، واقتحام طريق البحر الأحمر للفرزول في ينبع والتوجه منها نحو المدينة المنورة لنبيش قبر الرسول عليه الصلاة والسلام فيها لاطهار الدول الاسلامية بمظهر القوى الضعيفة عاجزة عن حماية المقدسات الاسلامية فتتهارب ذلك روح المقاومة الاسلامية للبرتغاليين .<sup>(١)</sup>

ويعتبر كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد لابن ماجه مثالا لما يمكن أن تحتوى عليه المرشحات الملاحية ، ففيه يصف هذا العلم بأنه من العلوم المضبوطة الفعلية التي تمكن الرمان من الوصول الى البلد المطلوب دون ميل أو انحراف ، كما تعرف به خطوط الطول والعرض ويمكن تحديد القبلة أو مواضع البلدان بالضبط ، ويقتضى ذلك

---

(١) بدر الدين عباس الخوصي : المرجع السابق /

معرفة الريان بالنجوم الملاحية وطرق رصد ها بدقة وتقسيم وردة الرياح  
والتيارات من وإلى الموانئ المختلفة ، ويضيف ابن ماجد الى كل ذلك  
ما يسميه بعلم الاشارات ويقصد بهذا معالم السواحل والجزر وخصائص  
المياه وطبيعة القاع وقد را من المعلومات عن الأسماك والطيور والحشائش  
البحرية التي تميز الريان على التعرف على السواحل المختلفة ، كما  
يؤكد ابن ماجد أهمية معرفة الريان بالآلات والأدوات اللازمة لسير  
السفينة وكيفية صيانتها ، ثم هو يطبق جميع المعلومات السابقة الذكر  
على وصف الطرق الملاحية التي سلكها في المحيط الهندي بين موانئ  
الجزيرة العربية وسواحل أفريقيا وآسيا وجزر اندونيسيا والبحر الأحمر ،  
وبذلك يرسى ابن ماجد قواعد الملاحة مما لا يخرج عن المفهوم الحديث  
، ويقول ابن ماجد في مؤلفه : " ينبغى أنك اذا ركب البحر تلزم  
الطهارة فانك في السفينة ضيف من أضياف الباري عز وجل فلا تغفل عن  
ذكره " وفي موضع آخر من قصيدة له تعرف باسم القصيدة المكية يقول نظما :-

ركبت على اسم الله مجرى سفينتى

وعجلت فيها بالصلاة مبادرا

ويلخص ابن ماجد الصفات الانسانية التي يجب أن يتحلى بها

الريان في قوله : " وينبغى للمعلم " الريان " أن يعرف الصبر من

التوانى ويفرق بين العجلة والحركة ويكون عارفاً بالأشياء ، وعادلاً لا يظلم  
أحداً لأحد ، مقيماً على الطاعة لله ، متقياً الله عز وجل ويهتم ابن ماجد  
كثيراً بالتجربة وإعادة تحقيق أبحاثه للنجوم على فترات فنية علمية لم  
تكن معهودة على وقته .<sup>(١)</sup>

والواقع أنه بعد قراءة مؤلفات ابن ماجد يمكننا أن نقرر بكثير من  
الثقة والاطمئنان بأن ابن ماجد لم يكن هو الدليل أو المرشد الملاحى  
لمراكب دى جاما ولا لغيره من الاميرالات البرتغاليين الذين أبحروا من  
بعد من ساحل أفريقيا الشرقى الى الهند وذلك للأسباب الآتية :-

١ - ان رواية النهر الى عن ابن ماجد ضعيفة لا يعتد بها وخاصة وأنه  
كتب كتابه " البرق اليماني " بعد رحلة فاسكو دى جاما الأولى  
بنحو ثمانين سنة ومن ثم فقد اعتمد على الاشاعات المتواترة ومن  
عادة العوام أن ينسبوا الحوادث الكبرى للأسماء اللامعة .

٢ - بيد والخط واضحاً في مقال النهر الى سواء بالنسبة للحوادث  
المكانية أو الزمانية فالمتتبع لمقالته يرى أنه يعتقد بأن ابن ماجد

---

(١) أنور عبد العليم : المرجع السابق ، ص ٢١٠ .

دل البرتغال على الطريق حول رأس الرجاء الصالح الذي كانت  
مراكبهم تتكسر حوله ، لا على الطريق الملاحي من ماليندى على  
ساحل كينيا الى قاليقوت وهي ميناء صغير على ساحل الهند  
الغربية ، أما الخلط في الحوادث الزمنية فانه البوكيرك فتح هرموز  
عام ١٥٠٧م أى قبل بناء قلعة جوا وليس بعد ها كما يذكر النهرالى .<sup>٩١٣هـ</sup>

٣ — من المؤكد كذلك أن الملاحين العرب في ذلك الوقت كانت بأيديهم  
أغلب تجارة المحيط الهندي وما كانوا يسمحوا للبرتغال بانتزاع هذه  
السيادة منهم فيد لوهم على طريق الهند بهذه البساطة .

٤ — ان أغلب المصاد والبرتغالية نفسها تقرر أن الريان موضع الخلاف كان  
مسلمًا من جوزرات " على ساحل الدكن " وكان يعرف بالمعلم " كانا "   
أو " كاناكا " بينما كان ابن ماجد عربيًا من ظفار بالجزيرة العربية واسمه  
سهل النطق والحفظ فلو كان هو نفسه المرشد فلماذا تغفله المصادر  
البرتغالية كلها بلا استثناء .

٥ — ان ابن ماجد اشتهر بغزارة كتابته سواء في المنشور أو المنظوم منها لم  
يصد عنه ما يدل على أنه ركب مركبا برتغاليا أو أرشد ها الى الهند أو  
جرت مناظرة بينه وبينهم .<sup>(١)</sup>

---

(١) أنور عبد العليم : المرجع السابق ، ص ١٣٢ .



ولو أننا أخذنا بأن أحمد بن ماجد هو الذي دل البرتغاليين  
الى الهند لوجدنا نقدا شديدا له في كتب المؤرخين في نهاية القرن  
السادس عشر الميلادي وخاصة العثمانيين ، فحادثة مثل هذه قد جرت  
الخراب على العالم الاسلامي ، وكلفت الدولة العثمانية كثيرا من الوقت  
والجهد في سبيل طرد البرتغاليين ، فما من شك أننا كنا قد نجد لوما  
شديدا للعرب وخاصة أحمد بن ماجد ولكننا نجد العكس من ذلك ، فالقائد  
البحري التركي الشهير سيدي علي وهو من الذين أرسلتهم الدولة العثمانية  
لقيادة حملاتها عام ٩٦٢ هـ — ١٥٥٤ م نجده في كتابه المحيط لا يوجه  
أي لوم الى ابن ماجد ، وعند ما يتكلم عنه يخصصه بالمدح والأطراء بل ويصفه  
بأنه من أفضل ربابنة الشاطئ الهند في الغرب في القرنين الخامس عشر  
والسادس عشر الميلاديين ، ويختم كلامه عنه بقوله تغمد الله برحمته ، نقول  
هذا على الرغم من الفشل الذي صادف حملته ، لدرجة أنه لم يستطع  
الوصول الى القسطنطينية ، الا بعد رحلة طويلة برا من الهند الى عاصمة  
دولته ، فلو كان لابن ماجد أي ضلع في ذلك لكننا وجدنا اشارة ما ، تدل  
على سخط سيدي علي بن حسين علي ابن ماجد ، ولكننا لم نجد الا ما ذكرنا  
سابقا .

ويبدو الشاطئ الجنوبي المشرف على المحيط الهندي كحائط مسن

صخور عارية قاحلة تتخلله مناطق رملية منخفضة ، ولكنها تخلو خلوا تاما من التربة الصالحة للزراعة ، لذلك يرى المسافر في ذلك المحيط صورة أقرب للخراب ، تقوم خلفها سلاسل من جبال صفراء عالية ، يليها الى الداخل صحراء محرقة فترى سماء لا سحب فيها تظل محيطا من الرمال ، ولعل هذا يصور الأهمية البالغة لوجود نقطة صالحة كمرأ على هذا الشاطئ ، وتزداد هذه الأهمية ان اجتمعت في هذه النقطة الحصانة ضد هذه الأخطار جميعا ، أى حصانة ضد البحر ، وحصانة ضد البر .<sup>(١)</sup>

ويعتبر بحر العرب ذات أهمية وذلك في وجود سياج مرتفع من اليابس حول مياهه من ناحية الشمال حيث تتخلله من الممرات المائية التي تخترق هذا الحصار المضروب من قبل اليابس حول مياه المحيط الهندي ، وتربط مياهه بمياه المعمور الفعال في الشمال ، وبالتالي فان أهمية بحر العرب تكمن في أنه يتحكم في مجموعة من الممرات المائية الاستراتيجية ولو تتبعنا هذه الممرات في اتجاه عقارب الساعة ومن الغرب الى الشرق ، فسنجد ها تتصل على التوالي في : طريق رأس الرجاء الصالح ، قناة موزمبيق

---

(١) محمد عبد اللطيف البحراوى : المرجع السابق /

باب المندب ، مضيق هرمز ومضيق ملقا ، وكل دول المدخل الجنوبي  
تعانى من ضعف موارد ها الطبيعية فالتربة الصحراوية الفقيرة تشكل  
النمط السائد فى منطقة المدخل الجنوبى التى تعانى بدورها من  
ضعف موارد ها المائية بحكم وقوعها فى العروض المدارية الجافة وشبه  
الجافة ، حيث أن جزءا كبيرا من دول المدخل الجنوبى يدخل فى  
نطاق الصحارى الأكثر جفافا فى العالم ، ونتيجة لهذه الظروف نجد  
أن منطقة المدخل الجنوبى ، تعد جزءا من نطاق الجوع والعطش فى  
العالم ، حيث تعجز الموارد الزراعية عن الوفاء بحاجات السكان الضرورية  
من الغذاء ، وعلى الرغم من افتقار الساحل فى معظم قاطاعاته الى الحروف  
العالمية التى تعوق عمليات الاقترحام البحرى ، الا أن وجود الشعاب  
المرجانية على هيئة حواجز موازية لخط الساحل يؤدى الى تعذر الحركة  
وصعوبة النفاذ الى الداخل ، كما أنه يشكل خطا دفاعيا يعوق عمليات  
الانزال البحرى فى معظم القطاعات الساحلية .<sup>(١)</sup>

وكان الشاه اسماعيل الصفوى يجتهد كثيرا فى ايجاد القلائل

---

(١) محمود توفيق محمود : المرجع السابق /

والاضطرابات في داخلية الدولة العثمانية فبث لذلك بذور الفساد في  
جميع الجهات المتاخمة له منها ولهذا رأى السلطان سليم أن —  
الضرورة جدا استئصال بذور هذا الفساد ولما بلغه أن كثيرا من رعايا  
الحكومة العثمانية تمذهب بذهب الشيعة على أيدي دراويش الغزل باش  
الذين ييشهم الشاء اسماعيل بالجهات أمر يحصرهم وتعدادهم في السر  
فبلغوا أربعين ألفا أو نحوها وقصد من ذلك أخذ الاحتياطات اللازمة  
ليمكنه تجنب ما عساه أن يحدثه بدخلية البلاد إذا اشتبكت الدولة في  
(١)  
حرب خارجية .

وكان من الطبيعي أن تهب الدولة العثمانية لمواجهة هذا الزحف  
الشيعي الذي يحمل بين ثناياه خطرا سياسيا يهدد كيان الدولة من أساسه  
، فاتجه السلطان سليم إلى العراق ، ومنها إلى فارس حيث أنزل الهزيمة  
باسماعيل الصفوي في جالديران " ١٥١٤ م " وقد أصبحت مهمة العثمانيين  
عالمية وليست محلية ، حيث قاموا بانقاذ العالم الاسلامي من البرتغاليين ،  
وانقاذ أنفسهم من الضغط الصفوي الشيوعي المتواصل في الأناضول ، وهذا

---

(١) اسماعيل سرهنك : المرجع السابق ، الجزء الأول ،

يفسر لنا قيام السلطان سليم الأول بالقضاء على الشيعة في الأناضول

٩٢٠ هـ (١)

ثم حربه مع الشاه اسماعيل الصفوى سنة ١٥١٤ م .

وكانت الدولة العثمانية ، منذ بداية قيامها ، ودأب السنين الطويلة من الفتح للمدن والدول المسيحية ، تستربأ بها دولة اسلامية ، ترفع من شأن الاسلام والمسلمين وكانت عقب كل فتح كبير من الفتح ، تبعث الرسل الى الاقطار الاسلامية ، لتبشر الشعوب الاسلامية بانبياء الانتصارات على اوروبا وأحلافها المسيحية .

وكان سلاطين آل عثمان قد ارتبطوا منذ قيام الدولة بالأراضي المقدسة ارتباطا روحيا ودينيا ، فقد أوقف السلطان محمد الأول جزء كبير من أمواله على فقراء الحرمين ، كما أن مراد الثانى رتب لفقراء الحرم المكي مبلغا من ماله الخاص ، كان يرسلها الى مكة سنويا ، وتعهده محمد الثانى فاتح القسطنطينية فقراء مكة بهداياها كما أن بايزيد الثانى والد السلطان سليم قام بأداء فريضة الحج فى نفس العام الذى تولى فيه حكم آل عثمان ،

---

(١) عبد العزيز نوار : مصر والعراق دراسة فى تاريخ العلاقات بينهما

حتى نشوب الحرب العالمية الأولى ، ص ٥٨ .

أى فى عام ١٤٨١ هـ ، وتوثقت علاقته بأمير مكة كما توثقت علاقته بكبار  
العلماء فى مكة وأغدق عليهم الهدايا ، وأغدق الأموال على الفقراء .

ثم ان السلطان سليم وجد شرفا كبيرا فى أن يطلق عليه حامى  
حمى الحرمين الشريفين ، ولهذا نراه بمجرد دخوله القاهرة ، يفكر فى  
اعداد حملة ليعهد اليها بضم الحجاز الى دولته ، ليكسبها شرفا وعلوا ،  
هذا فضلا عما أدركه سليم من أهمية الحجاز لمصر من الناحية الدفاعية ،  
ومن الناحية الهجومية ، على حد سواء خاصة وأساطيل البرتغال قد  
حققت عدة انتصارات على أساطيل المماليك ، وبدأت تهدد المسلمين عامة .  
(١)

وأصبحت الدولة العثمانية تضم بين أقاليمها العربية ، منذ حكم  
السلطان سليم الأول ، الأماكن المقدسة الإسلامية فى الحجاز وعلى رأسها  
المسجد الحرام حيث الكعبة الشريفة فى مكة المكرمة ، والمسجد النبوى  
الشريف شوى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فى المدينة المنورة ، مما  
أضفى على الدولة زعامة دينية فى العالم الإسلامى وأضيف الى ألقاب كل  
سلطان من سلاطين الدولة العثمانية لقب " حامى حمى الحرمين الشريفين "  
تأكيدا للزعامة الدينية للدولة على العالم الإسلامى السنى وأوقفت الدولة

---

(١) محمد كمال الدسوقي : المرجع السابق /

أوقافا كثيرة على الأماكن المقدسة الإسلامية في الحجاز ، وكانت إيراداتها  
تصب في خزانة مستقلة بالقصر السلطاني تعرف باسم " حرمين دولايى "  
وجرت العادة في معظم الأوقات على تعيين كبير الأغوات ناظرا على أوقاف  
الحرمين .

وكان مما أهفى على الدولة الطابع الدينى الإسلامى الراسخ والتميز  
أنها كانت حريصة الحرص كله على الالتزام بتطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية  
تطبيقا دقيقا في تصرفاتها وإقامة الشعائر الإسلامية واحترام التقاليد الدينية  
، وأنها أنشأت منذ زمن مبكر ، الهيئة الدينية الإسلامية الحاكمة وجعلت  
لها اختصاصات واسعة .

ويبرز الطابع الدينى للدولة العثمانية في اهتمامها الكبير بأقليم  
الحجاز ، وتجلى هذا الاهتمام في عدة امتيازات قررها السلطان سليم  
الأول وهو لا يزال في القاهرة لولاية الحجاز دون سائر الولايات  
العثمانية ، وسار على هذا النهج السلاطين العثمانيون الذين تربعوا  
على عرش الدولة من بعده ، وعملوا على دعم هذه الامتيازات بحيث أصبح  
في حكم الاستحالة المساس بها ، وكان من بين هذه الامتيازات الاعفاء  
الضريبى ، فكان الحجاز لا يقدم جزية سنوية للدولة على الرغم من أن  
السلطان كان يحرص على فرض هذا الالتزام على معظم الولايات العثمانية ،

أما ولاية الحجاز فكانت تتلقى كل عام اعتمادات مالية ضخمة ترصد فى ميزانية الحكومة المصرية ، وقد أمر السلطان سليم الأول بزيادة الاعتمادات المالية المخصصة للحجاز .<sup>(١)</sup>

كانت بلاد اليمن أول أجزاء شبه الجزيرة العربية حظا من عناية المخاطرين والمستكشفين الأجانب ومن جانب الهيئات والبعثات الحكومية المنظمة التى كانت توفدها بعض بلاد أوروبا لعدة أسباب منها : — أن بلاد اليمن كانت أقرب مناطق شبه الجزيرة العربية الى خطوط الكشوف الجغرافية بعد الدوران حول أفريقيا لوقوعها فى الركن الجنوبى الغربى من شبه الجزيرة وعند مداخل البحر الأحمر من الجنوب .

— ان خصوبة أرضها واعتدال مناخها جعلها أسهل ريادة عن غيرها من أجزاء شبه الجزيرة التى تتميز بالوعورة الصخرية وقسوة المسافات والمساحات الرملية الصحراوية التى يمكن أن تبتلع الغرباء من غير العارفين بدروبها ومدقاتها وأماكن آبارها .

---

(١) عبد العزيز الشناوى : المرجع السابق /



— ان وقوعها على الطريق الى الجبهة المسيحية وطرق الكشف

الجغرافية جعل الكثيرين من المخاطرين يفضلونها على غيرها كهدف يمكن الوصول اليه في طريق الذهاب والعودة .

وتعتبر مدينة عدن من أهم ثغور اليمن ومن أعظم المراكز التجارية في المحيط الهندي ، وقد وصفها الكاشغري بأنها فرضة لما يرد من مراكب الصين والهند وكرمان وفارس وعمان وقال عنها ابو الفدا أنها " بلدة حط واقلاع لمراكب الهند وهي بلدة تجارة ، أما الادريسي فذكر أنها مرسى البحرين " بحر الهند وبحر القلزم " ومنها تسافر مراكب الهند والسند والصين واليهما تجلب بضائع هذه الأقاليم ، ووصفها ابن بطوطة بأنها مرسى بلاد اليمن على ساحل البحر الأعظم " المحيط الهندي " والجبال تخفف بها ولا مدخل اليها الا من جانب واحد ، وهي مدينة كبيرة ومرسى أهل الهند تأتي اليها المراكب العظيمة وتجار الهند ساكنون بها وتجار مصر أيضا ، أما ماركو بولو فقال بأنها ميناء ممتاز ، تقصدها السفن القادمة من الهند محملة بالتوابل والعطور ويشتريها التجار لنقلها الى الاسكندرية ، فيفرغونها من السفن الواردة بها ، ويوزعون حمولتها على السفن الأقل حجما مما يستخدم في البحر الأحمر .

والبحر الأحمر عبارة عن حوض ضيق ، شريطي الشكل ، تبلغ مساحته

٤٥٥٦٨ كيلو متر مربع ، ويبلغ طوله حوالى ١٩٢٠ كيلو متر من السويس الى باب المندب ، بينما يبلغ متوسط عرضه ٢٧٢ كيلو متر ، ويضييق البحر الأحمر كلما اتجهنا شمالا أو جنوبا ، حيث يزداد ضغط اليابس على الماء الى حد الاختناق عند الأطراف ويتمثل الاختناق الرئيسى شمالا فى قناة السويس التى يبلغ اتساعها ١٨٠ مترا ولا يزيد عمقها عن ١٤ مترا ، بينما يتمثل الاختناق جنوبا فى باب المندب الذى يبلغ اتساعه ٢١ كيلو مترا فى حين يبلغ متوسط عمقه ٦٣ مترا وعلى هذا فان البحر الأحمر من البحار ذات الامتداد الطولى الكبير ، ولذا تتميز سواحله بالطول بالنسبة للمساحة حيث أن كل كيلو متر من الساحل تقابله ١٤٨ كيلو مترا مربعا من مساحة المسطح المائى ، وبهذا يتعد شكل البحر الأحمر عن الشكل الحوضى المعلوم المندمج ويفتقد بالتالى ما يمكن أن نسميه بالملاحة فى العمق ، فكلما طال الساحل بالنسبة للمساحة فان ذلك يعنى زيادة امكانية السيطرة على المجرى الملاحي من المواقع الساحلية الحاكمة الأمر الذى يحد من حرية الحركة والمناورة فى البحر الأحمر بعيدا عن تطفل الساحل ، وتزداد سيطرة المواقع على مياه البحر الأحمر كلما اتجهنا شمالا أو جنوبا ، حيث يزداد ضغط اليابس على الماء .

(١) محمود توفيق محمود : المرجع السابق .

لذلك جعلت الدولة العثمانية حوض البحر الأحمر هو الجناح الغربي  
لحزام الأمن حول الأماكن المقدسة الإسلامية ، بحرا اسلاميا مغلقا في وجه  
السفن غير الاسلامية فكان يحرم عليها تجاوز موقع ميناء مخا في اليمن ، وكانت  
أمثال هذه السفن تفرغ حمولتها في هذا الميناء ، ويعاد شحنها في سفن  
اسلامية تبهر بها الى جدة أو ينبع أو السويس أو غيرها من موانئ البحر الأحمر  
، وبذلك أغلقت هذا البحر في وجه الزحف الاستعماري الأوروبي الذي حاول  
أن يتسلل من باب المندب الى الأقاليم الاسلامية التي تطل على هذا البحر  
من شاطئه ، وكان البحر الأحمر لا يزال مغلقا في جزئه الشمالي ، لأن قناة  
السويس لم تكن قد أنشئت بعد ، ولذلك انصرف اهتمام الدولة الى مدخله  
الجنوبي عند باب المندب ، وقد تدعم الطابع الاسلامي العثماني للبحر الأحمر  
حين فتح السلطان سليمان المشرع كلا من مصوع وسواكن ، وقد نجحت الدولة  
في تخفيف الضغط البرتغالي على التجار العرب والامارات العربية الساحلية ،  
كما أوقفت الاعتداء البرتغالي الى حد جعله يعجز عن أن يمد مواقفه الى  
داخل البحر الأحمر أو الى داخل الجزيرة العربية ، وحطمت المحاولات التي  
بذلها البرتغاليون لتكوين جبهة مسيحية منهم ومن الأحباش ضد القوى العربية  
الاسلامية في البحر الأحمر وشرقي افريقية .

ان موجز العلاقات الحبشية لبرتغالية ، قد تبلور في الأذهان نتيجة

ثلاث عوامل مهمة وهى أولا ذلك الدور الصغير فى بيت المقدس ، الذى كان يحج اليه الأحباش سنويا ، وبدون أى شك نستطيع القول أن الرهبان الأحباش وحجاجهم لا بد وأنهم كانوا يلتقون بحجاج السدول الأوربية الأخرى ، مما أعطى للأوربيين فكرة عامة عن وجود دولة مسيحية فى جنوب مصر ، وإن كانت معلوماتهم لم تكتمل حتى ذلك الوقت — عن موقعها بالتحديد ، ومدى القوة التى تملكها ، أما العامل الثانى والذى شارك فى بلورة العلاقات الحبشية البرتغالية فهو قصة القديس يوحنا — ذلك الذى ألهم الحماسة الصليبية طيلة القرون التى سبقت مطلع العصور الحديثة ، وأصبح الركيزة الأساسية فى سياسة البابوية تجاه العالم الإسلامى حتى تمكن البرتغاليون فيما بعد من الوصول اليه ، وذلك بعد انتشار أساطيلهم فى المحيط الهندى ، وهذا بدوره ما ألهم الحماسة الصليبية لدى الأحباش ، وعلى الرغم من أن العالم الأوربى وفى مقدمته البابوية قد أقاموا بعض الاتصالات فيما حاول البعض وفشل ، إلا أننا لا نستطيع أن ننكر مدى الاهتمام البرتغالى بالحبشة ، فالدول الأوربية مثل إنجلترا وفرنسا كان لهما دور فى سبيل محاولة جسر الحبشة الى مسرح الحروب الصليبية ، إلا أننا لا نستطيع أن نشبه محاولاتهم تلك بالمحاولات البرتغالية المركزة والمبنية على أساس ضرورة إيجاد طريق

اليه دون حاجة للمرور في الأراضي الاسلامية .

ويلاحظ أن التحالف البرتغالي الحبشي كان يحمل بين طياته منذ البداية عوامل ضعفه وانهيائه ، ويرجع هذا أساسا الى اختلاف وجهتي نظر الطرفين في حقيقة هذا التحالف وفي الغرض منه ، وكان الاختلاف المذهبي بين الحبشة الأثوذكسية والبرتغال الكاثوليكية — الواجهة التي اختلفت خلفها الاختلافات الأخرى التي أدت في النهاية الى تحطيم هذا التحالف .  
(١)

وكان من أهم السياسات العثمانية في الجنوب هو تأسيس ايالة الحبش وذلك لعمل حزام الأمن حول الحرمين الشريفين ضد الغزو الصليبي الاستعماري البرتغالي ، ولأجل ذلك أمر السلطان سليمان القانوني أزد مر باشا بقيادة الجيش لفتح الحبشة ، وجعل تحت أمره ألف شخص لرمي النبال ، ومع هؤلاء أعطى ثلاثة آلاف شخص متطوعين ، وتعتبر هذه الحملة هي الأولى على الحبشة وقد استطاع أزد مر باشا من تسيير حملة الى الحبشة ، التي تعتبر مهمة بسبب موقعها ، وعلاوة على ذلك يوجد معادن غنية ذات قيمة ، وتعتبر من أكبر الكوارث حلت بالعرب في تاريخهم الحديث ،

---

(١) السيد مصطفى سالم : المرجع السابق ، ص ١٠٨ .

هو وصو سفينة الملاح البرتغالى فاسكو دا جاما على شاطئ الهند  
خلال رحلته الاستكشافية البحرية حول رأس الرجاء الصالح ، وهكذا  
وسبطت رحلة دا جاما غرب أوربا ربطا مباشرا بالهند عن طريق الالتفاف  
حول أفريقية ، وتلت هذه الرحلة البحرية رحلات استكشافية أخرى ،  
وأقام البرتغاليون قواعد فى الهند ، ولما كان النشاط البرتغالى قد  
تركز فى السواحل الهندية باعتبارها المصادرا الأساسية لبعض موارد  
الشرق ذات الطلب فى أوربا ، وكان من الطبيعى أن يكثّر البرتغاليون  
من انشاء المراكز البرية والبحرية ، فكان الى جانب جوامع مراكز فى كوشن  
وكنانور ودابول وديو ، وكلها كانت مراكز ذات ثقل تنطلق منها الدوريات  
لاعتراض كافقالسفن التجارية الاسلامية التى كانت تتحرك دون اذن من  
القيادة البرتغالية .

وكانت عداوة البرتغاليين للمسلمين فى غرب الهند بالغة جدا كبيرا  
على ما قال زين الدين المعبرى " يهزأون بهم ، ويظلمونهم ويعطلون  
حجهم ، ويحرقون مساجدهم ، ومنها ما اتخذوه بيعا لهم ، ويأخذون  
مراكبهم وأموالهم ، ويطأون مصاحفهم وكتبهم بأرجلهم ويحرقونها بالنار ،  
ويهتكون حرمة المساجد ، ويحرضون على قبول قول اردة والسجود لصليبيهم ،  
واذا سقط أسرى المسلمين رجالا كانوا أم نساء فى أيدي البرتغاليين

ينصرونهم قسرا ، الى غير ذلك مما كانوا ينزلونه فيهم خاصة من العذاب  
ليخلوا لهم الجو في تلك الأصقاع ، ويقبضوا على زمام تجارتها للهند ،  
ويطردوا عن أسواقها وموانئها المنافسين لهم " .

وكان البرتغاليون أسبق الأوربيين صلة بمنطقة الخليج ، فقد  
وفدوا اليه عقب خروج المسلمين من الأندلس ، وقد بدأت صلاتهم  
بهذه المنطقة عقب رحلة فاسكودى جاما التى طاف بها حول رأس الرجاء  
الصالح فكشف طريقا للهند والشرق الأقصى دون المرور بالبحر الأبيض  
والبحر الأحمر .

وبدأ البرتغاليون زحفهم على جزيرة هرمز وأخضعوا حاكمها لهم  
والزموه بدفع جزية سنوية .

ويعدّ مضيق هرمز من أكثر الممرات المائية أهمية في عالم اليوم ،  
وترجع هذه الأهمية الى أنه يلعب دور " الصمام الرئيسى " الذى يتحكم  
في حركة الخليج ، ولذا فان مضيق هرمز يتمتع بأهمية استراتيجية  
بالغة الدقة والحساسية ، ومن هنا ، فقد شبه البعض " هرمز " بالوريد  
نظرا لأهميته البالغة ، وتعتبر هرمز أهم مركز تجارى به ، وكانت بها  
مملكة ذات نفوذ كبير ضمت معظم موانئ الشاطئ العمانى ، وكانت تخضع

(١) محمود توفيق محمود : المرجع السابق /

لها كل من قلعات وقرباط ومسقط وصحار والبحرين ، وقبل أن يهاجم  
البوكيرك هرمز ، عمل على تحطيم قوتها ونفوذها بتدمير المدن التابعة  
لها ، وعند ما سار اليها البوكيرك وجدها غير تلك المدن التي دمرها  
وأحرقها. إذ وجدها مدينة منيعة محصنة مستعدة ، وكان يحكم هرمز  
في ذلك الوقت الملك سيف الدين وهو ابن اثنتي عشرة سنة تحت وصاية  
مربيه الشيخ خوجة عطار الذي عمل جاهدا على جمع أكبر قدر من القوات  
من الفرس والعرب لحماية الجزيرة ، ورغم استخدام قوات هرمز للمدافع  
ضد البرتغاليين إلا أن أسلحة أعدائهم كانت أكثر قوة وحاصر البوكيرك  
الجزيرة وطلب من ملكها التسليم والخضوع لملك البرتغال .

وأمام كل هذه الأخطار أخذ العثمانيون يحاولون مد نفوذهم  
الى البصرة لاكمال حلقة الدفاع عن شبه الجزيرة العربية ، والجناح الشرقى  
لحزام الأمن حول الحرمين الشريفين ضد الغزو الصليبي الاستعماري  
البرتغالي ، فقد اتصل بمقرن بن زامل حاكم الأحساء وأمدته بكل أنواع  
المساعدات والأسلحة لمقاومة البرتغاليين .<sup>(١)</sup>

---

(١) خلف بن دبلان الوزيناني : المرجع السابق /



ويبدو القرن السادس عشر في تاريخ الهند فترة متميزة ، فقد  
ارتبطت فيها الهند بالعالم الخارجى ارتباطا وثيقا جدا عن ذى قبل ،  
كما ارتبطت بالمفول في شمالها الغربى ، وأيضا ارتبطت بالبرتغاليين  
ثم غيرهم من الاوربيين على الساحل .

وكان لعدم الوحدة الاسلامية في الهند ، نكبة على مسلمى الهند ،  
كما كانت نكبة أيضا على من استنجدوا بهم ، وكان لتباعد المواقع ثم  
الفوارق الشاسعة في الحياة الاجتماعية بين مسلمى الولايات الهندية  
( ١ )  
أثر عميق في عدم تحقيق هذه الوحدة .

وان أبرز شيء يبدو جلليا في علاقات البرتغاليين بالأقاليم الهندية  
في ذلك الحين ، هو موقف الصادقة العام والتسامح حيال هؤلاء الأجانب  
الجدد بمختلف البلاطات الهندوكية في الجنوب باستثناء قاليقوت وكانت  
الأميراطورية شيجابانا جار الهندوكية تقيم علاقات مودة مع البرتغاليين  
في جوا وتسمح لهم بالاتجار داخل ممتلكاتهم الفسيحة الأرجاء ، وذلك على  
حين أنه كانت للسلطات البرتغالية علاقات مودة وثيقة مع حكام كوتشيين ،

---

( ١ ) محمد عبد اللطيف البحراوى : المرجع السابق /

(١)

حيث أقام البرتغاليون أولى مؤسساتهم .

وبدلاً من أن يسعى الشاه اسماعيل الى توحيد القوى الاسلامية  
في الشرق الأدنى ، وايجاد علاقات حسنة مع العثمانيين الذين كانوا  
في جهاد مستمر ضد الأوربيين ، فقد سعى الى العكس من ذلك بمحاولة  
اتفاق مع سلطان المماليك في مصر ضد الدولة العثمانية ، وفعلاً أضحت  
بينهما مصافاة ومحبة فلأجل ذلك أرسل الغوري الى جهات حلب يمنع  
القوافل عن الذهاب الى عسكر السلطان سليم ، كما أرسل الشاه اسماعيل  
الى مصر وفداً يطلب الى سلطانها أن يتحالف معه بغية إيقاف توسع  
العثمانيين ويمن له أن لم يتفق معه فسيحارب العثمانيون كلا منهما على  
حدة وبذلك يسهل عليهم قهر الطرفين وأخذ أملاكهم ، وكان العثمانيون

(٢)

على علم بهذه الاتصالات .

وكان ضم العراق أمراً ضرورياً أملت أهمية موقعه الجغرافي فهو

---

(١) ك . م . بانينكار : المرجع السابق ، ص ٥١ .

(٢) محمد عبد اللطيف البحراوي : المرجع السابق /

يتحكم في مدخل الخليج العربى ، وكان اغلاق الخليج تماما يعنى  
بالضرورة ضم الاراضى العراقية المطلة على الخليج ، والأهمية الاستراتيجية  
للسيطرة على العراق تكمن في أنه يمكن للعثمانيين من احكام الحصار  
البرى والبحرى على الدولة الصفوية ، فانه بالرغم من انتصار السلطان سليم  
الأول على اسماعيل الصفوى في جالديران الا أنه لم يكن انتصارا حاسما ،  
بمعنى أنه لم يكن نصرا يحطم الدولة الصفوية ذاتها كما حدث للدولة  
المملوكية ولذلك وجد السلطان سليمان أنه من المحتم عليه أن يواصل  
القتال في الجبهة الشرقية حتى لا تنمو قوة الصفويين من جديد ورأى ضرورة  
ضم العراق ضمانا لاكمال الحصار البرى والبحرى حول الدولة الصفوية لأن  
انتزاع العراق من أيدي الصفويين انما يعنى عزلهم تماما عن العالم كما يعنى  
القضاء نهائيا على أى احتمال لحدوث اتصال بحرى بين البرتغال والصفويين  
وبالتالى استفادتهما من قيام أى تحالف مشترك بينهما خاصة وأن الدولة  
العثمانية كانت تخوض غمار حرب ضد هما ، لهذا الأسباب توجه السلطان  
سليمان على رأس جيش في عام ١٥٣٤م الى العراق ، وأستطاع ان يستولى  
على بغداد كما اوضحنا .

وبعد أن فتح السلطان سليمان القانونى بغداد وبعد أن أدخل

في حوزته البصرة والساحل الغربي للخليج العربي أصبح على السلطان  
العثماني ان يظهر الخليج العربي من البرتغاليين حيث ان هرمز ومسقط  
كانت معاقل برتغالية قوية هناك اذ كان قتال البرتغاليين في الطرق  
المؤدية الى العراق قد أصبح أمرا ملحا على العثمانيين ، ولقد كان من  
بين أهداف ضم العثمانيين العراق هو ان تنطلق القوات البرية والبحرية  
العثمانية الى المياه العربية والهندية لقتال البرتغاليين ولعمل حزام الأمن  
وذلك لانقاذ مكة المكرمة والمدينة المنورة من المؤامرات التي كان يضرها  
(١)  
قواد الأساطيل البرتغالية .

خضعت البصرة للعثمانيين على اثر فتحهم بغداد ، اذ كان أمير  
البصرة راشد بن مفاس من بين زعماء القبائل الذين هرعوا الى بغداد معلنين  
ولاءهم للسلطان العثماني ، فأبقاه واليا على البصرة من قبله .

ولم توقف الدولة العثمانية حملاتها ضد البرتغاليين حيث جهزت حملة  
بقيادة مراد بك الذي كان قد واجه البرتغاليين مرة في القطيف كما أشرنا  
وكانت الأوامر الصادرة الى مراد بك ، تأمره بتجهيز السفن في ميناء البصرة

---

(١) عبدالعزيز نوار : مصر والعراق دراسة في تاريخ العلاقات بينهما حتى نشوب  
الحرب العالمية الأولى ، ص

والخروج للقاء البرتغاليين في الخليج العربي فخرج في سبع عشر سفينة ،  
وعند رأس مسندم وقعت معركة بحرية بينه وبين القائد البرتغالي ديبجودي  
نورونها فهزم فيها وقتل عدد من قادة أسطوله مما اضطر مراد بيك السبي  
الرجوع إلى البصرة .

ثم بعث السلطان سليمان القانوني قائدا أكثر مهارة وخبرة في البحار  
يدعى سيد علي ريس حسين وهو عالم فلكي شهير له مؤلفات في علوم البحار  
أشهرها كتاب سماه المحيط ، وخرج سيد علي ريس من استانبول السبي  
حلب ، فالموصل وبغداد فالبصرة وهناك باشر في إصلاح السفن ، وبنى  
سفنا جديدة ، وأخيرا أبحر من البصرة وكان الأسطول البرتغالي ثلاثة أضعاف  
سفن سيد علي ريس بقيادة فرناند يزدي منزيس وأنطونيو دي نورونها وتقابل  
الأسطولان العثماني والبرتغالي بالقرب من رأس مسندم على الساحل العماني  
، ووقعت معركة انتصر فيها المسلمون وأغرقوا فيها أكثر سفن الأعداء ، ثم  
تتبع العثمانيون أعداءهم إلى مسقط ودارت معركة ثانية بالقرب منها حيث  
تقابل الأسطولان ، وكانت الأحوال الجوية غير ملائمة ، بينما التزم الأسطول  
البرتغالي طريقه داخل البحر لمحاصرة الساحل ومنع السفن العثمانية من  
الاقتراب ، ونشب قتال بين الجانبين وفقد العثمانيون بعض سفنهم التي  
احترقت كما فقدوا بعضها بعد قتال جري بالأيدى ، وبما أن بعض سفن

سیدی علی لم تشترك حتى ذلك الوقت في القتال وكانت تراقب سير المعركة من بعيد فقد صمم القائد علی فشل انتصار البرتغاليين عليه ، وحاول التحرك شمالا نحو الشاطئ الآخر ولم يجرؤ علی العودة إلى القسطنطينية (١)  
خوفا من السلطان .

وكانت اغلب الحملات العثمانية تخرج من بيلريكية الأحساء والقطيف للمهجوم علی قاعدة البرتغال في هرمز ، لصد الحملات البرتغالية الصليبية ، عن الأراضي المقدسة ، وذلك لبعث الخليج عن قواعد الدولة البحرية في قناة السويس ، اعتبرت الدولة الأحساء خط الدفاع الشرقي لها ، لهذا الأسباب اختارت الدولة العثمانية الهفوف عاصمة لمقر حكمها ، ليكون خطا يربط مساندا للقوة البحرية في حروبها مع البرتغال في الخليج العربي .

وأعلن أهالي القطيف تبعيتهم للدولة العثمانية لحمايتهم من البرتغاليين وسلموا قلعة المدينة للعثمانيين ، وفعلا دخل العثمانيون القطيف وفرضوا حمايتهم عليها ، لذلك استنجد حاكم البصرة السابق بالبرتغاليين أملا في استرداد ملكه من العثمانيين وأرسل نائب الملك في الهند " الفونسو دي نورونها " ابن أخيه أنطونيو دي نورونها في حملة

---

(١) س.ب. مايلز : المرجع السابق / ص ١٧٨ .

مكونة من تسع عشر سفينة عليها ألف ومائتا رجل توجهت الى القطيف ، وفي  
هرمز تجمع جنود شيخ وأمير البصرة مع جنود ثورنها ونزلوا أمام قلعة  
القطيف وقصفوها ود مروا قلعتها وتحصيناتها ، ورغم استيصال العثمانيين  
في تلك المعركة الا أن الهزيمة حاقت بهم وعادت القطيف تزح تحت نير  
السيطرة البرتغالية •

ولم تستمر سيطرة البرتغاليين على القطيف طويلا حيث استمر  
العثمانيون القطيف مرة أخرى •

وبدأ العصر العثماني في الأحساء عصر السلطان سليمان القانوني ثم  
بعد ذلك بنى مسجدا داخل الكوت في بلد الهفوف التي اتخذتها الدولة  
العثمانية عاصمة للبلاد يعرف الآن بمسجد الدبس ، لأن التمر يباع بقرية ،  
فيتسرب من أوعيته الى المسجد ، وهذا المسجد بناء أحد الولاة العثمانيين  
وهو محمد باشا ، وكتب تاريخ عمارته بخط منقوش جميل هذا نص ما كتب  
عليه :-

” بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام  
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، قد بنى وعمر هذا المقام في زمان  
السلطان العادل سليمان بن السلطان سليم حضرة الحاكم الأجل ، قدوة

الحاكم كهف الأنام ، صاحب السيف والقلم والى بلد الأحساء محمد باشا

فى سنة ثلاث وستين وتسعمائة هجرية \* .

وهذا النص كاف ليكون الفصيل التاريخى بين المؤرخين فى تحديد

(١)

زمن السلطة التركية على الأحساء \* .

وقد عانت الأحساء أشق أنواع الصراع وأطولها فى هذه الفترة " فسى

القرن السادس عشر الميلادى " وتعرضت لحركات وقوى كثيرة ، لكن

استطاع العثمانيون الاستيلاء عليها ، وولوا عليها على بن احمد البريكسى ،

وجاء بعده ابنه محمد ثم ولى العثمانيون عمر باشا على على الأحساء \* .

ولأهمية موقع الأحساء استراتيجيا وجغرافيا بالنسبة للخليج ، فقد كانت

الأحساء هى الرحى التى دارت عليها الحرب ، فكانت أغلب الحملات العثمانية

تخرج من بيلربكية الحسا والقطيف للهجوم على قاعدة البرتغال فى هرمز ،

لصد الحملات البرتغالية الصليبية ، عن الأراضى المقدسة ، وذلك لبعدها

الخليج عن قواعد الدولة البحرية فى قناة السويس اعتبرت الدولة الأحساء خط

الدفاع الشرقى لها \* .

---

(١) خلف بن دبلان الوزينانى : المرجع السابق / ص ٥٢ \* .



ومنذ اختيار العثمانيين الهفوف عاصمة للأحساء فإن أهميتها التاريخية ظلت تتزايد ، والهفوف من هفة الريح وسميت أيضا الهفوف لتهافت الناس اليها ، كما أن الذين يهاجرون الى الأحساء من جميع الجهات لا يرغبون الا في سكنها لكونها عاصمة الأحساء ، ومدينة التجارة التي ترد اليها من المحيط الهندي عن طريق موانئها الثلاثة ، وكل منهم مرسى مهم القطيف ، والعقير ، وقطر ، والعقير أقرب الثلاثة الى الهفوف التي تتوسط في موقعها بلاد الأحساء ومرافقها الساحلية ، وفي أرضها الخصبة خيرات كثيرة عظيمة البساتين كثيرة الفواكه المختلفة وفيها أنواع التمور ، وأجود أنواع الجيوب ، وجو الأحساء عموما معتدل .

وهكذا كان حزام الأمن العثماني حول الحرمين الشريفين خير حماية للأماكن المقدسة الاسلامية في وجه الهجمة الأوربية البرتغالية الصليبية الاستعمارية الشرسة ، وكان العثمانيون أول من أخذ بفكرة أحزمة الأمن ، ولكنهم أقاموا حزامهم لحماية مكة والمدينة ، بينما أخذت أوربا الاستعمارية فيما بعد بفكرة الأحزمة الاستعمارية .

المصادر والمراجع

## أولا : المخطوطات العربية :-

~~~~~

١ - زين الدين المعبري

تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين

يبدو من محتويات المخطوطة ، أن المؤلف عايش كثيرا من الأحداث
المتى يذكرها ، ومع صغر حجم المخطوط ، إذ لا يزيد عن سبع
وأربعين ورقة إلا أنها مفيدة جدا ، في التعرف على مجيء البرتغاليين
الى السواحل الهندية ، ونشاطاتهم وأعمال القرصنة البحرية التي كانوا
يقومون بها .

ويتكلم المؤلف في رسالته عن كفاح السامريين حكام كاليكوت ،
ضد الهيمنة البرتغالية وتكاد تكون معظم المعلومات الواردة في هذا
الصدد والموجودة في المراجع العربية وغيرها ترجع الى هذه الرسالة ،
وذلك على الرغم من عدم الاشارة اليها ، في قوائم المصادر والمراجع ،
كما تتضمن الرسالة الأخبار المتعلقة بالبرتغاليين منذ مجيئهم الى
كاليكوت في مطلع العصر الحديث .

والمخطوطة محفوظة ضمن مجموعة يهودا العربية في مكتبة جامعة

برنستن بعد ينة نيو جرسى الأمريكية ، تحت رقم ٣٩٢٠ وتوجد لها

نسخة مصورة تصوير ميكروفيلم في مكتبة ميكروفيلم التابعة لمركز البحث العلمي
واحياء التراث الاسلامي في كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، بجامعة
أم القرى بمكة المكرمة ، تحت رقم ٥٧٥ " تاريخ وتراجم " .

٢ — عبد القادر العبيدروس :

النور السافر عن أخبار القرن العاشر

تبدأ المخطوطة بقوله ذكرت فيه وفيات من ظفرت بتاريخ وفاته ممن
مات في أول هذا القرن الذي أوله سنة احدى وتسعمائة وختم بالحسن
من سائر العلماء والصلحاء والقضاء والأدباء والملوك والأعيان مصرياً كان أو
شامياً أو حجازياً أو يمنياً أو هندياً وأيضاً ضم بعض الحوادث المجريسات
والحكايات العجيبة .

والمخطوطة محفوظة في مكتبة عارف حكمة بالمدينة المنورة تحت رقم
٩٠٠/٢٦٣ وتوجد لها نسخة مصورة تصوير ميكروفيلم في مكتبة كليــــة
الشريعة والدراسات الاسلامية ، بجامعة أم القرى بمكة المكرمة تحت رقم
١٦١٨ " تاريخ وتراجم " .

٣ — عيسى بن لطف الله المطهر :

روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة

في اليمن من الفتن والفتوح

يبدأ المؤلف مخطوطه بالحمد لله ثم يذكر الحوادث من سنة
أحدى وتسعمائة ثم يذكر خروج الشراكسة من اليمن وظهور الأحداث
والفتن في دولة عامر وانحلال ملك آل طاهر وابتداء دولة الامام
شرف الدين ثم يتحدث عن ذكر خروج الدولة العثمانية الى هذا
الاقليم والاستيلاء على ملكه وما جرى بينهم وبين المظهر بعد استقلاله
في سلمه وحرره ومواطن قتاله وكيف كان استدعاءهم لنصرتهم وانتهى
على أسرته واخوته .

وتقع المخطوطة في مائة واثنين وعشرين صفحة وتنتهى الخطوطة
بسنة خمسة وأربعون وتسعمائة للهجرة .

والمخطوطة محفوظة في المكتبة العثمانية بحلب تحت رقم ٨٠٨
وتوجد لها نسخة مصورة تصوير ميكروفيلم في مكتبة ميكروفيلم التابعة لمركز
البحث العلمى واحياء التراث الاسلامى في كلية الشريعة
والدراسات الاسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة
تحت رقم ٢٨٦ " تاريخ وتارجم " .

ثانيا : المصادر العربية :

=====

٤ - احمد بن ماجد :

الفوائد في أصول علم البحر والقواعد

تحقيق ابراهيم خورى

١٩٧١م دمشق

تحتوى على مؤلفات احمد بن ماجد وفيها الفوائد الاثنا عشر .

٥ - الشيخ العلامة شمس الدين أبى عبد الله محمد أبى طالب الانصارى

الصوفى الدمشقى :

نخبة الدهر في عجائب البر والبحر .

يحتوى الكتاب على تسعة أبواب وكل باب مقسم الى عدة فصول

وهى كما يلى :-

- الباب الأول في الكلام على كرة الأرض وما قاله القدماء فى

ماهيتها .

- الباب الثانى في ذكر المعادن السبعة الذائبة المتطفرة .

- وفي الباب الثالث ذكر الأنهار الجارية والعيون والآبار وينابيعها

المختلفة .

— وفى الباب الرابع : فى الكلام على كثرة المياه وما قالست

القدماء وفى احاطته بالأرض .

— وفى الباب الخامس : فى ذكر بحر الروم المسمى تيطس ومخرجه

من خليج الاسكندر .

— وفى الباب السادس : فى ذكر بحر الجنوب والخليج الأكبر

الخارج منه المسمى بأسماء نواحيه .

— وفى الباب السابع : فى ذكر الممالك المشرقية والأصقاع والكور

التي ملكها المسلمون .

— وفى الباب الثامن : فى وصف الممالك الغربية .

— وفى الباب التاسع : فى وصف انتساب الأمم الى سام ويافت وحام

أولاد نوح النبى .

٦ — شمس الدين محمد بن طولون :

مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان

" تاريخ مصر والشام "

القسم الثانى

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر .

القاهرة ١٩٦٤م .

يحتوى الكتاب على الأحداث التى حدثت بين عام ٩٢٢ هـ الى عام

٩٢٦ هـ .

٧ — عثمان بن عبد الله بن بشر النجدي الحنبلي :

عنوان المجلد في تاريخ نجد

” السوايق ”

الطبعة الثانية ١٩٧١م

• حققه وعلق عليه : عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ

• طبع وزارة المعارف المملكة العربية السعودية

والسوايق : أحداث نجد قبل الدعوة السلفية ، وكان قد

• اخترع السوايق قبله محمد بن عمر بن حسين الفاخري

قال : ” أريد أن أدخل السنين السابقة بين سنى هذا الكتاب

منتشرة فيه متتابعة سنة سابقة تحت سنة لاحقة والعلامة عليها قولسى

• سابقة لتحصل مع الكتاب فائدة فى المتقدم والمتأخر ”

وهذا الكتاب هو السجل المفصل لما وقع فى نجد من الحوادث ،

التاريخية منذ فجر النهضة الإصلاحية وظهور الدعوة السلفية ، وهو

معاصر لبعض هذه الأحداث التى يتضمنها مؤلفه ، وتعتبر روايته

• من أصدق الروايات وأكثرها تفصيلا

٨ — عبد الكريم بن محب الدين القطبي

ت ١٠١٤ هـ

تاريخ البلد الحرام

الطبعة الأولى

مطابع دار الكتاب العربي ١٩٥٠ م

يشتمل الكتاب على عدة أبواب منها : — وضع مكة ، وبيع دورها
وبناء الكعبة المشرفة ، وميراث آل عثمان بمكة ، وميراث آل عثمان بالمدينة
، والأماكن الماثورة بمكة ، ووقفية كسوة الكعبة .

٩ — أبي محمد عبد الله الطيب أبي مخرمة :

تاريخ شعر عدن

الجزء الأول

مطبعة بريل في مدينة ليدن ١٩٢٦ م

يحتوى الكتاب على قسمين : فالقسم الأول نذكر شئ مما جاء فى
عدن من الآيات والأحاديث والآثار والأشعار ونذكر سورها ومشهور دورها
وباب برّها وما ينسب اليها مما هو حواليتها .
أما القسم الثانى فيحتوى على ذكر تراجم من نشأ بها أو ورد لها من
العلماء والصلحاء والملوك والأمراء والتجار .

١٠ - الشيخ قطب الدين النهروالى :

الاعلام بأعلام بيت الله الحرام

ت ٩٨٥ هـ

الجزء الثالث

يشمل الكتاب على عدة أبواب وهى : فى ذكر وضع مكة المشرفة ،

وفى بناء الكعبة المعظمة ، وفى بيان ما كان عليه وضع المسجد الحرام

فى الجاهلية • وفى ذكر ما زاد العباسيون فى المسجد الحرام ،

وفى ذكر ما عمرته ملوك الجراكسة فى المسجد الحرام ، وفى ظهور ملوك

آل عثمان •

وأهم الأشياء التى يحتويها والتى تتعلق بالموضوع هو ذكره عن

السلطان سليمان خان • ويختم الكتاب بذكره عن المواضع المباركة والأماكن

المأثورة بمكة •

١١ - قطب الدين محمد بن أحمد النهروالى

البرق اليمانى فى الفتح العثمانى

منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة

الطبعة الأولى ١٩٦٧ م •

يحتوى الكتاب فى ذكر من ملك اليمن من أول القرن العاشر الى

زمن الفتح العثمانى • وفى الفتح العثمانى على يد سنان باشا •

١٢ — محمد بن أحمد العقيل :

تاريخ

المخلاف السليمانى

الجزء الأول

الطبعة الثانية ١٩٨٢م

مطبعة نهضة مصر

يشتمل الكتاب على مقدمة • واحد عشر فصلا فيتكلم فى الفصل

الأول عن جنوب الجزيرة وأشهر الحكومات فى العهد القديم • ويتكلم فى

الفصل الثانى عن تهامة فى التاريخ الاسلامى • ويتكلم فى الفصل الثالث

عن قبائل المخلاف السليمانى • أما الفصل الرابع فعن الدولة الزيدية •

والفصل الخامس يتكلم عن المخلاف السليمانى من القرن الخامس الى القرن

السابع • والفصل السادس عن الامارة القطبية الأولى فى المخلاف السليمانى

• والفصل السابع عن العهد الأول للأتراك فى جنوب الجزيرة • والفصل

الثامن عن المخلاف السليمانى فى العهد الأول لولاية الأتراك •

١٣ — محمد بن أحمد بن إياس الحنفي :

بدائع الزهور في وقائع الدهور

الطبعة الثانية

الجزء الخامس

القاهرة ١٩٦١م

يحتوي الكتاب على الحوادث التي حدثت من عام ٩٢٢ هـ إلى عام

٩٢٨ هـ

١٤ — محمد أديب آل تقى الدين الحصري

كتاب

منتخبات التواريخ لدمشق

ثلاثة أجزاء في مجلد واحد

الطبعة الأولى ١٩٢٩م

منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت

يبدأ المؤلف كتابه عن تاريخ دمشق من أول العهد العثماني إلى

زمن المؤلف ثم يبين حالة دمشق العلمية والاجتماعية من العهد العثماني

إلى زمن المؤلف * ثم يبين مآثر الأقوال في دمشق ومكانة دمشق الدينية

ثم يبين مشاهير رجال دمشق وآثار دمشق ومحاسنها وأخيرًا عن صناعات

دمشق *

١٥ — محمد قاسم هند وشاه استرآبادى المشهور بفرشته :-

تاريخ فرشته

الطبعة الثالثة

مطبعة نول كشور ، لكهنو .

يقع الكتاب فى جزئين وفى مجلد واحد ، ويقول المؤلف انه «سمى
لجمع مادته التاريخية من أطراف الممالك الكائنا فيها ، وحصل على كثير من
النسخ ، ولم يجد فى هذه الكتب ، كتابا يشمل حالات جميع ملوك الهند ،
فبذل أقصى جهده ، لقراءة كتب المتقدمين ، وجمع خلاصة هذه الكنوز فى
كتابه المذكور ، وبدأ بتأليف الكتاب فى سنة ١٠١٥ هـ الا أنه أشار فى
كتابه الى الحوادث التى وقعت فى سنة ١٠٣٣ هـ مما يدل أن تأليف
الكتاب استغرق وقتا طويلا ، وجاء الكتاب متضمنا على تاريخ الهند منذ
أقدم العصور الى زمان المؤلف ، كما أن الكتاب ينفرد بذكر معلومات قيمة
فيما يتعلق بالوجود البرتغالى فى الساحل الهندى ، وأفاده فى هذا
قربه من الأحداث ، حيث عاش فى بيجاپور المطللة على المحيط الهندى ،
وعلى مقربة من مقر حاكم البرتغاليين فى كوهه ، وكذلك لا يغفل المؤلف عن
ذكر المصادر والمراجع التى أخذ عنها مادته التاريخية ، كما يختم كتابه
بتعريف موجز لجغرافية الهند .

١٦ — يحيى بن النعمان بن القاسم بن محمد بن علي

• ١٠٣٥ — ١١٠٠ هـ • • ١٦٢٥ — ١٦٨٩ م •

• غاية الأمان في أخبار القطر البعاني •

القسم الثاني

دار الكتب العربي للطباعة والنشر ١٩٦٨ م

يتكلم المؤلف عن الأحداث التي حدثت في اليمن من سنة ٧٣٠ هـ

حتى سنة ١٠٤٥ هـ •

ثالثا : المراجع العربية :-

مممم

١٧ - ابراهيم أحمد العدوى

التاريخ الاسلامى

آفاقه السياسية وأبعاد الحضارية

الشركة المتحدة للنشر والتوزيع

مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة

عام ١٩٧٦ م

يحتوى الكتاب على أحوال العرب قبل الاسلام وحياة الرسول الكريم

فى مكة والخلفاء الراشد بن وعصر الفتوح وأهم ما يحتويه هو زحف القوى

الأوربية على دار الاسلام وختم بالقيادة الجماعية ومقدمات العالم الاسلامى .

١٨ - ابراهيم أحمد العدوى

مصر والشرق العربى

درع الاسلام

مطبعة جامعة القاهرة

١٩٨٥ م

يشتمل الكتاب على عدة فصول بدأها بالكلام عن مصر الاسلامية .

١٩ - ابراهيم الشريقي

أضواء على الخليج العربي ومسقط وعمان

الطبعة الأولى ١٩٦٨ م

يحتوى الكتاب على نظرة عامة على الخليج العربي وأهم ما يحتويه
هو الغزو البرتغالى ويتكلم عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية
فى أمارات الخليج ومسقط وعمان ، ويتكلم عن أبو ظبى من حيث موقعها
الجغرافى ، ومظاهر النهضة الحديثة ، ويتكلم عن عمان ومسقط من حيث
سطحها الجغرافى والحياة الاقتصادية والاجتماعية ويتكلم عن اتحاد
الامارات العربية .

٢٠ - ابراهيم على طرخان

مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة

مطبعة لجنة التأليف والنشر .

١٩٦٠ م

يحتوى على قيام الدولة المملوكية الثانية والخلافة العباسية ومن أهم

محتوياته السلاطين الجراكسة وبنو عثمان وختم بالمشآت المملوكية .

٢١ - إبراهيم جمعة

الأطلس التاريخي للدولة السعودية

من مطبوعات دار الملك عبد العزيز ، عام ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .

الرياض

٢٢ - أحمد حسين

موسوعة تاريخ مصر

الجزء الثالث

دار الشعب

ما يحتويه الكتاب الحكم العثماني في مصر .

٢٣ - أحمد حسين شرف الدين

اليمن عبر التاريخ

" من القرن الرابع عشر قبل الميلاد الى القرن العشرين "

الطبعة الثالثة

١٩٨٠ م

مطابع البادية للأوفست

يحتوي الكتاب على جغرافية اليمن ، وعن معلومات عامة عن اليمن ،

ويعطى لمحة من ماضى اليمن القديم ، والحياة العامة لليمن قبل الاسلام ،
واليمن فى موكب الاسلام ، وانفصال اليمن من الحكم العباسى ، والفـزـو
العثمانى لليمن • ثم يختم كتابه باليمن بعد جلاء الأتراك •

٢٤ — أحمد حمود المعمرى

عمان وشرق أفريقيا

مطابع سجل العرب

١٩٨٠م

يحتوى الكتاب على مقدمة ويبدأ بقدم العرب الى عمان وينتهى بعهد
السلطان قابوس وأهم ما يحتويه هو قدم البرتغاليين الى شرق أفريقيا ،
والبرتغاليون فى عمان •

٢٥ — أحمد الساداتى

تاريخ المسلمين

فى شبه القارة الهندية وحضارتهم

الجزء الثانى

مكتبة الآداب عام ١٩٨٠م

المطبعة النموذجية

الجزء الثانى من هذا الكتاب يبحث فى الدولة المغولية وسلطانها

بدءاً ببابر ، ثم همايون ثم عصر أكبر ، ثم جهانكير ، ثم شاهجهان
وانتهاء بالاحتلال البريطاني ثم قيام دولة باكستان وكذلك يتضمن الكتاب
النواحي الحضارية للدولة المغولية ، ولقد استفاد المؤلف في دراسته
من المراجع الفارسية والعربية والأوربية .

٢٦ — أحمد السباعي

تاريخ مكة

الجزء الثاني

الطبعة الثانية ١٣٨٢هـ

مطابع دارقريش

من أهم ما فيه علاقة العثمانيين بمكة .

٢٧ — أحمد شلبي

موسوعة

التاريخ الاسلامي

والحضارة الاسلامية

الجزء الخامس

الطبعة الثالثة ١٩٧٧م

مكتبة النهضة المصرية .

يحتوى الكتاب على عدة أبواب وفى كل باب يتحدث عن دولة فنجد هـ
يبدأ يتحدث عن الدولة الطولونية هـ ثم يتحدث عن الدولة الأخشيدية هـ
ثم يتحدث عن الدولة الفاطمية ثم المالكية • ثم يختم كتابه بأهم ما يحتويه
عن الموضوع وهو عن الدولة العثمانية •

٢٨ — أحمد شلبى

موسوعة

التاريخ الاسلامى

والحضارة الاسلامية

الجزء السابع

الطبعة الأولى ١٩٧٧م

مطبعة السنة المحمدية

يتحدث الكاتب عن الجزيرة العربية فى صدر الاسلام والعهد الأموى
والعصر العباسى ثم يتحدث عن نجد من مطلع الاسلام حتى قيام المملكة
العربية السعودية ثم يتكلم عن عصور الحكم فى عمان عبر التاريخ الاسلامى
ثم يختم كتابه عن الخليج العربى والدول العربية الواقعة عليه •

٢٩ — أحمد عبد الرحيم مصطفى

أصول العالم الحديث

مطبعة لجنة التأليف والترجمة

١٩٥٩م

يحتوى الكتاب على عدة فصول فيبدأ الكاتب بعصر النهضة الأوربية
، ثم الكشوف الجغرافية والاستعمار الأوربي وتقدم العلوم الطبيعية ، ثم
ثورات الشعوب على الحكم المطلق ، ثم يختم كتابه بالتوسع الاستعماري
الأوربي في الشرق . وهذا هو أهم ما يحتويه الكتاب بالموضوع .

٣٠ — أحمد فؤاد متولى

الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماه

من واقع

الوثائق والصادر التركية والعربية المعاصرة له

المطبعة المحمدية

١٩٧٦م

يشتمل الكتاب على العلاقة بين سلاطين المماليك والسلاطين
العثمانيين ومن أهم محتوياته أسباب الفتح العثماني للشام ومصر وختم
بأسباب سقوط المماليك .

٣١ — أبو أحمد الأثيري

الاسلام الجريح في الحبشة

بلاد النجاشي أرض الهجرة الأولى

١٩٦٤م .

ان هذا الكتاب يعتبر من الكتب التى تكشف حقائق الأمور الراهنة
فى الحبشة ويزيح الستار عن مأساة المسلمين فيها لأن مؤلفه من أبناء
الحبشة العارفين بدقائق الأمور فيها والمشاهدين لحوادثها ويبدأ
المؤلف كتابه بالتحدث عن الحبشة ومناخها ، وعلاقة الحبشة بالجزيرة
العربية بعد وفاة النجاشي ، وأهم ما يحتويه الكتاب هو كلامه عن استعانة
الحبشة بالبرتغال ويختم كتابه ببناء أحرار الحبشة .

٣٢ — أحمد مصطفى أبو حاكمة

تاريخ شرقى الجزيرة العربية

مطبعة النهضة الجديدة

١٩٦٧م

يتناول هذا المؤلف تاريخ شرقى الجزيرة العربية والمؤثرات الخارجية
والداخلية وظهور مشيخات العتوب فى شرق الجزيرة وأحوال شرق
الجزيرة فى الثانى من القرن الثامن عشر .

٣٣ — اسماعيل سرهنك

حقائق الأخبار عن دول البحار

الجزء الأول

الطبعة الأولى

المطبعة الأميرية ببولاق مصر

عام ١٣١٢ هـ •

يحتوى الكتاب على عدة أبواب ومنه يقسم هذه الأبواب الى عدة
فصول فيتحدث عن تاريخ الانسان من عهد الخليقة الى حداثة الطوفان
وعن تاريخ دولة اليونان القديمة عن تاريخ الرومانيين ودر الملوك ووصف
بلاد ايطاليا ، وعن الامبراطورية الشرقية أو الدولة السفلى وعن مملكة
المغرب وبلاد الجزائر ، وتاريخ تونس ، وتاريخ الدولة العلية العثمانية •

٣٤ — أمين سعيد

الخليج العربى

فى تاريخه السياسى ونهضته الحديثة

دار الكاتب العربى

يحتوى الكتاب على الاسلام فى الخليج والبتروى فى الخليج ومن أهم
محتوياته الغزو الأجنبى للخليج وختم بدولة الكويت الجديدة •

٣٥ — أنور عبد العليم

الملاحة وعلوم البحار

عند العرب

١٩٧٩م القاهرة

يتكلم المؤلف عن البحار وأبعادها عند الجغرافيين العرب ، والموانئ
العربية ، ثم يتكلم عن الصراع بين العرب والبرتغال في المحيط الهندي ،
وستور الملاحة لابن ماجد .

٣٦ — بدر الدين عباس الخصوصي

دراسات في

تاريخ الخليج العربي

الحديث والمعاصر

مطابع دار الرأي العام التجارية الكويت

الطبعة الأولى ١٩٧٨م .

يحتوي الكتاب على أربعة فصول ويبدأ الفصل الأول بالاستعمار الأوربي
في الخليج العربي ونشأة الوحدات السياسية العربية وتطورها واليعاربة
والبوسعديين في عمان وينتهي ببريطانيا ومشيخات الساحل العماني وأهم
ما يحتويه الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي .

٣٧ — توفيق حامد المرعشلي

صفحات في تاريخ مصر

الطبعة الثانية

مطبعة مصر ١٩٢٩م

يبدأ المؤلف كتابه بالتحدث عن مصر في العصور القديمة ، ثم يتكلم
عن أهم ما يحتويه الكتاب وهو مصر في العصور الحديثة من القرن السادس
عشر إلى القرن الثامن عشر ، ثم يتكلم عن مصر الحديثة في القرنين التاسع
عشر والعشرين ، ثم يتحدث عن عصر الحماية البريطانية .

٣٨ — جلال يحيى

مصر الحديثة

١٥١٧ — ١٨٠٥م

شركة الاسكندرية للطباعة والنشر

١٩٦٩م .

يتحدث المؤلف عن نمو النظام الإقطاعي في مصر ، ثم يتكلم عن
عملية التوسع العثماني ثم عن ضم العثمانيين مصر ، وأيضاً عن تصفية سلطنة
المماليك ثم يختم كتابه بعصر الفوضى والنزاع على السلطة .

٣٩ — جمال الدين الشـيال

تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية

في الهند

مطبعة التقدم ١٩٦٧م .

أرخ المؤلف فيها لأباطرة الدولة المغولية العظام : بابر وحميون
وأكبر وجهانكير وشاه جهان وأورنكزيب ، كما خصص لشيرشاه وخلفائه ،
وفصلا آخر للشيخ أحمد سرهندي وحركته التجديدية ، وأهتم المؤلف بعصر
أكبر ، حيث خصص أربعة فصول من كتابه لدراسة ما يتعلق بأكبر وعصره ،
كما يشمل الكتاب تحليلات وتفسيرات قيمة ، وهو مفيد في بابهِ للطلبة
والمختصين مع صغر حجمه ، ولقد استفاد المؤلف من كتابه هذا من المراجع
العربية وغير العربية ، ولكن غالبيتها مراجع أوروبية ، ويبدو أن المراجع
العربية في ذلك الوقت كانت نادرة .

٤٠ — جمال حمدان

المدينة العربية

مطبعة الجيلاوى

١٩٦٤م

يشتمل الكتاب على حضارة المدن ، والمدن الكبيرة ، ثم يتحدث
عن هيكل شبكة المدن العربية مثل : المغرب العربي ، ليبيا ، السودان
، الجزيرة العربية .

٤١ — حسن صالح شهاب

أضواء على تاريخ اليمن البحرى

دار الفارابي بيروت

١٩٧٧م

يحتوى الكتاب على دور اليمن البحرى فى مصادر التاريخ القديم
والتدخل البرتغالى ونهاية زعامة العرب العلاحية فى المحيط الهندى ،
وأهم ما يحتويه على الصراع الغربى فى تجارة المحيط الهندى .

٤٢ — حسين بن أحمد العرشى :

بلوغ المرام ، فى شرح مسك الختام

فى من تولى ملك اليمن من ملك وامام

مطبعة البريتيرى

١٩٣٩م

٤٣ — حسين مؤنس :

الشرق الاسلامى فى

العصر الحديث

مطبعة حجازى القاهرة

الطبعة الثانية

١٩٣٨م

يبدأ المؤلف حديثه عن الشرق الأدنى ، ونهضة أوربا ثم يتحدث

عن حركة الكشف الجغرافى ، ومن أهم محتويات الكتاب هو العالم —
الاسلامى قبيل الفتح العثمانى ، والدولة العثمانية ثم يختم كتابه بتفكك
الوحدة الاسلامية .

٤٤ — حسين مجيب المصرى :

صـلات بسـين

العرب والفرس والترك

مكتبة الأنجلو المصرية

١٩٦٩م

يبدأ المؤلف كتابه بالتحدث عن العرب والفرس قبل الاسلام وصدر
الاسلام وفى عهد العباسيين وأهم ما يحتويه هو العرب والترك فى البلاد
العربية وختم بالفنون بين الفرس والترك .

٤٥ — خالد العسزى

الخليج العربى

فى ماضيه وعاصره

١٩٧٢م

مطبعة الجاحظ — بغداد .

يشتمل الكتاب على أربعة أبواب فى الباب الأول يعطى تعريف بالمنطقة
ثم فى الباب الثانى يبين الاستعمار فى الخليج العربى ثم فى الباب الثانى يبين

الاستعمار في الخليج العربي ثم في الباب الثالث يبين الأحوال الاجتماعية

في الخليج ثم في الباب الرابع يبين دول وامارات الخليج العربي .

٤٦ — خالد عبد المنعم العاني :

موسوعة

العراق الحديث

المجلد الأول

الطبعة الأولى ١٩٧٧م

الدار العربية للموسوعات — بغداد

تحتوي الموسوعة على قسمين : فالقسم الأول يشتمل الناحية الجغرافية

للعراق أما القسم الثاني فيشمل الناحية التاريخية للعراق القديم ثم يعطى

فصلاً لتاريخ العراق الحديث .

٤٧ — رأفت الشعيخ :

في

تاريخ العرب الحديث

دار الثقافة للطباعة والنشر

١٩٧٧م

يشتمل الكتاب على عدة فصول فيبدأ بالوطن العربي تحت الحكم

العثماني ، ثم بالحركات الاستقلالية في الوطن العربي ، ثم يتحدث عن

الحركات السلفية في الوطن العربي ، ثم يتحدث عن الاستعمار والأقطار

العربية •

٤٨ — السيد رجب حراز :

الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب

١٨٤٠ — ١٩٠٩ م

المطبعة العالمية

١٩٢٠ م

من أهم ما يحتويه خضوع الحجاز للسيادة العثمانية •

٤٩ — السيد رجب حراز :

محاضرات في

تاريخ العرب الحديث والمعاصر

دار النهضة العربية

١٩٢٩ م

يشتمل الكتاب على خمسة فصول فيبدأ الفصل الأول بالفتح العثماني

للمشرق العربي ثم في الفصل الثاني يتكلم عن الادارة العثمانية وأقطار

المشرق العربي •

٥٠ — السيد رجب حراز :

المدخل الى تاريخ مصر الحديث
من الفتح العثماني الى الاحتلال البريطاني

١٥١٧ — ١٨٨٢م

دار الحماى للطباعة

١٩٧٠م

محتويات هذا الكتاب خمسة فصول تناول الأول منها مصر العثمانية

١٥١٧ — ١٧٩٨م .

٥١ — سعاد ماهر :

البحرية فى مصر الاسلامية

وأثارها الباقية

دار الكاتب العربى للطباعة والنشر

١٩٦٧م .

تتحدث فيه عن البحرية فى مصر قبل الاسلام ، والبحرية فى مصر الاسلامية
وعن السفن والمراكب ، وتتحدث أيضا عن أجزاء السفن ومعداتنها فى العصور
الوسطى ، وعن علم الفلك وفنون البحر ، وأيضاً عن الأسطول فى العصر
الاسلامى وتختتم كتابها بأنواع السفن وأسمائها .

٥٢ — سليمان ابراهيم العسكرى :

التجارة والملاحة في الخليج العربي

في العصر العباسي

مطبعة المدني

يتحدث المؤلف عن أحوال الخليج العربي قبل العصر العباسي

، وعوامل ازدهار التجارة والملاحة في الخليج العربي ، والعلاقات

التجارية بين الخليج العربي ومصادر التجارة الشرقية والملاحة في الخليج

العربي وطرقها مع مصادر التجارة الشرقية .

٥٣ — صالح الحامد :

تاريخ حضرموت

الجزء الثاني

الطبعة الأولى ١٩٦٨م

هذا المؤلف حضرمي حيث يبدأ بدولة بني الدعار شيام حضرموت ،

ثم يتحدث عن دولة آل فارس بين اقبال في الشحر ساحل حضرموت ثم يتكلم

عن دولة أبي دجانة في الشحر من عام ٨٣٦ هـ الى عام ٨٦١ هـ ثم يختم

كتابه بأهم ما يحتوي هذا الكتاب وهو مهاجمة البرتغاليين لعدن .

٥٤ — د / صلاح الدين علي الشامي وآخر :

جغرافية العالم الاسلامي

١٩٧٤م

مطبعة أطلس .

يشتمل الكتاب على خمسة فصول ففي الأول يتحدث عن الجغرافية
وانتشار الاسلام ، وفي الثاني عن الواقع الطبيعي في سمات الأرض
وخصائصها . وفي الثالث عن الواقع البشرى في بنية الأمة الإسلامية .
وفي الرابع عن الواقع الاقتصادي للعالم الاسلامي وأخيرا عن الواقع
السياسي للعالم الاسلامي .

٥٥ - د / صلاح العقاد :

التيارات السياسية

في الخليج العربي

مكتبة الأنجلو المصرية

المطبعة الفنية الحديثة

١٩٦٥م

يحتوي الكتاب على سبعة عشر فصلا يتحدث في أولها عن وصول

البرتغاليين الى الخليج العربي .

٥٦ - عباس العزاوي :

تاريخ العراق

بين احتلاليين

الجزء الثالث

الطبعة الأولى

مطبعة النقيض الأهلية ١٩٣٩م

يحتوى الكتاب على الحوادث من سنة ٨١٤^{هـ} — ١٤٠٧م الى سنة

١٩٤١^{هـ} — ١٥٣٤م فى العراق .

٥٧ — عدنان ترسيلى :

اليمن وحضارة العرب

مع دراسة جغرافية كاملة

منشورات دار مكتبة الحياة — بيروت

يتحدث المؤلف عن اليمن فى عهد الحضارة العربية ، وفى العهد

الاسلامى وعهد الاستعمار فى اليمن ويختم كتابه باعطاء فكرة عن جغرافية

اليمن .

٥٨ — عبد الله أحمد محمد الثور :

هذه هى اليمن

مطبعة المدنى ١٩٦٩م

يشتمل الكتاب على خمسة فصول فى الأول يتحدث عن اليمن فى عصر

ما قبل الاسلام ، وفى الثانى عن اليمن فى فجر الاسلام .

٥٩ - عبد الحميد البطريق :

تاريخ أوروبا الحديث

من عصر النهضة الى مؤتمر فيينا

مطابع جامعة الرياض

١٣٩٨ هـ

يحتوى الكتاب على مقدمة تاريخية أوروبا في فجر عصر النهضة وأهم

ما يحتويه هو التوسع الأوربي وحركة الكشوف الجغرافية •

٦٠ - عبد الحميد البطريق :

من تاريخ اليمن الحديث

١٥١٢ - ١٨٤٠ م

معهد البحوث والدراسات العربية - جامعة الدول العربية

١٩٦٩ م

يبدأ المؤلف كتابه عن اليمن من القديم الى الحديث ، ثم يتكلم

عن العثمانيين والعماليك في اليمن ، ثم الفتح العثماني لليمن •

٦١ - عبد الرحمن بن أحمد البهكلي :

نفع العود

في

سيرة دولة الشريف حمود

مطبوعات دار الملك عبد العزيز

يحتوى الكتاب على مقدمة ثم دراسة مخطوط كتاب نفع العود ثم

فهرست بأهم الأسماء والأماكن والبلدان وأسماء القبائل •

٦٢ — عبد الرحمن حميدة :

أعلام الجغرافيين العرب

ومقتطفات من آثارهم

دار الفكر ١٩٦٩م

يبدأ المؤلف كتابه بالعصور القديمة ، ثم العرب قبل الاسلام ، ثم

استهلال الجغرافية عند العرب ، مثل ابن خرداذبة وابن رسته ، وابن

الفرج ، وابن حوقل ، وابن فضلان ، والمقدس ، وأحمد السمرقاني ،

والمسعودي وناصر خسرو ، والبيروني ، والبكري ، والادريسي ، وابن

جبير ، وأبو الفدا وابن بطوطة ، وابن خلدون ، والقلقشندي ، وابن

• ماجد

٦٣ — أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري :

أنساب الأسر الحاكمة في الأحياء

القسم الأول

الطبعة الاولى ١٤٠٣هـ

من منشورات دار اليعاقبة للبحث والترجمة والنشر

يحتوى الكتاب على مقدمة يتحدث فيها عن مناقشة نصوص عموم تاريخ

الأسر الحاكمة ثم يتحدث عن نسب العيونيين ثم عن نسب العصفوريين

ثم نسب بنى جروان ثم نسب راشد بن مغاس وتاريخ بنى جبر .

٦٤ — عبد العزيز سليمان نوار :

تاريخ العرب الحديث

الشركة المصرية للطباعة ١٩٧٥م

يحتوى الكتاب على الوطن العربى ومن أهم محتوياته التوسع العثمانى

فى خلال القرن السادس عشر وختم بالعراق من الانتداب البريطانى الذى

ثورة العشرين .

٦٥ — عبد العزيز نوار :

تاريخ العرب الحديث

مصر والعراق

دار النهضة العربية للطباعة والنشر

١٩٧٣م

يشتمل الكتاب على أربع فصول عن البلاد العربية وبناء مصر الحديث

وغيرها .

٦٦ — عبدالعزيز نوار :

التاريخ الحديث

الشعوب الاسلامية

الأتراك العثمانيون

الفرس

مسلمو الهند

دار النهضة للطباعة والنشر ١٩٧٣م

قال المؤلف أنه اقتصر على تاريخ إيران الحديث وتاريخ الدولة
المغولية في الهند حتى ظهور باكستان بالإضافة الى تاريخ الأتراك
العثمانيين الذي يضم كذلك جزءاً من تاريخ العالم العربي وعندما يتكلم
عن الأتراك العثمانيين يبدأ من الفتوحات العثمانية في البلاد العربية ،
ثم الكفاح العثماني ضد العدوان البرتغالي .

٦٧ — عبدالعزيز سليمان :

مصر والعراق

دراسة في تاريخ العلاقات بينهما

حتى نشوب الحرب العالمية الأولى

المطبعة الفنية الحديثة

١٩٦٨م

يحتوى الكتاب على خمسة فصول ففى الأول يتحدث عن العلاقات
المصرية العراقية خلال العصور القديمة والوسطى ، وفى الثانى عن
العلاقات المصرية العراقية منذ الفتح العثمانى حتى الحملة الفرنسية على
مصر .

٦٨ — د / عبد العزيز طريح شرف

الجغرافيا الطبيعية

أشكال سطح الأرض

الطبعة الثالثة ١٩٧٩م

مطبعة الرشاد

يبدأ المؤلف كتابه بالتحدث عن فئات الأجرام السماوية ، وحركات
القمر والأرض ، وأبعاد الكرة الأرضية وطبيعة باطنها وأغلفتها الكبرى ،
ونشأة المحيطات والقارات وتطور توزيعها ، ويختم كتابه بالعوامل التكتونية
التي تساهم فى تشكيل سطح الأرض .

٦٩ — عبد العزيز عبد الغنى ابراهيم

علاقات ساحل عمان ببريطانيا " دراسة وثائقية "

مطبوعات دار الملك عبد العزيز

١٤٠٢هـ — ١٩٨٢م

الطبعة الأولى

يحتوى على بدء النفوذ البريطانى للخليج ومن أهم محتوياته الفوز
البرتغالى للخليج العربى ويختم الكتاب بمعاهدة ١٨٩٢م ومشكلات
الحدود •

٧٠ — د / عبدالعزيز محمد الشناوى :

الدولة العثمانية

دولة اسلامية مفسـترى عليها

الجزء الأول والثانى

مطبعة جامعة القاهرة ١٩٨٠م

يبدأ المؤلف كتابه بنشأة الدولة العثمانية ، والخصائص العامة
للدولة العثمانية والهيئات الحاكمة فى الدولة ، ثم يعطى صور من حملات
التشهير بالدولة ، ثم يبين أن الدولة العثمانية هى للإسلام والعروبة •

٧١ — عبدالفتاح حسن أبو عليـة :

تاريخ

أوروبا الحديث والمعاصر

دار الجيل للطباعة ١٩٧٩م

من أهم ما يتحدث عنه النهضة الأوربية ، والكشوف الجغرافية •

٧٢ — د / عبد الكريم رافق :

بلاد الشام ومصر

من الفتح العثماني الى حملة نابليون بونابرت

الطبعة الثانية

دمشق ١٩٦٨م

يشتمل الكتاب على ثلاثة فصول ففي الأول عن نهاية السلطنة

المملوكية ، وفي الثاني ويتحدث عن قيام الدولة العثمانية وأخيرا يختتم

كتابه بأهم ما يحتويه وهو العلاقات العثمانية المملوكية .

٧٣ — عبد المجيد عابدين

بين

الحبشة والعرب

دار الفكر العربي

مطبعة السعادة

يحتوي الكتاب على سبعة فصول ففي الأول يتحدث عن علاقة الحبشة

ببلاد العرب حتى نهاية القرن الرابع الميلادي وفي الثاني يتكلم عن

علاقة الحبشة ببلاد العرب في القرن السادس الميلادي وفي الثالث بين

الحبشة والمسلمين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفي الرابع عن آثار

الحبش في بلاد العرب وفي الخامس عن الحبشة والدول الاسلامية وفي

السادس أهم ما يحتويه الكتاب وهو انتشار الاسلام في الحبشة وأخيرا

عن الحبشة والثقافة العربية •

٧٤ — د / عبد المنعم ماجد :

طومان باى

آخر سلاطين المماليك في مصر

دراسة للأسباب التى أنهت حكم دولة السلاطين المماليك في مصر

دار الأمل للطباعة والنشر

يبدأ المؤلف كتابه بأصول طبقة المماليك في مصر ثم يتحدث عن أحوال

مصر عندما كان طومان باى سلطانا على مصر، وأهم ما يحتويه الكتاب هو

الصراع بين طومان باى والسلطان سليم الأول ثم أخيرا بين كيف كانت نهاية

طومان باى •

٧٥ — عمر رضا كحالة :

العالم الاسلامى

الجزء الثانى

الطبعة الثانية

المطبعة الهاشمية ١٩٥٨م

يحتوى الكتاب على أربعة فصول فى الأول يبين الدول الاسلامية فى

الأندلس وفي الثاني يبين الدول الإسلامية في العراق وفارس وفي الثالث
عن الدولة العثمانية .

٧٦ — د / محمد أنيس :

الدولة العثمانية والشرق العربي

" ١٥١٤ — ١٩١٤ م "

دار تكنوبرنت للطباعة

يشتمل الكتاب على ستة فصول ففي الأول يتحدث عن الأتراك والشرق
الأدنى ، ثم يتكلم عن بناء الدولة العثمانية في أوروبا ، وفي الثالث عن نظم
الحكم في الدولة العثمانية في القرن السادس عشر الميلادي . وفي الرابع
يتحدث عن الفتوحات العثمانية في الشرق العربي وفي الخامس عن الحكم
العثماني للشرق العربي وأخيرا يختم كتابه بأهم ما يحتويه وهو الزحف
الاستعماري على الشرق الأدنى .

٧٧ — محمد بدیع شریف وآخرين :

دراسات تاريخية

في

النهضة العربية الحديثة

مطبعة الرسالة

يبدأ المؤلف كتابه على اليقظة الفكرية والسياسية في القرن التاسع عشر ، وبواعث الحياة الأدبية والفكرية في النهضة العربية المعاصرة وأهم ما يحتويه العلاقات بين الشرق العربي وأوروبا بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر الميلادى .

٧٨ — محمد بن خليفة بن حمد بن موسى النبهان :

التحفة النبهانية

فى

تاريخ الجزيرة العربية

الطبعة الثانية ١٣٤٣هـ

المطبعة المحمودية ، مصر

الجزء السادس ، والتاسع

فى الجزء السادس يتحدث المؤلف فيه عن البحرين من حيث الحالة الطبيعية فيها والحالة الاقتصادية والسياسية وأهم ما يحتويه هو تلك البرتغال على البحرين ويختتم كتابه بأشهر علماء البحرين .

أما الجزء التاسع فيتكلم عن حالة البصرة الطبيعية وحالتها الاقتصادية والسياسية ثم يتحدث على من تأمر على البصرة زمن الخلفاء الراشدين ثم عن البصرة فى زمن بنى أمية وفى زمن بنى العباس وأهم ما يحتويه هو البصرة زمن آل عثمان ثم خيتم كتابه بشذرات متفرقة .

٧٩ — محمد جميل بيهم :

الحلقة المفقودة في تاريخ العرب

الطبعة الأولى ١٩٥٠م

مطبعة البابي الحلبي بمصر

يحتوى الكتاب على تاريخ العالم العربى السياسى فى الشرق ،
ثم يتحدث عن جزيرة العرب فى العهد العثمانى ، ثم يبين تاريخ العرب
السياسى فى المغرب خلال عهد آل عثمان ، وأخيرا يختم عن الزراعة فى
بلاد العرب فى عهد آل عثمان .

٨٠ — محمد سعيد المسلم :

ساحل الذهب الأسود

دراسة تاريخية انسانية لمنطقة الخليج العربى

الطبعة الثانية ١٩٦٠م

دار مكتبة الحياة — بيروت

يحتوى الكتاب على ستة فصول فيتحدث فى الفصل الأول بأن يعطى
نظرة عامة للقطيف وفى الفصل الثانى يتحدث عن مدنها القديمة والحد يثثة
وفى الفصل الثالث عن سكانها وحضارتها وفى الفصل الرابع عن تاريخها
السياسى من ديلمون الى استيلاء بنى عصفور وبنى جبرثم ينتقل الى دخول

البرتغاليين وتولى العثمانيين على الأحساء ثم بنى خالد حتى استولت
عليها الدولة السعودية الأولى ، وفي الفصل الخامس عن أحوالهم
الاقتصادية وأخيرا عن ثقافتها وآدابها .

٨١ — محمد طاهر بن عبد القادر الكردي :

التاريخ القويم

لمكة وبيت الله الحرام

يحتوي على أربعة أجزاء

طبع عام ١٩٦٥م

يحتوي الكتاب على ستة فصول ففي الفصل الأول يعطى نبذة من
سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي الفصل الثاني يتحدث عن بعض
مالقيه الرسول صلى الله عليه وسلم من التعب والمشقة في سبيل الدعوة ،
وفي الفصل الثالث يتحدث عن وفاة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أما
الفصل الرابع فيتحدث عن فتح مكة المكرمة وفي الفصل الخامس بين فضل
مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وأخيرا بين مكانة أهل مكة بين جميع الأمم .

٨٢ — د / محمد عبد المال احمد :

البحر الأحمر

والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه

مطبعة الجيزة بالاسكندرية

١٩٨٠م

يحتوى الكتاب على تحقيق ودراسة مخطوط " قلادة النحس "

لبامخرمة ، وموقف الممالك الجراكسة فى مصر قبيل تحريركمهم لمواجهة

البرتغاليين فى المياه الهندية .

٨٣ — د / محمد عبد اللطيف البحراوى :

فتح العثمانيين عد ن

وانتقال التوازن الدولى من البر الى البحر

الطبعة الأولى ١٩٧٩م

دار التراث

يحتوى الكتاب على مقدمة جغرافية وسبعة فصول وفى الفصل الأول

يتحدث عن الحالة فى جنوب غربى الجزيرة العربية قبل قدوم البرتغاليين

، وفى الفصل الثانى يتحدث عن سياسة سلطنة الممالك وفى الفصل

الثالث يتحدث عن قدوم البرتغاليين وفى الفصل الرابع عن سياسة الدولة

العثمانية فى القرن الساد من عشر الميلادى . وفى الفصل الخامس عن

الأسباب المباشرة ثم فى الفصل الساد من يتحدث عن عد ن بين الفتح

والاخلاء ثم أخيرا يتحدث عن نظم الحكم .

٨٤ — محمد بن عبد الله بن عبد المحسن آل عبد القادر الأنصاري الأحسائي

تحفة المستفيد

بتاريخ الأحساء في القديم والجديد

الجزء الأول

الطبعة الأولى ١٩٦٠م

مطابع الرياض

هذا تاريخ الأحساء جمعه المؤلف من مصادر موثوق بها ، وقد يجد القارئ نقصا في استيفاء أخبار الحكومات منذ نشأتها إلى انقضاءها أو تفككها ولكنه قد أوفى وأستقصى أخبار الأحساء وقد جمع مادة علمية تهيم المتخصص في منطقة الأحساء ، وقد فصل الشئ الكثير عن الحركة السلفية وتاريخ آل سعود الذين كانوا يساندون هذه الدعوة حتى انتشرت في الخليج .

ويبدأ المؤلف كتابه بالمدن والقرى والمواقع المشهورة في بلاد البحرين ، ثم يتكلم عن قرى الأحساء في العصر الحاضر ، ثم يتحدث عن ثورة عبد الله بن علي العيوني على القرامطة في الأحساء ثم يتحدث عن حال نجد عند ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب ثم يختم كتابه بمسير عساكر الدولة العثمانية إلى الأحساء وفتحها .

٨٥ — محمد عبد المنعم السيد الراقدة :

الغزو العثمانى لمصر

ونتايجه على الوطن العربى

مطبعة م . ك اسكندرية

١٩٦٨

يحتوى الكتاب على سبعة فصول فى الفصل الأول يتحدث عن
الدولتان العثمانية والملوكية فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى ،
وفى الفصل الثانى يتحدث عن أسباب ضم العثمانيين لمصر وفى الفصل
الثالث يبين موقف الشعب المصرى من ضم العثمانيين لمصر ، وفى الفصل
الرابع يبين نتائج ضم العثمانيين لمصر ، وفى الفصل الخامس يتحدث عن
نظام الحكم العثمانى ، وفى الفصل السادس يتحدث عن الحالة الاقتصادية
فى مطلع العهد العثمانى ، وفى الفصل السابع يبين الحياة الاجتماعية فى
مصر .

٨٦ — محمد كرد على :

الاسلام والحضارة العربية

الجزء الأول

الطبعة الثالثة ١٩٦٨م

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

يبدأ المؤلف كتابه يتحدث عن أثر علوم العرب في الغرب ثم يتحدث عن مدينة
العرب في الأندلس ، ثم يتحدث عن المسلمون والغربيون في الحروب
الصليبية ، ثم يختم كتابه بغارات المستعمرين من الغربيين على بلاد المسلمين
وغيرهم .

٨٧ — محمد علي كرد :

خطط الشام

الجزء الأول

بيروت ١٩٦٩م

الطبعة الثانية

يتكلم المؤلف عن بعض الدول مثل الدولة النورية من سنة ٥٢٢ — ٥٦٩ هـ
، ثم يتحدث عن الدولة الصلاحية من سنة ٥٦٩ — ٥٨٩ هـ ثم عن الدولة
الأيوبية من سنة ٥٨٩ — ٦٣٧ هـ ، وعن انقراض الأيوبيين وظهور دولة المماليك
البحرية وظهور التتر ، ثم يتكلم عن دولة المماليك من سنة ٦٩٠ إلى ٧٩٠ هـ ثم
يختم كتابه بالدولة العثمانية من سنة ٩٢٢ — ١٢٠٠ هـ .

٨٨ — د. محمد كمال الدسوقي :

الدولة العثمانية والمسألة الشرقية

مطبعة دار نشر الثقافة

١٩٧٦م

يحتوى الكتاب على الدولة العثمانية وتوسعها " ١٢٣٢ - ١٥١٢م "
، ثم يتحدث عن ثورة اليونان " ١٨٢١ - ١٨٣٢م " وأهم ما يحتويه هو
الدولة في ذروة مجدها " ١٥١٢ - ١٥٧٤م " .

٨٩ - د . مصطفى رمضان :

الدولة العثمانية

وعلاقتها

بالعالم الاسلامى وأوربا

١٩٨٣م

يحتوى الكتاب على خمسة فصول غنى الفصل الأول يتحدث عن الظروف
والعلاقات السياسية التى ظهر فيها العثمانيون ، وفى الفصل الثانى يتحدث
عن أصل الصفويين أما الفصل الثالث فيبين الحضارة العربية. ايان الزحيف
العثمانى ، وفى الفصل الرابع يتحدث عن نظام الحكم فى مصر ايان العصر
العثمانى ، وأخيرا فى الفصل الخامس يبين الأدوار التى مرت بها الدولة
العثمانية .

٩٠ - السيد مصطفى سالم :

الفتح العثمانى الأول لليمن

١٥٣٨ - ١٦٣٥م

الطبعة الثانية ١٩٧٤م

مطبعة الجلالى

يحتوى الكتاب على أربعة فصول وفى الفصل الأول يتحدث عن الفـزـو
البرتغالى والجهود العربية المضادة ، وفى الفصل الثانى يتحدث عن
الفتح العثمانى الأول لليمن ، وفى الفصل الثالث يتحدث عن النشاط
العثمانى فى البحار الجنوبية ، وفى الفصل الرابع يتحدث عن اليمن تحت
الحكم العثمانى .

٩١ — السيد محمود شكرى الألوسى :

تاريخ نجد

حقته : محمد بهجة الأثرى

القاهرة ١٣٤٣ هـ

المطبعة السلفية بمصر

يبدأ المؤلف كتابه بالتحدث عما اشتملت عليه نجد من القرى والبلاد ،
ثم يتكلم عن أودية نجد وأخلاق أهل نجد ومعاش أهل نجد وأقواتهم وزى أهل
نجد ولباسهم وزينتهم ، وأهم ما يحتويه الكتاب هو كلامه عن الأحساء وينهى كتابه
ببعض من اشتهر من علماء نجد .

٩٢ — د . محمود صالح منسى :

حركة اليقظة العربية

في الشرق الآسيوي

الطبعة الثانية ١٩٧٥م

دار الفكر العربي

يبدأ المؤلف كتابه بالتحدث عن الشرق العربي الآسيوي في ظل الحكم

العثماني .

٩٣ — محمود كامل :

اليمن

شماله وجنوبه

تاريخه وعلاقاته الدولية

دار بيروت للطباعة والنشر

١٩٦٨م

يبدأ المؤلف كتابه بمنهاج البحث العلمي في تاريخ الجنوب العربي ،

ثم يتحدث عن عصر ما قبل التاريخ في الجنوب العربي ، ثم يتحدث عن الدولة

الحميرية ، ثم يتحدث عن الجنوب العربي في العصر الاسلامي ثم يتكلم عن

العهد الفاطمي والأيوبي ، ثم يتحدث عن دولة بني طاهر ، وأخيرا يختم كتابه

بأهم ما احتواه وهو ما أسماه بالاحتلال العثماني الأول لليمن .

٩٤ - د / فائق بكر الصوافي :

العلاقات بين الدولة العثمانية

واقليم الحجاز

مطابع سجل العرب

١٩٧٨م

تحدث المؤلف عن الحجاز تحت السيادة العثمانية ، وامتيازات ولاية

الحجاز .

٩٥ - فتحي غيث :

الاسلام والحبة

عبر التاريخ

شركة الطباعة الفنية المتحدة

تناول العناصر الأساسية لسكان الحبة ، ثم يعطى موجز عن التاريخ

القديم للحبة ، ثم يتحدث عن تاريخ الحبة في عصور الاسلام الاولى ، ثم

يتحدث عن الحروب الصليبية والحبة ، ثم يتحدث عن الأسرة السليمانية

والصراع مع الاسلام ، وأخيرا الغزو الاسلامي في الحبة " القرن السادس

عشر الميلادي " .

٩٦ - د . فيليب حتى وآخرون :

تاريخ العرب

الجزء الثانى

الطبعة الثالثة — ١٩٦١م

يحتوى الكتاب على : الحياة الاجتماعية فى العصر العباسى ، ثم
يتحدث عن انتهاء دور المماليك ، ثم يتحدث عن البلاد العربية تصبح ايلات
تركية .

٩٧ — فيليب رفته وآخر :

جغرافية الوطن العربى

دراسة طبيعية اقتصادية سياسية

الطبعة الأولى

١٩٦٢م

ملتزمة الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية

يحتوى الكتاب على ثلاثة فصول فى الفصل الأول يتحدث عن موقع
الوطن العربى وأهميته ، وفى الفصل الثانى يتحدث عن جغرافية الوطن
العربى ، وفى الفصل الأخير يتحدث عن دراسة الدول العربية .

٩٨ — نوال حمزه الصيرفى

النفوذ البرتغالى فى الخليج العربى فى القرن العاشر

الهجرى / السادس عشر الميلادى .

مطابع دار الهلال للاقتصاد

١٤٠٣هـ .

٩٩ - ليلي عبد اللطيف احمد :

دراسات في تاريخ ومؤرخي مصر والشام

ايمان العصر العثماني

مطبعة الجيلاوي

١٩٨٠م

يحتوي الكتاب على مدخل يبين أسباب الفتح العثماني لمصر ومن

أهم محتوياته موانئ مصر في العهد العثماني وختم بابن الحمص

مؤرخ الشام ومصر

رابعاً : المراجع المترجمة للغة العربية :

٩٩ - ج . ج . لوريمر :

دليل الخليج

الجزء الأول

مطابع على بن علي الدوحة

أعدّها : قسم الترجمة بمكتب صاحب السمو أمير دولة قطر .

طبع على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر في ١٠ أكتوبر
عام ١٩١٤ م .

ويعتبر لوريمر هذا مؤرخ الخليج العربي الذي يتحدث عن التنافس
بين الشركات الأوروبية في الخليج وتاريخ الصراع الذي دار في الخليج وما
حوله في الشرق والغرب ، ويؤخذ على هذا الكتاب الحقد على الاسلام
والمسلمين حيث يسمى الجهاد " قرصنة " كما يسميه المستشرقون أمثاله .
ويبدأ المؤلف كتابه بالتحدث عن تاريخ منطقة الخليج ، ثم يتحدث
عن تاريخ منطقة الخليج ، ثم يتحدث عن حكومة الميدا في الهند ، ثم
يوضح علاقة البرتغاليين بالقوى المحلية وحروبهم ضد الأتراك ، ثم يتحدث
عن طرد البرتغاليين من هرمز ثم يبين أعمال البرتغاليين في الخليج ثم
يتحدث عن انتهاء النفوذ البرتغالي في الخليج ، ثم يتحدث عن الدول
الأوروبية التي أتت الى منطقة الخليج .

١٠٠ - جورج كيرك :

موجز تاريخ الشرق الأوسط
من ظهور الاسلام الى الوقت الحاضر

دار الطباعة الحديثة ١٩٥٧م

الطبعة الثالثة

يتحدث المؤلف عن التفكك والانحلال في الشرق الأوسط ومن أهم
محتوياته هو تطرقه عن الدولة العثمانية وأيضا الدولة الفارسية ، ثم
يتحدث عن نمو روح الاقدام عند الأوربيين ١٥١٧ - ١٧٧٠م .

١٠١ - السير جون هامرتن :

تاريخ العالم

مكتبة النهضة المصرية

يحتوي الكتاب على مائة وثمانية وأربعون فصلا وأهمها السلطان
سليم الأول يفتح مصر ، ثم يتحدث عن البرتغال بأنها سيدة البحار
الشرقية .

١٠٢ - جيمس وفي :

الاستعمار البرتغالي

في أفريقيا

ترجمة : الدسوقي حسنين المراكبي

دار الطباعة الحديثة ١٩٦٣م

يبدأ المؤلف كتابه بالحدث عن البرتغال ومجيئها في غرب

أفريقية والكنغو ثم يبين الكشوف الجغرافية والدبلوماسية للبرتغاليين .

١٠٣ — س.ب. مايلز :

الخليج

بلدانه وقبائله

ترجمة محمد أمين عبد الله

مطابع سجل العرب ١٩٨٢م

يحتوى هذا الكتاب على عشرة فصول منها الفصل الثالث : البرتغاليون

في شرق شبه الجزيرة العربية ، والفصل الرابع يتحدث عن أسرة اليعاربة

والحقه بالفصل الخامس عن أسرة آل بو سعيد والفصل السادس عن قبائل

الخليج وأصلها والفصل السابع عن تاريخ تجارة الخليج .

١٠٤ — ك.م. بانيكار :

آسيا والسيطرة الغربية

ترجمة عبد العزيز جاوید

مراجعة : أحمد خاکی

دار المعارف بمصر

١٩٦٢م

يحتوى الكتاب على خمسة فصول بدأها بالتحدث عن عصر التوسع

من الفترة " ١٤٩٨ - ١٧٥٠ م .

١٠٥ - السير أرنولد ويلسون :

الخليج العربى

مجلد تاريخى من أقدم الأزمنة حتى أوائل القرن العشرين

نقله الى العربية

د / عبد القادر يوسف

الناشر مكتبة الأمل - الكويت .

تتحدث فصول الكتاب عن الخليج العربى ، وفى الفصل الأول يعطى

نظرة تاريخية وجغرافية ، وفى الفصل الثانى يصور الخليج فى العصور

الأولى وفى الثالث فى العصور الوسطى ، وفى الفصل الرابع تحدث عن

وصول البرتغاليين الى الخليج العربى .

١٠٦ - كارل بروكلمان :

تاريخ الشعوب الاسلامية

نقله الى العربية

نبيه أمين فارس ، منير البعلبكي

دار العلم للملايين

الطبعة السادسة ١٩٧٤ م بيروت

يحتوى هذا الكتاب على خمسة أقسام ، والقسم الثالث منه أفرد
للأتراك العثمانيين ويشمل التاريخ العثماني حتى مطلع القرن التاسع
عشر ومن ضمنها هو ضعف وخلل الدولة العثمانية في نهاية القرن الثامن
عشر .

١٠٧ — ول ديورانت :

قصة الحاضرة

الجزء الثالث من المجلد الأول : الهند وجيرانها

الطبعة الثالثة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٨ م

ترجمة : زكى نجيب محمود .

مع شهرة المؤلف العلمية ، إلا أنه في كتابه هذا ، يتحامل على الفتح
الإسلامي للهند ، ويستعمل أفضل التفضيل في وصف هذه الفتوحات
بالوحشية والدامية وغير هذه الأوصاف السيئة ، ونسى أو تناسى أن المسلمين
تركوا آثارهم الخالدة في الهند وحضارتها ، مما أوضحه كبار مثقفي الهند من
غير المسلمين أيضا .

ومع أن المؤلف يقصر في معرض حديثه عن سلاطين دهللي ، وبين
آثارهم الإصلاحية ، ويكتفى بالإشارة العابرة اليهم وإلى أتباعهم ، إلا أنه
أطال الكلام في بحثه عن عصر أكبر ، كما أن كتابه مفيد في معرفة جغرافية
الهند وتاريخها القديم وحضاراتها القديمة .

خامسا : المجلات والدوريات العلمية :

١٠٨ د / حسن أحمد محمود :

التهديد البرتغالي لسواحل جزيرة العرب

مجلة المؤرخ العربى

العدد الثانى عشر

مطبعة الارشاد - بغداد / ١٩٨٠ م .

١٠٩ الشاطربصلى عبد الجليل :

الصراع بين الدولة العثمانية وحكومة البرتغال فى المحيط الهندى

وشرق افريقيا والبحر الاحمر

المجلة التاريخية المصرية / المجلد الثانى عشر / ١٩٦٤م / ١٩٦٥م

١١٠ صالح الدخيل :

تحفة الالباء فى تاريخ الاحساء

مجلة العرب / الجزء الخامس والسادس / السنة العاشرة لعام ١٩٧٥م

١١١ د / عبد الله حامد الحيد :

المعاليك الجراكسة فى اليمن

مجلة البحث العلمى والتراث الاسلامى / العدد الاول / ١٣٩٨هـ .

١١٢ د / محمد عبد اللطيف البحرارى :

موقف العالم الاسلامى من التهديد الصليبي فى مطلع العصر الحديث

هذه محاضرات القاها الدكتور على طلبته فى الدراسات العليا التاريخية

فى عام ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

١١٣ د / محمد كمال الدسوقي :

اهمية الحجاز فى مطلع العصور الحديثة

مجلة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية - السنة الثانية ١٣٩٦ / ١٣٩٧هـ

العدد الثانى .

١١٤ — محاضرات الموسمين الثقافييين

السابع والثامن ١٩٧٤ — ١٩٧٥ م

الخليج العربي

في مواجهة التحديات

مطبوعات رابطة الاجتماعيين

تحتوى على قسمين ، القسم الاول تحدث عن منطقة الخليج العربي في

مواجهة التحديات .

١١٥ — مصادر تاريخ الجزيرة العربية

الجزء الثانى

مطبوعات جامعة الرياض ١٩٧٩ م .

الطبعة الاولى .

الابحاث المقدمة للندوة العالمية الاولى لدراسات تاريخ الجزيرة

العربية في ٥ — ١٠ جمادى الاولى ١٣٩٧ هـ الموافق ٢٣ — ٢٨ ابريل

١٩٧٧ م قسم التاريخ كلية الآداب ، جامعة الرياض ، المملكة العربية

السعودية .

ومن هنا مقال لحسين امين بعنوان نظرة بعض الرحالة المسلمين وبعض

الرحالة الغربيين عند زيارتهم لمنطقة الحجاز .

١١٦ — دائرة المعارف الاسلامية .

المجلد الثانى عشر .

انتشارات جهسان .

١١٧ — سلسلة التاريخ الاسلامى .

القسم الثالث

اعداد اساتذة التاريخ .

دار الطباعة المحمدية عام ١٩٥٨م .

تحتوى على عدة معارك من أهمها معركة مرج دابق ، الريدانية .

سادسا : الرسائل الجامعية التي لم تنشر :

١١٨ — خلف بن ديلان الوزيناني :

الاحساء في القرن الثاني عشر الهجري

رسالة ماجستير لم تنشر بعد .

١٤٠٥ هـ .

تحتوى الرسالة على مقدمة وخمسة فصول ، تحدثت المقدمة عن

جغرافية الاحساء الطبيعية .

١١٩ — غسان على رمال :

صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الاحمر خلال

القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي

١٩٨٠ م . — رسالة ماجستير لم تنشر بعد في قسم المخطوطات بجامعة أم

القرى .

تحتوى الرسالة على خمسة فصول ففي الفصل الاول يتحدث عن

البرتغال في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي ، وفي الفصل الثاني عن

دوافع ومقدمات وصول البرتغاليين الى المحيط الهندي ومدخل البحر الاحمر

وفي الثالث عن الصراع في البحر الاحمر قبل العصر العثماني — وفي الرابع عن

البرتغاليين وتجارة الهند وأخيرا يختم رسالته عن الصراع في البحر الاحمر في

العصر العثماني .

١٢٠ — محمود توفيق محمود :

الجغرافيا السياسية في المدخل الجنوبي للبحر الاحمر

جامعة القاهرة / كلية الآداب — قسم الجغرافيا ١٩٨٠م .

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الآداب لم تنشر بعد .

تحتوى الرسالة على اربعة فصول ، وفى الفصل الاول يتحدث عن

الملاح الجغرافية العامة للمدخل الجنوبي للبحر الاحمر ، وفى الفصل

الثانى يتحدث عن الجغرافيا التاريخية للمدخل الجنوبي للبحر الاحمر

وفى الفصل الثالث يتحدث عن الخصائص الجغرافية المؤثرة فى الاستخدام

السياسى للمدخل الجنوبي وأخيرا فى الفصل الرابع يتحدث عن الجغرافيا

السياسية لدول منطقة الارتباط الرئيسى للمدخل الجنوبي .

١٢١ — نصير احمد نورا احمد :

عصر اكبر سلطان الدولة المغولية الاسلامية

فى الهند

رسالة ماجستير لم تنشر بعد — ١٤٠٥هـ

تحتوى الرسالة على مقدمة واربعة فصول ، وفى الفصل الاول يتحدث

عن الحالة غداة بدء عصر السلطان اكبر ، وفى الفصل الثانى يتحدث عن تأمين

ابواب الهند وغزوة الدكن ، وفى الفصل الثالث يتحدث عن الاحوال الداخلية

وأخيرا فى الفصل الرابع يتحدث عن العلاقات الخارجية وموقف اكبر من البرتغاليين

على الساحل الهندى .

سابعاً : المخطوطات التركية :-

=====

١٢٣ — محمد بن عبد المعطى الاسحاقى :

لطايف أخبار الأول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول

مخطوطة فى المكتبة السلیمانیة

• باستنبول

وتحتوى هذه المخطوطة على من تصرف بمصر من نواب آل عثمان

المكرمين •

١٢٤ — أبو محمد مصطفى ابن السيد حسن بن السيد :

سنان الهاشمى القرشى الشهير بالجنايى

المتوفى عام ١٥٩٠م •

” مخطوطة عيلهم لزاخر فى علم الأوائل والأواخر ”

موجودة فى مكتبة نور عثمانية

باستانبول تحت رقم ٣٠٩٩ •

تشمل المخطوطة السلطان سليم الأول وحروبه وأيضاً السلطان

سليمان القانونى وفتحته بفسداد •

١٢٥ — نصح قداكوزين عبد الله البوسنوي :

” سفر عراقين قانوني باخوند مجموعة المنازل نصح ”

• المخطوطة بمكتبة جامعة استنبول

وهي باللغة التركية محفوظة بالجامعة تحت رقم ٥٥٦٤ • تتكلم

• المخطوطة عن عهد السلطان سليمان القانوني

ثامنا : المصادر التركیة :-

=====

١٢٦ - أحمد راسم

عثمانلى تاريخى

برنجى طبعى

باللغة التركیة

يحتوى الكتاب على مقدمة عن أرطغر بك وخمسة عشر فصلا ، ففى
الفصل الأول يتحدث عن الغازى عثمان وفى الفصل الثانى عن أورخان
وتاريخ جلوسه للسلطنة ، ثم فى الباب الثالث عن مراد قداوند كار ، فى
الباب الرابع عن السلطان بايزيد ثم يتحدث عن تيمور لك ، والباب
الخامس يتحدث عن دور فترات سليمان جلبي ، ومحمد جلبي ، وموسى
جلبي ، وفى الباب السادس يتحدث عن السلطان محمد من حيث تاريخ
جلوسه ، وفى الباب السابع يتحدث عن السلطان مراد ، وفى الفصل
الثامن يتحدث عن الفاتح سلطان محمد وعن فتح القسطنطينية ، ومداصرة
بلغراد وعن سفره الى رودس وعن امارة ذوالقدريه ، وفى الباب التاسع
يتحدث عن السلطان بايزيد وعن الشاه اسماعيل الصفوى وفى الباب العاشر
يتحدث عن السلطان سليم وشاه اسماعيل الصفوى ومعركة جالديران وفتح
مصر ولقبه بخادم الحرمين الشريفين وفى الباب الحادى عشر عن السلطان

سليمان القانونى وسفره الى ايران ، وأيضا عن المعارك البحرية وفى
الباب الثانى عشر يتحدث عن السلطان سليم الثانى وفى الباب الثالث
عشر يتحدث عن السلطان مراد ثم فى الباب الرابع عشر يتحدث عن
السلطان محمد خان وأخيرا يتحدث عن السلطان أحمد .

١٢٧ — جلى وحاجى خليفة نامرله

ت ١٠٤٠ هـ .

تحفة الكبار فى أسفار البحار

مطبعة بحرية ١٣٢٩ هـ

باللغة التركية .

يحتوى الكتاب على قسمين فى القسم الأول يتحدث عن خير الدين
باشا ثم يتحدث عن سفر سليمان باشا أمير مصر الى الهند ثم يتحدث عن
سفر بيرى رئيس الى المحيط الهندى ثم سفر سيدى على قبودان بجانب
محيط شرقى .

أما القسم الثانى فيتحدث عن قبودانلر ثم عن ترسانة عامر ثم يتحدث
عن قانون أوزره .

١٢٨ — عبد الرحمن شرف

تاريخ دولت عثمانية

جلد أول

مطبعة سي — باب عالي جاده سندھ

استانبول

يحتوى الكتاب على مدخل يبين فيه تأسيس الدولة الاسلامية ثم
يتحدث عن السلطان عثمان خان والسلطان أورخان والسلطان بايزيد ،
وأىضا يتحدث عن السلطان سليم خان وعن وقعة جالديران ، والاصلاحات
العسكرية فى عهد السلطان سليم ثم سفره الى مصر ، ثم يتحدث عن
السلطان سليمان خان وفتح تبريز وبغداد ، وسفر خادم سليمان باشا
الى الهند .

١٢٩ — صدر أسبق كامل باشا :

تاريخ سياسى

دولة عليشة عثمانية

مطبعة احمد احسان

١٣٢٥ هـ

٣ أجزاء فى مجلد واحد

باللغة التركية .

يبدأ المؤلف كتابه بالتحدث عن تاريخ تأسيس سلطان عثمان بن

السلطان عثمان بن أرطغرل للدولة ثم يتكلم عن سلطان محمد خان أول ثم

شم دور سلطان مراد خان ثانی شم دور سلطان محمد خان ثانی •

شم دور سلطان بایزید خان ثانی • شم دور سلطان سلیم خان

اول شم دور سلطان سلیمان خان اول • شم جلوس سلطان سلیم

خان ثانی • شم یخستم کتابه بدور سلطان مصطفی خان الرابع •

تابعاً : المراجع التركية :-

~~~~~

Ismail Hakki Uzuncarsili — ١٣٠

Osmanli Tarihi.

II Cild

Ankara 1983

Cengiz Orhonlu — ١٣١

Habes Eyaleti

باللغة التركية

استانبول ١٩٧٤ م .

يحتوى الكتاب على خمسة فصول فى الفصل الأول يتحدث عن

العثمانيين فى سواحل البحر الأحمر فى النصف الأول من القرن السادس

عشر الميلادى ، وفى الفصل الثانى يتحدث عن تأسيس اية الحيش وفى

الفصل الثالث يتحدث عن الحركات العسكرية فى تراب الحيشة ، وفى

الفصل الرابع يتحدث عن علاقات اية الحيشة بين دول أفريقيا ، وفى

الفصل الخامس يتحدث عن اية الحيشة " جدة - سواكن " فى القرن

التاسع عشر الميلادى .

Stanford show — ١٣٢

Osmanli

imparator Lugu

ve modern Turkiye

ترجمة : محمد هارمنجي

الجزء الأول

باللغة التركية

تحدث فيه عن الدولة العثمانية من ١٢٨٠ إلى ١٩١٣ م.

Dr. Hulusi Yavaz — ١٣٣

Yemen'De

Osmanli Hakimiyeti

" 1617-1571 "

باللغة التركية

استانبول ١٩٨٤ م

تناول فيه الفتح العثماني لليمن .

عاشرا : المراجع الانجليزية :-

~~~~~

I34 - Per cival spear:

A History of India

V. II, Ed. XI London 1982

I35 - Lord Eversley :

The turkish Empire its, Growth and decay

Fourth impression

1967

I36 - Lord Kinross :

The Ottoman centuries, The rise and fall
of the turkish Empire.

London : Cape 1977

I37 - Sydney nettleton fisher :

The middle east a history

2nd ed

London 1971

لکھنؤ

الموضوع	الصفحة
مقدمة : الدولة العثمانية ومسئوليتها التاريخية تجاه	
الحرمين الشريفين :	
أ — أهمية حماية الحرمين الشريفين	١١ — ٢٢
ب — محاولات البرتغاليين الأولى لاختراق أنفريقيا من	٢٢ — ٣٢
غربها الى شرقها	
ج — الخطر الصليبي الاستعماري الأوربي	٣٣ — ٤٤
د — ضعف دولة المماليك	٤٥ — ٥١
هـ — الخطر الفارسي الشيعي	٥٢ — ٦٢
الفصل الأول : التهديد الصليبي الاستعماري لجنوب العالم	
الاسلامي .	
أ — وصول البرتغاليين	٦٤ — ٧٨
ب — مكة والمدينة في خطط البرتغاليين	٧٩ — ٩٤
ج — د روشهاب الدين احمد بن ماجد العناني صاحب	٩٥ — ١٠٨
" الفوائد في أصول علم البحر والقواعد "	
د — بحر العرب والحماية الطبيعية للماحل الجنوبي	١٠٩ — ١٢٥
للجزيرة العربية	

الموضوع	الصفحة
---------	--------

الفصل الثاني : الجناح الغربي لحزام الأمن :

- أ - معركة جالكيران ٩٢٠ هـ - ١٥١٤ م ، ١٢٧ - ١٤٢
- معركة مرج دابق ٩٢٢ هـ - ١٥١٦ م .
- ب - مصر ٩٢٣ هـ - ١٥١٧ م ، وأنضمام
الحجاز ، اعلان لقب السلطان " حامى
الحرمين الشريفين " ، أهمية قاعدة
السويس البحرية .
- ج - عدن ٩٤٥ هـ - ١٥٢٨ م ، البحر الأحمر ١٧٢ - ٢٠٢
- منطقة محسومة
- د - بيلريكية الجيش " مصوع وسواكن " ٢٠٢ - ٢٢٥

الفصل الثالث : الخطار الصليبي الاستعماري في الخليج العربي

- أ - البرتغاليون على الساحل الغربي للهند ٢٢٧ - ٢٥٤
- جوا ٩١٦ هـ - ١٥١٠ م
- ب - أهمية هرمز ، جهاد الرئيس حميد وعرب هرمز ٢٥٥ - ٢٧٠
- ، سقوطها في أيدي البرتغاليين

الصفحة	الموضوع
٢٧٨ — ٢٧١	ج — تهديد البصرة ، جهاد راشد بن مقامس
	د — كفاح مقرن بن زامل في الأحساء ٠
٢٧٩ — ٣٠٥	هـ — موقف الصفويين الشيعة في إيران ، والمفول المسلمين في الهند
<p>الفصل الرابع : الجناح الشرقي لحزام الأمن :-</p> <p>.....</p>	
٣٠٧ — ٣٢٥	أ — غزو العراقيين ، بغداد ٩٤٠ هـ — ١٥٣٤ م
	ب — علاقات السلطان سليمان الأول برؤساء الجزاير في الخليج والبصرة والقطيف والبحرين والأحساء ٠
٣٢٦ — ٣٣٤	ج — بيلريكية البصرة ٩٢٥ هـ — ١٥٤٦ م ٠
٣٣٥ — ٣٤٦	د — حملات عثمانية بحرية في الخليج : بيسرى ، مراد ، على رئيس ، الخليج منطقة مفتوحة .
	هـ — الخطة الجديدة :
٣٤٧ — ٣٥٢	١ : التركيز على الساحل الشرقي للجزيرة العربية والقوة البرية .
٣٥٢ — ٣٥٩	٢ : جهاد عرب القطيف ، سنجقية القطيف
٣٦٠ — ٣٧٠	٣ : بيلريكية الأحساء ٩٥٨ هـ — ١٥٥١ م .
٣٧٠ — ٣٧٣	٤ : لواء نجد

الموضوع	الصفحة
الخاتمة : التحليل والنتائج	٣٧٥ — ٤١٤
ثبت المخطوطات والمصادر والمراجع	٤١٦ — ٤٩٠
الفهرس	٤٩٢ — ٤٩٥
